وزارة التعليم العالي
١٠٠٠ كتاب

أبو الهول

تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة



تأليف
الدكتور سليم حسن

ترجمة
جمال الدين سالم

مراجعة
الدكتور أحمد محمد بدوي

الغلاف ـ تصميم الآنسة عصمت عبد الحميد

أبو الهول

تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة

باشراف
الهيئة العامة
للكتب والأجهزة العلمية
بوزارة التعليم العالى

تصدر هذه السلسلة بمعاونة

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الألف كتاب
٦٨٩

أبو الهول

تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة

ألفه بالإنجليزية

الدكتور سليم حسن

ترجمة
جمال الدين سالم

مراجعة
الدكتور أحمد محمد بدوى

الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية
مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٨

هذه ترجمة كتاب :

THE SPHINX

ITS HISTORY IN THE LIGHT

OF

RECENT EXCAVATIONS

تأليف :

الدكتور سليم حسن

موضوعات الكتاب

صفحة

صفحة

ثبت الأشكال الإيضاحية

شكل — صفحة



المؤلف

المرحوم الدكتور سليم حسن

تصدير

بقلم

جمال الدين سالم

أمين المتحف المصرى

فى هذا الكتاب صورة مشرقة مشرفة فى آن معا ، وذلك لأنها تمثل لنا جانبا من نشاط واحد من علماء الآثار المصريين ، فى الكشف والتنقيب عن الآثار المصرية القديمة ، هو المرحوم الدكتور سليم حسن ، الذى استطاع أن يقتحم ذلك الميدان الصعب بشجاعة نادرة ، والذى كان وقفا على الأجانب من قبل ، وأن يثبت أن المصريين لا يقلون عن علماء الاثار الأجانب خبرة وعلما ، فقام بعمل حفائر علمية منظمة ، على نطاق واسع فى منطقتى الجيزة وسقارة فى مدة تزيد على عشر سنوات ، حقق فيها نجاحا عظيما ، وكان لتوفيقه دوى هائل فى جميع الأوساط العلمية العالمية ، ورنة فرح وسرور فى سائر أرجاء بلادنا العربية .

وهو يعرض علينا فى هذا الكتاب كثيرا مما كشفت عنه أعمال التنقيب التى قام بها حول صنم « أبو الهول » وكيف استطاع أن يكشف الكثير من أسراره ، ويوضح ما أحاط به من غموض وأحاجى ، ثم يسرد علينا بعد ذلك تلك الأقاصيص والخرافات التى راجت حوله والتى رددها الكثير من الشعراء والمؤلفين القدماء والمعاصرين .

ثم يروى لنا بعد ذلك قصة جهاده فى سبيل قيامه بالبحث والتنقيب العلمى فى هذه المنطقة ، وما صادفه من عقبات وما أصابه من نجاح .

والحفر والتنقيب فى مصر قصة قديمة ، تبدأ منذ أيام قدماء المصريين أنفسهم ، حين كان لصوص الآثار يستغلون ضعف الحكومات ، فيعيثون فى الأرض فساداً وكانت مقابر الملوك والأمراء فى هذه الفترات نهبا للشعب ، يخرجون منها كنوزها حبا فى المال وطمعا فى الغنى والثروة .

وفى عهد ملوك الرومان أخذ التنقيب عن الآثار شكلا آخر ، إذ كان الغرض الأول من البحث عن الآثار هو انتقاء ما يصلح منها للزينة ، فلا ريب أنهم كانوا ينقلون تماثيل بأكلها ، وأعمدة مختلفة الأنواع والأشكال ليزينوا بها دورهم وقصورهم فى مصر وروما ، وكانوا يدفعون أثمانا مغرية لها ، مما شجع أهل البلاد على الحفر والتنقيب سعيا وراء المال .

وما كادت فترة تلك المحنة تنقضى حتى واجهت الآثار فى مصر محنة أشد وأقسى ، بدخول العرب البلاد وأخذهم فى البحث عن الآثار والتنقيب عن كنوز الفراعنة ، لا حبا فى المال فحسب بل سعيا وراء أحجار المعابد والمبانى الأثرية القديمة لاستعمالها فى بناء مساجدهم وعمائرهم ، وفى الحق ان هذا لم يكن جهلا منهم بقيمة هذه الآثار ودلالتها العظيمة ولكنهم كانوا يرون فيها مظهرا من مظاهر الوثنية يجب القضاء عليه كما أنهم وجدوا فيها مصدرا للثروة والمال الذى كانوا فى أشد الحاجة إليـه ، لتعمير المدن والأمصار وتشييد العمائر والمساجد وإعداد الجيوش ، ولذلك رأينا الخليفة المأمون يرسل جيوشاً من الحفارين للبحث والتنقيب ، حتى استطاع بعضهم دخول الهرم الأكبر فى عهده .

واستمر البحث والتنقيب عن الآثار فى مصر طيلة كل العهود الاسلامية التى تتابعت على حكم البلاد ، حتى لقد قيل ان أحمد بن طولون قد اكتشف كنزا عظيما استطاع به أن يشيد جامعه العظيم بالقاهرة .

واستمر الحال كذلك حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث بدأت فى أوربا نهضة علمية عظيمة ، كان من نتائجها معرفة الشرق وأسراره ، مما جعل حكوماتها وجمعياتها العلمية ترسل بعض مغامريها ليجوبوا أقطار بلاد الشرق تحت ستار العلم ، تمهيدا للتوسع الاستعمارى أو التجارى . وحضر الكثير منهم إلى مصر ، وأخذوا

يعيثون فى البلاد فسادا وتخريبا بحثا عن الآثار ، فاشتروا الآثار بثمن بخس ، واتخذوا من تجارتها حرفة تدر عليهم الرزق من أسهل الطرق وأحقرها .

وما كاد القرن التاسع عشر يهل بطلعته ، حتى رفع الستار عن أكبر مأساة حاقت بالآثار المصرية ، إذ استوى على عرش مصر ذلك المغامر محمد على ، وفتح أبواب البلاد على مصراعيها للأجانب ومنحهم الامتيازات المختلفة ، فشجع ذلك أدعياء العلم ولصوص الآثار على القيام بأعمالهم الاجرامية ، وكان على رأس هؤلاء القنصلان الانجليزى والفرنسى ، اللذان لم تكن لهما صناعة إلا رئاسة العصابات التى تبحث عن الآثار بشتى الطرق ومختلف الوسائل . ولم يكتف أولئك المغامرون بكل ما كسبوا ، بل التجئوا فى النهاية إلى الوالى محمد على ، وتحايلوا عليه حتى أهدى إليهم تلك المسلات الرائعة التى ما زالت للآن تزين كبرى ميادينهم فى أوربا وأمريكا .

وبالرغم مما جرته هذه الحركة على مصر من مضار ، كانت لها فوائد أخرى ، عادت على مصر وعلى علم الآثار بأفضل النتائج ، فالآثار التى وجدت وهربت إلى مختلف أنحاء العالم ، بما نقش عليها من كتابات ورسوم ، كانت هى الأساس الذى قامت عليه الدراسة لحل قواعد اللغة المصرية القديمة ، ومن هنا تنبهت الأذهان فى أوربا إلى تلك الحضارة العظيمة التى نبتت على ضفاف النيل ، وأخذت أفكار العلماء تتجه إلى مصر ، فتدفقوا عليها من مختلف بقاع أوربا وخصوصاً من ألمانيا وفرنسا وانجلترا ، وانتشروا فى أنحاء البلاد من الشمال إلى الجنوب يحفرون وينقبون عن الآثار ، وكان البحث فى هذه المرة خالصاً لوجه العلم والتاريخ .

وكثرت بعد ذلك البعثات الأجنبية العلمية فى مصر ، وقسمت البلاد فيما بينها إلى مناطق لكل منها منطقتها الخاصة ، وحاولوا إبعاد المصريين عن هذا الميدان بمختلف الطرق ، واضطهدوا من كان يعمل معهم من أبناء البلاد ، ولم يصمد أمامهم سوى الأساتذة أحمد كمال ، وأحمد نجيب ، ومحمد شعبان ، وإلى الأول يرجع الفضل فى إنشاء أول مدرسة للآثار ، ألحقهـا بمدرسة المعلمين ليتعلم فيها تلاميذه

المصريون علوم الآثار المصرية بمختلف فروعها ، وكان يدرس فيها بنفسه اللغة الهيروغليفية . ومن طلبة هذه المدرسة الذين نبغوا فى علم الآثار سليم حسن ومحمود حمزة وسامى جبرة .

ولما كشف قبر توت عنخ آمون فى عام ١٩٢٢ ، دوى صيت هذا الكشف فى جميع أنحاء العالم ، وتنبهت الأذهان فى مصر لفائدة علم الآثار ، وتمكن أحمد كمال من إقناع وزير المعارف فى ذلك الوقت وهو المرحوم زكى أبو السعود من إرسال بعض المصريين للخارج للتفقه فى علم الآثار ، وكان على رأسهم المرحوم سليم حسن مؤلف هذا الكتاب .

وكان سليم حسن (١٨٩٣ — ١٩٦١) قبل هذا قد التحق بمدرسة المعلمين العليا بعد حصوله على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩ ، ثم اختير لإكمال دراسته بقسم الآثار الملحق بهذه المدرسة ، نظراً لامتيازه فى علم التاريخ ، وتخرج المرحوم فى هذا القسم بعد ثلاث سنوات عام ١٩١٣ ، وحاول بعد ذلك الالتحاق أميناً مساعداً بالمتحف المصرى دون جدوى ، إذ كانت وظائف المتحف المصرى الفنية جميعها فى هذا الوقت وقفاً على الأجانب ، فلما لم تتحقق له هذه الرغبة ، عين مدرسا بالمدارس الأميرية ، ولكنه واصل اهتمامه بالدراسات التاريخية والأثرية القديمة فظهرت بوادر جده ونشاطه العلمى مبكراً فى هذه المرحلة ، حيث وضع عدداً من كتب التاريخ بالاشتراك مع عمر الإسكندرى ، استمر تدريسها بالمدارس المصرية ردحا طويلا من الزمن .

وفى عام ١٩٢١ عين سليم حسن ومعه محمود حمزة وسامى جبره أمناء مرشحين بالمتحف المصرى بعد ضغط متصل من الحكومة المصرية . وفى ذلك الوقت كان قد تتلمذ على يد العلامة الروسى المتبت « جولنشيف » وكان تشجيع هذا العالم له حافزاً هاما من الناحيتين الأدبية والعلمية .

وفى عام ١٩٢٢ سافر إلى أوربا برفقة أحمد كمال لحضور احتفالات عيد الذكرى المئوية لعالم الآثار الفرنسى « شمبليون » ، فكشفت هذه الرحلة عن شخصية سليم حسن الوطنية وعن تعلقه بآثار بلاده ، ذلك التعلق الذى ظل ملازما له حتى النهاية ،

إذ إنه زار فرنسا وانجلترا وألمانيا ، وكتب عن زيارته عدة مقالات صحفية تحت عنوان « الآثار المصرية فى المتاحف الأوروبية » كان لها دوى كبير فى الأوساط المصرية ، لأنها كشفت عن طريق السرقة التى كانت متبعة فى نهب الآثار المصرية ، والتى لم يكن المصريون يعرفون شيئا عنها ، وكان لما ذكره بالأخص عن رأس « نفرتيتى » اهتمام خاص .

وقد سافر بعد ذلك فى بعثة عام ١٩٢٥ إلى فرنسا ، حيث التحق بقسم الدراسات العليا بجامعة السوربون ، كما حصل فى نفس العام على دبلوم اللغات الشرقية واللغة المصرية من الكلية الكاثوليكية ، وكذلك على دبلوم الآثار من كلية اللوفر ، وفى عام ١٩٢٧ حصل من السوربون على دبلوم اللغة المصرية ودبلوم فى الديانة المصرية القديمة . وفى العام نفسه عاد إلى القاهرة وعين أمينا مساعداً بالمتحف المصرى وانتدب بعدها لتدريس علم الآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم عين أستاذاً مساعداً بها .

وفى مستهل عام ١٩٢٨ اشترك مع الأستاذ يونكر عالم الآثار النمساوى فى أعمال التنقيب والحفر فى منطقة الهرم ، ثم سافر إلى النمسا وحصل على الدكتوراه فى علم الآثار من جامعة فينا .

وفى عام ١٩٢٩ بدأ وحده بأعمال التنقيب الأثرية فى منطقة الهرم لحساب جامعة القاهرة ، ولقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تقوم فيها هيئة علمية منظمة بأعمال التنقيب بأيد مصرية .

وقد توالت الكشوف منذ اليوم الأول ، إذ تم الكشف عن مقبرة « رع ور » الهامة . وواصل سليم حسن الحفر فى منطقة أهرام الجيزة ، ثم فى منطقة سقارة حتى عام ١٩٣٩ ، حتى بلغت جملة ما كشف عنه من آثار حوالى مائتى مقبرة ، عدا مئات القطع الأثرية الصغيرة ، وعدد كبير من التماثيل وغيرها ، وكان من أبرز كشوفه فى تلك المنطقة — مقبرة الملكة « خنت كاوس » وملحقاتها وهى التى اعتبرها هرما رابعا ، وكذلك سلسلة المقابر الخاصة بأولاد الملك خفرع وعظماء

رجال عصره ، ومراكب الشمس الحجرية للملكين خوفو وخفرع كما استطاع إماطة اللثام عن أسرار « أبو الهول » وهو موضوع هـذا الكتاب ، ولقد كان لهذه الكشوف صدى هائل فى جميع أنحاء العالم .

وقد عين فى أثناء ذلك وكيلا عاما لمصلحة الآثار المصرية وهو أول مصرى يتقلد هذا المنصب ، وبذلك أصبح المسئول الأول عن كل آثار البلاد .

وواصل سليم حسن إنتاجه العلمى بعد خروجه من مصلحة الآثار ، فأصدر موسوعة شاملة بالعربية عن تاريخ مصر القديمة بلغت ١٦ مجلداً من الحجم الكبير ومات قبل إتمامها ، كما وضع كتابا فى الأدب المصرى القديم أثبت فيه أن الأدب الاغريقى يرجع بأصوله إلى الأدب المصرى القديم ، وكتابا فى جغرافية مصر القديمة وأقسامها ، والبلدان التى بقيت تحفظ أسماءها ، كما أصدر بالانجليزية سبعة عشر مجلداً عن حفرياته فى منطقتى الهرم وسقارة ، وقد بلغت مؤلفاته حوالى الخمسين مؤلفاً .

وفى عام ١٩٥٤ عين رئيسا للبعثة التى كانت بتحديد مدى تأثير بناء السد العالى على آثار بلاد النوبة ، فوضعت تقريراً كان أول دعوة عالمية لإنقاذ آثار بلاد النوبة ، وأبو سمبل ، ثم استأنف المرحوم سليم حسن بعد ذلك أعمال الحفر والتنقيب فى منطقتى قسطل وبلانه ببلاد النوبة .

وفى عام ١٩٥٩ كلف المرحوم جرد المتحف المصرى ، وأشرف بنفسه رغم كبر سنه على تلك العملية الشاقة التى صعب على غيره التصدى لها ، فأتمها على خير وجه فى أقل من عام ، ثم عكف بعد ذلك على إنجاز أعماله العلمية ومؤلفاته الأثرية حتى وافته المنية فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٦١

لقد كانت حياة سليم حسن خصبة فى تحصيل العلم وفى نشره ، كما كانت ذات أثر فعال فى تمصير علم الآثار ، وكان رحمه الله يجمع إلى جانب قوة الشخصية والإرادة القوية ، عزة نفس فائقة ، وبساطة متناهية ، ولقد ترك لنا تراثا كبيراً من العلم والمعرفة ، سوف تستفيد منه الأجيال القادمة على وجه الزمن فى المستقبل القريب والبعيد .

وهـذا الـكتاب يبين لنا صفحة جليلة مما قام به من حفائر وأعمـال حول « أبو الهول » حتى استطاع أن يرغمه على أن يبوح بسره ، ويفصح عن ذات نفسه ، وأن يظهر على حقيقته أمام العالم أجمع بعد أن كان رمزاً للصمت والغموض، فلعل القارئ يجد فيه متعة ذهنية ، ومزيداً من العلم والمعرفة ، تحقيقاً لـا كان يبغيه عالمنا الراحل ، تغمده الله برحمته ، ومنحه من حسن المثوبة ما هو به جدير .

جمال الدين سالم

إلى ذكرى صديق :

الأستاذ پرسي ادوارد نيوبري

تمهيد

ليس بين الآثار القديمة الموجودة فى مصر ، ما هو أكثر إثارة للدهشة من صنم « أبو الهول » العظيم بالجيزة ، ذلك الأسد الهائل ذو الوجه الآدمى والذى يرنو أبداً عبر وادى النيل الخصيب مولياً وجهه شطر الشمس المشرقة .

من ذا الذى لم يسمع «بأبو الهول» ذلك الصنم الذى غدا اسمه رمزاً للغموض؟ على أن ملامحه التى تبدو فى صورة غير مألوفة قد لا تطيب فى عمل أقل قيمة فى مجال الفن — قد جعلت مظهره مألوفا لدى سكان العالم المتحضر كافة .

لقد ظل مثار اهتمام الشعراء والفنانين والموسيقيين ، وعلماء اللاهوت . ، والمؤرخين ، ولا يزال — برغم ذلك سراً مغلقاً على مدى العصور ذلك لأنه على الرغم من كثرة الكتاب الذين عالجو أمر « أبو الهول » فانه لم يعرف متى نحت ، ولأى سبب ، وماذا يمثل ؟ تلك أسئلة ظلت بغير جواب ، بل أدت إلى الزدياة على اشتهاره بالصمت الرهيب .

وأقرر أن « أبو الهول » كان دائما مثار دهشة بالغة فى نفسى ، بل كان من آمال حياتى المتصلة ، أن أكشف عن ذلك الأثر العجيب مقدراً أن طرق التنقيب المستحدثة قد تعين على كشف ما عجزت الطرق القديمة عن الوصول إليه من أسرار .

ومن ذلك يستطيع القارئ أن يتصور اللهفة التى دفعتنى إلى العمل فى ذلك المكان وقد كان مهوى النفس منذ وقت طويل ، وذلك عند ما فتح أمامى الطريق إليه فى عام ١٩٣٦ . وأود قبل الاسترسال فى الموضوع ، أن أتحدث قليلا عن موضوع التنقيب ، وأساليبه التى استخدمناها فى منطقة الجيزة ونستطيع — فى

إيجاز وجيز — أن نجمل الأساليب التي ينبغي أن تراعى في أعمال التنقيب المثمرة فيما يلي :

١ — لا تغادر موضعا دون أن تصل فيه إلى قراره (مستوى الصخر الطبيعي) أو إلى القرار البكر إذا خلت أرض الموضع من الصخر .

٢ — من الأفضل أن تسجل بالتصوير الشمسي كل أثر كما عثر به في مكانه الأصلي . واسلك نفس الطريق بالنسبة لسائر خطوات العمل مثبتاً كل ذلك في سجلات يومية .

٣ — حافظ بعناية على القطع الأثرية كافة ، فهي قد تبدو في كثير من الأحايين غير ذات موضوع ، ولكن العثور على أمثالها ونظائرها مما يبدو في إبانه عديم الصلة بها محتمل جداً — وما أكثر ما تبدو قيمتها حين يجمع بعضها على بعض .

٤ — بادر بنقل كافة النقوش (النصوص) حتى الناقص منها بغاية الدقة فتلك أغنى ما يعثر به الباحث ، وينبغي أن تدخر بعناية بالغة ما بلغت الجهود في سبيل ذلك .

٥ — كن يقظا (واعياً) فقد تدل الصفحة الرقيقة (الضئيلة) من الملاط وسط كتلة الطين بين سقط الرديم على اتجاه الجدار المنقض من اللبن . وغالباً ما يكون لكسرة الفخار الضئيلة أثر في إمكان لتأريخ الأثر الضخم العريض .

٥ — ينبغي أن تكون بعد كل ما ذكرنا واسع الإدراك ، فلقد يغدو ما بدا اليوم من الحقائق الثابتة شيئا غير ذلك في الغد القريب .

تلك هي القواعد التي اتبعناها فيما قمنا به من أعمال التنقيب .

وإني لأترك الحكم على مدى نجاحها أو إخفاقها للقارئ بعد الفراغ من قراءة الصفحات التالية .

ما أكثر المفكرين الذين ضحكوا مني حين بدأت العمل حول « أبو الهول » يرون عملي في هذا المكان بعد ما نهب غير مرة ، وبعد تكرار التنقيب فيه منذ القدم عبثاً من العبث ، لا يحتمل أن يأتي بجديد عن « أبو الهول » . ولقد كان

ذلك صحيحاً إلى حد ما ، فالتنقيب حول « أبو الهول » وقد وقع وتكرر ، ولكن السر ما زال سراً ، ذلك لأن « أبو الهول » أثر خلا من كل نقش كتابى ، سوى ذلك الشاهد من الجرانيت الذى وجد فى حجره ، والذى لا يعدو أن يكون إضافة وضعت بعد أن غدا « أبو الهول » من ودائع الماضى السحيق .

على أن ما تقدم ذلك[1] من بحوث قد كان منصباً على صنم « أبو الهول » نفسه ، وعلى محيطاته المباشرة تلك التى لا تجاوز شماله وجنوبه بغير أمتار معدودة ولكنى عقدت العزم على توسيع ميدان البحث ، وعلى أن أخبر كل شبر من الأرض فى كافة الجدر من حول الأثر .

وبدا أول الأمر أن ذلك عمل لا أمل فى التمتع بثمره ، ولكن المثابرة على العمل فى عزم صادق ، واستهانة بالعقبات والعمل على إزالتها التى اقتضت إزالة أكثر من ربع مليون متر مكعب من الرمال — قد قضت على كل أسباب الهزيمة ، وإنى لسعيد أن أقرر أن الجهود قد حققت أكثر مما كنت أؤمل ، بل إن أكثر الآثار التى بعثت (ظهرت) قد منحت ميدانا جديداً للبحث فى تقديس « أبو الهول » .

وبعد فإن الإقامة فى جوار « أبو الهول » عشر سنوات أنفقت كلها فى عمل يومى متصل ، وفى الدراسة بين آثار الدولة القديمة ، دراسة مستفيضة لسائر ما تقدم من أعمال تتصل « بأبو الهول » ، ثم بعد دراسة كل ما تقدم ذكره من مادة جديدة ، أعتقد أنه آن الأوان لعرض الحقائق أمام العالم كما رأيناها ، وأن نقدم إلى القارئ « أبو الهول » العظيم فى صحراء الجيزة كما ظهر فى ضوء البحث العلمى .

وشىء آخر ينبغى أن يضاف ، وهو أن إخراج هذا الكتاب لم يهدف به إلى وضع دراسة مستفيضة عن كل ما جمعت من مادة خلال أعمال التنقيب التى اضطلعت بها حول صنم « أبو الهول » . وإنما هو عرض مختصر للموضوع .

فأما الدراسة المفصلة للنصوص وللآثار التى عثر بها فى تلك المنطقة ، فيخصص لها جزء من تلك السلسلة التى أخرجها عن تنقيباتى فى الجيزة .

---

(١) بحوث سليم حسن نفسه .

وأرى من واجبي أخيراً أن أتقدم بالشكر إلى مدير المطبعة الأميرية حامد « بك » خضر ورجاله على ما قاموا به من عمل طيب ، وإني لأخص بأصدق الشكر حسن أفندى منيب الذى تحمل مشقة قراءة التجارب وتصحيحها بعناية ، كما قام بعمل الثبت .

كما أنه من الواجب الاعتراف بجهوده التى بذلها فى المطبعة لإخراج الكتاب فى هذا الثوب الفنى وشكره عليها .

القاهرة فى أغسطس ١٩٤٩ — سليم حسن

مقدمة

أبو الهول

تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة

يقع تمثال « أبو الهول » العظيم على مسيرة نحو عشرة كيلو مترات من القاهرة بجوار أهرام الجيزة المشهورة ، وهى مجموعة تشكل واحدة من أشهر عجائب الدنيا . ونرى قبل الدخول فى مناقشة ذلك الأسد الضخم ذى الرأس البشرى أن نختبر ما حوله من جوار .

إن ذلك الرأس الصخرى الذى يشكل (يكوّن) جبانة الجيزة يمثل قطاعا (هو قطاع) من أقصى طرف الهضبة الليبية ، وهو نجد مقفر من حجر الجير النميوليتى ، مرتفع عن مستوى سطح البحر نحو أربعين متراً ، ويشرف على منظر أخضر بهيج من وادى النيل الخصيب تحده على بعد سلسلة تلال المقطم .

إن أقدم قبور هذه الجبانة — فيما يظهر — هو مصطبة كبيرة[1] من زمان الأسرة الأولى موقعها على مسيرة ميل ونصف ميل تقريباً إلى الجنوب الشرقى من الهرم الأكبر كشف عنها « برزنتى » عام ١٩٠٤[2] .

وعلى مقربة من هذا القبر — ولكن على مستوى أعلى — مصطبة من زمان الأسرة الثانية يرجع تاريخها إلى عهد الملك « نتر – مو »[3] .

(١) هى بناء مستطيل الشكل منحدر الجوانب ، مستوى السطح ، يستعمل كمقبرة للنبلاء العظماء وخصوصا فى الدولة القديمة ، وسميت كذلك لأنها تشبه تلك المصاطب التى يبنيها الفلاحون أمام منازلهم فى وقتنا الحاضر .

(٢) راجع : Petrie, «Gizeh and Rifeh» P. 2.

(٣) Ibid, P. 7.

وعلى الرغم من كبر هاتين المصطبتين فانهما تبدوان ضئيلتين إذا قيستا بتلك الجبال الصناعية التى أقامها الملوك « زوسر » و « حونى » و « سنفرو » فى سقارة ودهشور وميدوم (حوالى ٢٩٨٠ - ٣٩٠٠ ق . م) ، ولا بد أن « خوفو » ثانى ملوك الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ ق . م) عندما اختار هضبة الجيزة لتشييد هرمه الضخم قد اجتمعت لديه أسباب مقنعة عديدة .

أولها : أن المكان مقدس لوجود تلك المقابر العتيقة التى أشرنا إليها .

وثانيها : أنه يضم محاجر عظيمة من الحجر الصلد الذى يتعذر الحصول عليه فى منطقة سقارة ذات الحجر الهش الردىء .

وفضلا عن ذلك فان هـذا النوع الجيل من الحجر قد كان فى أقرب موضع من المكان الذى أراد خوفو أن يبنى هرمه فيه .

وقد اتضح وجود تلك المحاجر القديمة فى أثناء أعمال التنقيب التى قمنا بها فى تلك الجهة ، وبذلك بطل الرأى القديم وما قام عليه من ادعاء باطل بأن الأحجار قد أتى بها لبناء الهرم من مكان بعيد ، وأن الشعب كله قد حشد مسخراً لهذا الغرض . والواقع أن قلع الأحجار قد استلزم جهداً ، أما نقلها فكان أمراً هيناً ، ولم يكن الرجال يعملون فى ذلك سوى أشهر ثلاثة ، وذلك حين تكون الأرض مغمورة بمياه الفيضان وحين تتوقف أعمال الزراعة . ولو لم يستخدم الرجال فى أعمـال المحاجر والبناء لتركوا عاطلين ، ولكان من المحتمل أن يهلكوا جوعا .

ومن ذلك يبدو أن « خوفو » كان محسناً باراً ، ولم يكن من القساة الطغاة كما كان يصور عادة .

كان حجر الجير الأبيض الذى يكسو الهرم يؤتى به من « طرة » وهى مكان لا يزال يشتهر بمحاجر الحجر الجيرى موقعه على مسيرة أميال قلائل إلى الجنوب من الجيزة وعلى شاطىء النيل الشرقى ، أما الجرانيت الذى استلزمته أعمال البناء فى الداخل فقد كان يؤتى بهـا من أسوان . وكانت هذه الأحجار تنقل على ماء النيل محمولة على سفائن معدة للنقل تتمكن أيام الفيضان من بلوغ سفح الهضبة .

ومن المناظر الباقية على جدران الطريق الصاعد إلى مزار وهرم الملك « وناس » — والذى كشفت عنه أعمال التنقيب التى قمنا بها فى صقارة — بعض صور لتلك السفائن وهى تحمل كتلا من العمد ومن ألوان الطنف من الجرانيت الأحمر التى لا تزال أصولها قائمة فى أطلال معبدى الجنازة والوادى عند هرم (وناس) منذ نصبت قبل أربعين قرنا [١] .

وقد أقام بقية ملوك الأسرة [٢] الرابعة وأشرافها مقابرهم فى جبانة الجيزة التى اشتقت اسمها من اسم هرم خوفو : « خرة — نتر — أخت خوفو » أى « جبانة أفق خوفو » وقد سميت هذه الجبانة فيما بعد : « راستاو » ويحتمل أن الإله أوزير رب الموتى قد اشتق منها لقبه : « سيد راستاو » (ومعنى كلمة « راستاو » الممر السفلى المؤدى إلى عالم الأموات وهو العالم الذى يسكنه « أوزير » ويسيطر على سكانه) .

وكل هرم ملكى يعتبر نواة للجبانة التى تدفن فيها أسرة الملك والنبلاء وكبار عماله ، فجبانة «خوفو» تقع إلى الغرب والشرق والجنوب من الهرم الأكبر . وجبانة « خفرع » تقع إلى الجنوب وإلى الشرق من الهرم الثانى ، وفى الجنوب الشرقى من هذا الهرم يقع الهرم الرابع الذى أقامته الملكة « خنت كاوس » [٣] ، ومدينة الهرم التى يسكنها الكهنة المكلفون بأداء الشعائر الجنازية للملكة . وموقعها فى شرقى الهرم ومن حولها جبانتها ، كل هذه الأقسام المختلفة من الجبانة متداخلة يطوى بعضها بعضاً .

---

(١) لكل هرم فى عهد الدولة القديمة معبدان : أحدهما ملتصق بالهـرم من الجهة الشرقية ويسمى المعبد الجنازى والثانى عنـد حافة الأراضى المزروعة من الجهة الشرقية للهرم ويدعى معبد الوادى ، وكان زائرو الهرم يأتون من معبـد الوادى فى طريق مبنى حتى المعبد الجنازى ، وفيـه كانت تحتفل الكهنة بتقـديم القربان عند الباب الوهمى الذى كان مقاما فى هذه الجهة .

(٢) فيما عدا كل من « ددفرع » و «شبسسكاف » .

(٣) راجع : Selim Hassan. «Excavation at Gizeh» vol. IV.

ويقع صنم «أبو الهول» نفسه عند الحافة الشمالية الشرقية من الجبانة فى منخفض صخرى تخلف عن عملية قطع الأحجار لبناء هرم «خوفو». وكان المكان «لأبو الهول» ومعبده يعرف فى الزمن القديم باسم «ستبت» ومعناه (المكان) «المختار»، وإلى الشرق والجنوب تقع القريتان الحديثتان «نزلة السمان» و «كفر البطران» وكانت الأولى تسمى قديماً «بوصير».

فلنتريث الآن بعض الوقت فى «المكان المختار» لنرى «أبو الهول» فى ضوء أعمال التنقيب ماضيها وحاضرها.

الكشف عن «أبو الهول»

فى العصور القديمة

إن أول شاهد تاريخى على التنقيب حول « أبو الهول » يرجع إلى عهد « تحتمس الرابع » أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة (حوالى ١٤٢٠ ق . م) وهو قد سجل عمله ذاك على لوحة من الجرانيت أقامها أمام صدر الصنم ، أزال هذا الفرعون الرمال عن « أبو الهول » وأقام حوائط من اللبن من حوله لتحفظه من طغيان الرمال ، وقد كشفنا عن جزء كبير من هذه الحواجز فى أثناء قيامنا بأعمال التنقيب ، ورأينا أن بعض قوالب اللبن فى بنائها موسومة باسم « تحتمس الرابع » مما يقطع بصحة زعمه .

وفى فقرة من رسالة توصية موجهة من أحد الرؤساء إلى مرءوسه مايدل على أن « رمسيس الثانى » من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) قد قام ببعض إصلاحات فى « أبو الهول » وهاك نص ما ورد فى الرسالة :

« لقد سمعت أنك أخذت ثمانية عمال كانوا يعملون فى بيت « توت » التابع لرمسيس مرى أمون له الحياة والصحة والفلاح بالصدق فى « منف [١] » وينبغى عليك أن ترسلهم ليقطعوا أحجاراً « لأبو الهول» فى « منف » [٢] .

والعجيب فى أمر هذه الرسالة أن تحمل أمراً من « رمسيس الثانى » بقطع أحجار من المحاجر ، فقد اعتاد رجاله سرقة الأحجار من الآثار القائمة . فقد وجد « بترى » أن أساس معبد « بتاح » الذى أقامه رمسيس الثانى فى « منف » كان من الجرانيت المسروق من كسوة الطبقات السفلى للهرم الثانى [٣] .

---

(١) اسم المعبد .

(٢) Sphinx in Memphis.

(٣) Petrie. «Memphis,» P. 6.

هذا أحد رجال العمارة من زمانه وكان اسمه « ماى » يتخذ من الهرم الثانى ومعبده محجراً يستمد منه الحجر لبناء معبد فى « هليوبوليس » ، ولا يستحى من ذكر ذلك بل يسجل مشهدين على جريمته .

وأولهما : بانى المعبد المسمى « رمسيس يشرق فى البيت العظيم الخاص بالأمير » هو المرحوم « ماى » ابن مدير الأعمال « باك ـ ان ـ أمون » الطيبى المسمى « بامنو »[1] .

وثانيهما : مدير الأعمال بدار « رع » (هليوبوليس) « ماى »[2] .

ويجرؤ « ماى » هذا فيقرب « لأبو الهول » لوحتين كشفت عنهما أعمال التنقيب التى قمنا بها .

ومن المحتمل أن الأحجار التى أمر « رمسيس » بقطعها « لأبو الهول » استخدمت فى كساء مخلبية ، وقد تآكلت بفعل التعرية .

وليس لدينا دليل على تنظيف ما حول « أبو الهول » خلال العصر الصاوى وهو عصر النهضة فى مصر (٦٦٣ ـ ٥٢٥ ق.م) .

وهذا غريب فى عصر نظر فيه بعين الاعتبار والتقدير للآثار .

ومن الجائز أن السور الذى بناه (تحتمس الرابع) حول « أبو الهول » كان لا يزال قائماً وكانت ترمم صدوعه عند حدوثها ، فصمد على الزمن للرمال وحمى « أبو الهول » منها .

وزار « هردوت » مصر أيام الاحتلال الفارسى (٥٢٥ ق.م) ومن الغريب أنه تجاهل « أبو الهول » تماما على الرغم من أنه قد أفاض فى الحديث عن الأهرام . وعلى الرغم من أن تقديس « أبو الهول » كان مزدهراً فى ذلك الوقت ، ولدينا وثائق عن كهانه .

وقد أجريت أعمال كثيرة حول « أبو الهول » فى العهد الإغريقى الرومانى (من ٣٠٦ ق.م إلى ٢٨٤ م) تدل عليها الآثار التى وجدت بجواره .

---

(١) نقش هذا المتن على وجه الحدر الصخرى فى الجهة الشمالية من الهرم الثانى .

(٢) نقش على الحدر الصخرى من الجهة الغربية للهرم الثانى .

ويحتمل أن الكساء السطحى البشع فوق مخلبيه قد وضع فى أيام الرومان .

وفى عهد كل من « مارك أوريل » (١٦١ - ١٨٠ للميلاد) وسبتيمس سفروس (١٩٣ - ٢١١ للميلاد) رمم طوار الفناء عند « أبو الهول » ، وفى زمان كل من أنطونيوس (١٣٨ - ١٦١ للميلاد) وفيروس (١٦١-١٦٩ للميلاد) قويت الجدران الحاجزة للرمال .

وثبت ذلك من نقوش وجدت بجوار « أبو الهول » مباشرة [1].

وفى خلال هذه العهود ذاعت شهرة « أبو الهول » كمكان عام للحج ، واستمر أمره كذلك حتى نهاية عهد الوثنية (أى إلى القرن الرابع للميلاد) ولم نعد نسمع عنه بعد ذلك إلا قليلا ذلك لأنه أهمل فطمرته الرمال حتى عنقه وبقى كذلك حتى العصور الحديثة ، وظلت مع ذلك بقية من تقديس « أبو الهول » تظهر فى تقاليد القاطنين حوله ذكرها مؤرخو العرب .

---

(١) راجع : VYSE, «Operations Carried on at the Pyramids,» vol. III. P. 119.

أعمال التنقيب الحديثة

من المفروض أن مهندسي حملة نابليون على مصر قد أجروا تنقيبات هامة أمام « أبو الهول » ، وأنهم فى اللحظة الأخيرة التى أجبروا فيها على وقف العمل قد كشفوا عن باب ، وقد أنبأ بعض سكان المنطقة الذين ادعوا أنهم عاصروا هـذا الكشف « مريت » أنهم رأوا هذا الباب وقالوا إنه يؤدى إلى جوف «أبو الهول» وقد غالى بعضهم فادعى أنه يؤدى إلى الهرم الثانى .

ومن المحتمـل أن ما رأوه فعلا لم يكن إلا تلك اللوحة الجرانيتية التى أقامهـا « تحتمس الرابع » والتى بدت لحكم المجتهد القليـل الدربة مشابهة للباب ، أما التفاصيل فمصدرها الخيال الجامح والأمل فى مكافأة سخية .

وفى عام ١٨١٦ شرع كابتن كافجليا فى الكشف عن « أبو الهول » مبتدئا من الشمال بحفر خندق ومتجها نحو كتف الصنم ، وقد عالج كثيراً من العقبات ، كما تعرضت حياته وحياة عماله للخطر بسبب السافيات التى يخشى أن تدفع الرمال إلى الخندق فتدفنهم جميعا ، ولكنه استطاع — مستعينا بكتل الخشب يحجز بها سفى الرمال — أن يبلغ قاعدة الصنم ، وبهذا استطاع أن يقيس ارتفاع الأثر من القاع المرصوف حتى قمة الرأس ، ولاحظ طبقتى الكساء فوق الجسم والمخلبين وبقايا اللون الأحمر الذى كان ملونا به .

وكان اتساع الخندق الذى يعمل فيه مع عماله عشرين قدما فى أعلاه ونحو ثلاث أقدام فقط عند القاع ، وقرر كافجليا أن يتوقف عن العمل إلى حين لما لوحظ من قيام الخطر الدائم ، وعاد أخيرا ليضطلع بأعمال التنقيب على نطاق واسع أمام «أبو الهول» ، واستخدم من العمال عددا يتراوح بين الستين والمائة ، وظل يعمل من أول مارس حتى نهاية يونيه . وكان أول كشف قيم عثر عليه هو قطعة من لحية

« أبو الهول » وتلا ذلك العثور على رأس التاشر من فوق جبينه . وبعد مدة قصيرة كشف عن لوحة الجرانيت التى أقامها « تحتمس الرابع » كما كشف عن اللوحتين المنحوتتين من الحجر الجيرى اللتين أقامهما « رمسيس الثانى » فى معبد صغير يقع بين مخلبى « أبو الهول » .

وهناك وجد تمثال لأسد من الحجر فى مكانه الأصلى كأنه يحرس مدخل هذا المعبد كما عثر على قطع من تماثيل أسود أخرى ورأس صنم صغير «لأبو الهول».

وكانت هذه البقايا وكذلك مبنى المعبد ملونة باللون الأحمر .

وأخذ فى الحفر شرقا فلم يلبث حتى عثر بمذبح من الجرانيت بين مخلبى «أبو الهول» وذكر كافجليا « أن هذا المذبح كانت عليه آثار النار عند الكشف عنه » ، وافترض أنها من مخلفات الضحايا المحروقة ، وجدير بالذكر فى هذه المناسبة أننا رأينا على بعض الشواهد التى كشفنا عنها أن المتعبدين ممثلون وفى أيديهم قرابين محروقة يقربونها «لأبو الهول» (شكل ١٣ ، ١٤) .

وتمكن كافجليا بعد كثير من العناء ، وتحت تهديد الخطر المتصل من جراء نقل الرمال ـ أن يمضى مشرقا على طول المخلبين حتى يحررهما مدونا ما كان مسجلا عليهما من الخربشات الاغريقية ومواصلا اتجاهه نحو الشرق أكثر من مائة قدم ـ وهنالك بلغ سلما يستلفت النظر يتألف من ثلاثين درجا تنتهى إلى مرسى يرتفع منه مرقى آخر مكون من ثلاثة عشر درجا تبلغ مستوى النجد .

ويكتنف هذا السلم طواران من اللبن يرجع إلى عهد متأخر جدا وبه أحجار أخذت من أبنية إغريقية مجاورة ، وعلى المنتهى الذى يؤدى إليه السلم وجد بناء صغير يشبه صليبا يتوسط منبر كنيسة ومنصة مناد ، وقد حلى بعمودين لا يكسبانه شيئا من طلاوة ، وعليه قصيدة مسطورة فى مناقب « أبو الهول » .

ولقد تمكن كافجليا ـ قبل ترك العمل ـ من تأثر الطريق المؤدى إلى « أبو الهول » نحو مائة وست وثلاثين قدما أخرى ، وبين أنها تحاكى طريقا صاعدا (حدراً) يكتنفه من الجوانب جدار من لبن .

ويظهر لنا من ذلك أن المعبد الذى نعرف اليوم أنه كان مقاما أمام «أبو الهول» لا بد أن يكون قد طمرته الرمال من زمن مبكر جداً ، وأكبر الظن أنه اختفى قبل زمان الأسرة الثامنة عشرة ، ذلك لأن « أمنحتب الثانى » حينما شيد معبدا شمالى «أبو الهول» فى عام ١٤٤٨ ق. م. قد وضع أسسه على نحو يجعله مقبرة فوق الطرف الغربى للممر الشمالى للمعبد القديم ، ولابد أنه كان غاصا بالرديم لتمكنه من ذلك . ومن ثم يبدو أن الناس فى العهد الرومانى قد بنوا السلم والحدر فوق رقعة المعبد القديم كلها غير عالمين بوجوده بتاتا .

وقد اختفت جميع الآثار التى كشف عنها « كافجليا » حاشا الجزء الأسفل من لوحة الجرانيت وحاشا اللوحتين من زمان رمسيس الثانى ، بعثر بعضها بين متاحف العالم واندثر بعضها الآخر .

وقد أرسل « هوارد فيز » لوحتين من زمان رمسيس إلى انجلترا ولكن إحداها ترى الآن فى متحف اللوفر بباريس ولا ندرى سر ذلك[1] .

وفى عام ١٨٥٣ شرع « مريت » فى فحص « أبو الهول » ولكنه لم يقم حين ذاك بكشف شامل عن هذا الأثر فجاءت معظم الأحكام التى انتهى إليها خاطئة.

فى بعض رأيه أن « أبو الهول » كان إحدى ظواهر الطبيعة الصخرية ، وأن كل ما للمثال فيها من عمل هو تلك اللمسات التى يرى أنه أجراها بمهارة فى ملامح الوجه ، وأن الكساء المزدوج الذى يغطى الجسم والمخلبين إنما وضع منذ البداية وقصد به إخفاء ما فى الصخر الطبيعى من عيب . ويرى « مريت » أن الأثر قد رمم مرات عدة : أولاها فى عهد « تحتمس الرابع » ثم فى فترات متقطعة كان آخرها فى العهد الإغريقى الرومانى وهو ذلك الترميم الذى أظهره فى شكل غير جميل وفى رأى مريت أن اتصال تلك الإضافات من الأكسية البنائية قد كانت السبب فى فقدان التناسب بين الرأس والجسم والمخلبين . وقصدا إلى معرفة السر فى وجود الحجرات (المسدودة المغلقة) على جانبى « أبو الهول » رأى مريت رأيا فاسدا ، وهو أنها قد عملت ليرتكز عليها انحناء البطن وهذا يخالف من غير شك الحقيقة الظاهرة ، ذلك أن جانبى الصنم يستويان مباشرة على الأرض بكامل امتدادها .

---

(1) راجع : Boreux Guide. «Antiquités Egyptiennes,» vol. I, P. P. 62—63.

ويشارك « مريت » غيره فى الاعتقاد بوجود قاعة خفية بداخل « أبو الهول » أو تحته ، وأنكر حقيقة وجود قاعـدة يستوى عليها أبو الهول كما يبدو غالباً مرسوماً على اللوحات ، ويظهر أن « مريت » كان يجهل فضـلا عن ذلك تماما وجود معبد « أبو الهول » فلقد بين « أن الأثر قد صمم على نطاق كبير مفتقراً إلى التفاصيل حيث كان الغرض من إنشائه أن يرى من بعد » .

ومن آرائه الخطيرة كذلك أن الرمال التى رآها تغطى « أبو الهول » حين رآه لم تكن من سفى الرياح ولكنها وضعت بفعل الإنسـان ولـكنه لم يذكر لنا من الذى وضعها ؟ ولم وضعها ؟ ومتى وضعها ؟ .

وعلى الرغم من ذلك فان أعمال « مريت » كانت خطوة مصوبة ولا شك أن معظم الأخطاء التى وقع فيها ترجع إلى أنه كان يشتغل فى مجال غير واضح المعالم . ومن المستحيل تكوين فكرة دقيقة عن أى أثر إلا بعد الكشف عنه وعما حوله وتحريره من رمال ورديم إلى مستوى الصخر الأصم .

وفى التقرير الذى نشره « مسبيرو » عن أعمـال التنقيب التى قام بها حول « أبو الهول »[1] أقدم تاريخ لهذا الأثر بالقدر الذى وصلت اليه معلوماته غير أنه لم يضف جديداً إلى الحقائق التى نشرها « كافجليا » ومن بعده « مريت » .

ويروح من بعد ذلك فيقص علينا من أنباء الدافعين اللذين حديا به إلى الاضطلاع بالكشف عن « أبو الهول » ، الأول أن أعمال مصلحة الآثار فى الوقت الذى بدأ فيه حفائره كانت مخصصة لمناطق الصعيد ولم تكن رؤيتها بذلك متاحة للسائحين الذين لا يعدون القاهرة ، هنالك شعر بايجاد شىء ذى بال يستلفت نظر أولئك الناس ، وقرر أن أحسن ما يمكن أن يهدى إليهم من متعة هو رؤية « أبو الهول » بعد الكشف عنه .

والسبب الثانى كما أوضحه هو أن « أبو الهول » « لم يبح لنا بكل أسراره » ، فهو يذكر كيف أن « بلينى » (٢٣ ق . م) وفقاً لحكم اسكندرى يرى أن « أبو الهول » يضم قبر الملك « حرمخيس » .

واعتقد كتاب العرب كذلك أن « أبو الهول » يغطى حجرة تحت الأرض يتوقعون أنها زاخرة بالكنوز .

(١) راجع : Maspero, «Etudes de Mythologie Egyptiennes,» vol. I. P. 256.

تلك كانت بعض الفكر التى حفزت كافجليا على القيام بحفائره حول «أبو الهول» ، كما أن بعض المسنين من سكان تلك المنطقة دلوا « مسبيرو » على ثقب أحدثه « بيرنج » فى ظهر « أبو الهول » كمشروع لمحاولة الوصول إلى تلك الحجرة الخفية المزعومة . وجعل « مسبيرو » يعلل النفس بالآمال فى العثور على نواة من صدق فى الرواية المنسوبة إلى « بلينى » أو إلى كتاب العرب .

ويبدو « أبو الهول » الكبير فى الآثار التى صور عليها (راجع شكل ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) رابضا فوق قاعدة يبلغ ارتفاعها ارتفاع التمثال نفسه ، وتبدو فى بعض الأحايين محلاة بنوع من المقلمات المحببة إلى رجال العمارة فى عهد الدولة القديمة (حوالى ٢٩٠٠ — ٢٦٧٥ ق. م) .

ولم يكن رجال الفن من المصريين يغيرون شكول آلهتهم أو هيئاتها لمجرد هوى فى نفوسهم ، فاذا كان أبو الهول قد مثل رابضا على قاعدة ، فمن المحتمل أنه قد كان كذلك . ولكن هـذا لا يعنى أنه كان يربض على قاعدة مكعبة منفصلة من كل جوانبها أو من جانب واحد فقط على غرار قاعدة التمثال العادى بل كان يكتفى بأن يقطع الصخر رأسيا من ثلاثة جوانب أو من جانب واحد فقط وهو الذى يواجه السهل ، لأن المصريين كانوا يعتبرونه جاثما على قاعدة كما هو ممثل على لوحة « تحتمس الرابع » .

وإذا سلمنا بوجود قاعدة لتمثال « أبو الهول » فان القصة التى رواها « بلينى » لن تكون مستحيلة من حيث وجود القبر لا فى جوف الصنم ولكن فى الصخرة المستطيلة التى يربض من فوقها .

وإذا لم يكن محتملا وجود القبر فإن « مسبيرو » قد كان كبير الأمل فى العثور على بعض الحقائق الخاصة « بأبو الهول » فهو قد قدر أن الرمال التى أمكن أن تغطى «أبو الهول» نفسه فى سرعة سريعة ، كانت أكثر سرعة فى تغطية القاعدة ، فمن يدرى لعلها كانت مختفية منذ زمان خفرع .... ومن المؤكد أيضا أنها كانت كذلك أيام تحتمس الرابع الذى لم يعد فى الهبوط مستوى المخلبين .

وقد ذكر « مسبيرو » أن « أبو الهول » كان أقـدم أثر فى مصر ، وطال جدله حول القاعدة مقدراً أنه إذا جاز أن تحفر فى مثلها قبور فينبغى أن تكون قد غطيت منذ زمن بعيد ، قد يسبق زمان الأهرام وأن يد العدوان قد ضلت بعضها .

وأشار بعد ذلك إلى ما يمكن بناء على تلك النظريات أن يفتح من ميدان لبحث جديد وأوصى بما ينبغى لمثل هذا الموضوع من عناية حين يقول :

« ليس أسهل من اتباع الفرض بالعمل ، وقد وصل التطهير حول «أبو الهول» إلى القاعدة الصخرية التى استقرت عليها قوائمه . وكل ما يحتاج إليه الأمر هو الخندقة إلى عمق غير بعيد عن يمين الصنم وعن يساره ثم من الأمام بخاصة حتى درج هدريان . فإذا اصطدم الباحث بالصخر ، بطل الفرض ، وحسبه من العمل إظهار الكشف عن أعجب الآثار . وإذا كان العكس وبلغ الباحث الرمل فأوغل فيه نحو ثمانية أو عشرة أمتار تحت مستوى القوائم ، فإن القاعدة قائمة ، وما ندرى ماذا يأمل الباحث أن يجد بعد ذلك » .

ولم يبق أمام « مسبيرو » بعد الاطمئنان إلى تلك الفروض سوى الزحف على « أبو الهول » ولكن قامت فى وجهه عقبات تتمثل فى قصور ما بيده من اعتمادات مالية كان يتردد فى استخدامها فى عمل قد لا يأتى بما ينتظر من نتائج . وهنالك وجد السبيل إلى الخلاص من تلك العقبات فى الالتجاء إلى كرم الجماهير ، فوجه نداء باسم«أبو الهول» كما فعل من قبل فى عام ١٨٨٤م بشأن أعماله فى الأقصر،وتعهدت صحيفة « ديبا » بافتتاح الاكتتاب لهذا الموضوع فى فرنسا ، واستغل الكاتب « رينان » بلاغته الفائقة فى الدعاية لأعمال التنقيب وما يمكن أن يكون لها من ثمار ، وكان المبلغ المطلوب ١٥٠٠٠ فرنك ، وظن « مسبيرو » أنه كاف لتنفيذ الخطوة الأولى ، وقد جمع هذا المبلغ وتم وضعه تحت تصرف « مسبيرو » فى ثلاثة أيام .

وكان منهاجه فى العمل ينحصر فى تنظيف ما حول « أبو الهول » حتى مستوى الصخر قاصداً بذلك أن يعيد الأثر إلى ما كان عليه فى منتصف القرن الثانى الميلادى فالجدران المنقضة ينبغى أن تقام فى مكانها لتقاوم زحف الرمال ، ويمكن ادخار مئات قليلة من الفرنكات للإنفاق على نظافة الأثر سنويا . وحين تم هذا التطهير شرع فى عمل مجسات للتحقق من وجود القاعدة أو عدمها ، وكان عزمه إذا عثر على القاعدة أن ينادى بفتح اكتتاب آخر ليمكن — كما أشار — أوروبا كلها من فرصة المشاركة فى شرف الكشف .

على أن مبلغ الـ (١٥٠٠٠ فرنك) لم يكف إلا بالجهد لإزالة ذلك القدر الضخم من الرمال ، ورؤى أن من الضرورى تعديل ما كان متبعا من نظام العمل . ففيما سبق كانت المخلفات المنتزعة من حول الآثار تكوم فى ميدان التنقيب عن يمين وعن يسار . وأصبح الآن من الضرورى نقلها إلى أبعد المواضع الممكنة فى الوادى لتتمكن مياه الفيضان الجديد من حملها إلى مكان بعيد .

واستطاع « مسبيرو » أن يشترى طقماً من عربات النقل ونحو ثمانمائة متر من القضبان بثمن زهيد ، وبدلا من نقلها إلى الأقصر كما كان ينوى ، أحضرها إلى الجيزة فى أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٥ م ، وحفر أول خندق فى الأسبوع الثانى من شهر يناير سنة ١٨٨٦ كان رأسه على مسيرة نحو خمسين متراً من صدر « أبو الهول » .

ولم يكد يبدأ العمل حتى استدعته واجبات منصبه باعتباره مفتشا بمصلحة الآثار إلى الصعيد واضطر إلى ترك العمل فى رعاية رؤساء الحراسة فى منطقة الهرم وتحت إشراف «بروكش بك» أمين المتحف المصرى ، ولم يكن ترك العمل بعسير عليه لاعتقاده أن تنفيذ العمل المطلوب لا يحتاج إلى مهارة أثرية كبيرة إذ إنه لا يتعدى إعادة إظهار القاع التى كشف عنها من قبل « كافجليا » و « مريت » .

وقد قام « بروكش بك » بالعمل الذى عهد إليه خير قيام ، غير أنه مل بعد أن نقب خمسة عشر يوما دون أن يصل إلى السلم الرومانى ، فنقل العمل إلى أسفل ذقن « أبو الهول » وسرعان ما ظهرت النتائج ، فإن معظم ما كشف عنه « كافجليا » أى لوحة تحتمس الرابع والمعبد الصغير الواقع بين مخلبى « أبو الهول » قد ظهر للعيان ثانية .

ولقد أدى تعديل الخطة الأصلية التى رسمها « مسبيرو » إلى نتائج متباينة ، بين خيبة الأمل بسبب الزيادة الملحوظة فى النفقات ، وابتهاج السائحين وسكان القاهرة بما أثار اهتمامهم بأحلام « مسبيرو » الأفلاطونية فحسب ، باستثناء عقيد فى الجيش الهندى أظهر استعداده للتبرع بمبلغ كبير نسبياً وجعله تحت تصرف المستر « مونكريف » لمواصلة العمل ولم يتبرع أحد سواه .

ولقد أنكر الفلاحون والقاهريون على السواء وما زالوا ينكرون أن التنقيب كان قاصراً على البحث العلمى ، وانبعثت من أنباء أقدم الكتاب العرب كالمقريزى

والبغدادي عشرون رواية تتحدث كلها عن كنز دفين ، وكان « مسبيرو » — طبقا لأوثق التقارير — يبحث عن قدح « سليمان بن داود » الذى كان مدفونا تحت « أبو الهول » ويقال إن هذا القدح كان قد صيغ من قطعة واحدة كبيرة الحجم من حجر الجزع ، وكانت له خصائص فريدة ، إذا صب فيه سائل أخذ يدور توا ، فإن دار يمينا كان ذلك بشير فلاح ، وإن دار يسارا كان ذلك نذير شر . ولم يذكر كيف اتفق لقدح « سليمان » أن يختفى تحت « أبو الهول » . والأمر على كل حال لم يعد دعابة مرة كأنما دستها عفاريت الجن على « مسبيرو » فهو لم يعثر قط على ذلك القدح الغامض الجليل الخطر .

الجزء الأول من منهاج « مسبيرو » كان إذاً يسير فى طريق التنفيذ بصورة مرضية ، ولكن لوحظ فى منتصف شهر مايو أن عربات النقل والقضبان كانت قاصرة ، ومن ثم ابتاع « مسبيرو » مجموعة من عربات الدوكوفيل أكبر وأقوى من سابقتها ، وذكر كيف كان أسفه عظيما لأنه لم يستخدمها من قبل ، وكانت هذه الصفقة إحدى أعماله الإدارية الأخيرة وكان يرى أنه لو استحوذ عليها من قبل لكان من الممكن أن يقوم بكثير من أعمال التنقيب التى اضطر إلى صرف النظر عنها .

وكانت أعمال التطهير قد تمت أو كادت عندما سرح العمال إلى ديارهم فى الصعيد حيث كان الأمل قد انقطع فى العثور على جديد .

ويقرر « مسبيرو » — آخر الأمر — أنه كان يرى ضرورة مضى شهور طويلة قبل الوصول إلى شيء جديد ذى قيمة أو التحقق من صدق نظريته أو عدمه . وبعد استدعائه عهد بأعمال الحفر حول «أبو الهول» إلى « جريبو » الذى كشف عن الجدران التى فحصها « مريت » عام ١٨٨٨ ثم ترك أعمال التنقيب قبل أن يموت بأسابيع قليلة ، وبذلك بقيت مسألة « أبو الهول » كما تركها « مسبيرو » من غير حل .

ولسوف يتضح من ذلك أن «مسبيرو» كانت تداعبه فكرة العثور على حجرات تحت الأرض وكنز دفين . ولكنه مع ذلك كان أول من حاول الكشف عن « أبو الهول » بما يشبه الطرق العلمية الحديثة .

وإنه لمن سوء الحظ أنه لم يهتد إلى الأسلوب السليم فى العمل إلا قبيل نهاية خدمته ، على أننا لا نستطيع أن نشاركه فى اطمئنانه إلى ترك العمل تحت رعاية رجاله من رؤساء العمال مهما تكن كفايتهم . إن على عالم الآثار عبئاً ثقيلا ، يتمثل فى واجبه إزاء أهل الماضى وإزاء معاصريه ، ولن تتم تأدية ذلك فى أمانة تنصفه إلا بتخليص ما طمرته الرمال واختفى منذ زمن بعيد .

وتلا ذلك أقصر فترات الركود التى تخللت العمل فى التنظيف حول «أبو الهول» وفى عام ١٩٢٥ عهدت مصلحة الآثار أمر القيام بالتنقيب هناك إلى المهندس باريز .

والواقع أن « باريز » قد حرر «أبو الهول» فى كل جانب غير أنه بدلا من نقل الرمال بعيداً أقام ما يشبه الجسر الضخم من الحوائط لمقاومة زحفها ، ولقد كانت إزالة هذه الجدران من أشق الأعمال علينا (عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧) عندما أصبح من المحتم هدمها ، وإنى لأعتقد أن السيد « باريز » قد يستوحى فكرة الأبدية عند البناء من آثار الدولة القديمة .

وهنالك اتضح مقدار ما كانت عليه حال أبو الهول من سوء ، فبالإضافة إلى فعل الرمال فى تحت الأجزاء الهشة من الصخر ، والإحاطة بالعنق حتى رق ودق بحيث أصبح من أقرب الاحتمالات أن تهوى أول عاصفة قوية بالرأس إلى الأرض فتسحقه . ثم إن الحماقة التى ارتكبها « بيرنج » بما نقر فى الأثر من تجاويف كانت مصدر خطر جسيم أيضاً ، إذ تتجمع فيها المياه من أمطار الشتاء فتسبب تشققاً فى الحجر ، وتقرر من أجل ذلك القيام بترميم من شأنه أن يصون الأثر دون تشويه ، وكانت النتائج فى رأيى داعية إلى الإعجاب فقد ملئت عدبة غطاء الرأس بأحجار جيرية جعلته كالأصل وصار بمثابة دعامة يرتكز عليها ثقل الرأس العظيم ، وقد حشيت التشققات التى كانت ظاهرة فى الوجه والتى كان اتساعها يزداد كل عام وكسيت باللون الأحمر لتضارع ما بقى من مظهر ، كما ملئ ثقب كان يبدو فى رأس التمثال ، وجب كان فى الظهر ، وكذلك الفجوة التى بين ظهر اللوحة وصدر « أبو الهول » وقد ركبت عليها أبواب من الحديد سدتها سداً محكما .

ومن الممكن أن يقال الآن إن «أبو الهول» قد غدا فى حالة مطمئنة أكثر مما كان فى أى وقت مضى منذ أن أدى له آخر كاهن صلاة الوداع .

وقد كشف السيد « باريز » خلال تنقيباته حول « أبو الهول » ومعبده، بعض آثار هامة تضم لوحات من العصر الإغريقي الروماني وقطعة من الحجر الجيري يظهر أنها جزء من طنف نقشت عليه خراطيش « رمسيس الثاني » وبعض ودائع الأساس من معبد أمنحتب الثاني الذي لم يكن قد كشف عنه يومئذ. وودائع الأساس تشمل عادة آلات نموذجية وأدوات وأواني حقيقية أو قرابين نموذجية، وعينات صغيرة للمواد التي تستعمل في البناء، وعدة لوحات مكتوب عليها اسم صاحب البناء وكانت هذه الأشياء تدفن في حفرة صغيرة في أحد أركان أساس المعبد أو القبر على رقعة من الرمل النقي، وكان الغرض من تلك العادة أن يحظى المعبد بطريقة سحرية بمدد لا ينفذ من المواد اللازمة لصيانة المبنى الذي وضعت فيه. وودائع الأساس التي كشف عنها « باريز » تحتوي على مجموعة من الأواني النموذجية من المرمر، عليها نقوش محشوة بمادة من الطلاء الأسود. وهذه النقوش موحدة على كل هذه الأواني وهي:

« الإله الطيب عاخبر ورع (أمنحتب الثاني) محبوب الإله « حور اختي[1] »
ووجد كذلك لوح بيضي الشكل من المرمر يحمل نفس ما على الأواني من نقوش وبعض آلات نموذجية من النحاس وكمية عظيمة من الفخار ذات أشكال عدة.

وكشف « باريز » عن ثلاث لوحات من مجموعة نصبها تحتمس الرابع وستناقش بالتفصيل في موضع آخر، ولوحات أخرى لبعض أفراد. وقد كشف كذلك عن مجموعة من النذور تتمثل في دمى « أبو الهول » مصنوعة من الحجر الجيري والجص ملونة باللون الأحمر والظاهر أن هذا اللون كان اللون التقليدي لتمثال « أبو الهول». وشيء آخر من الآثار ذات الأهمية التي عثر عليها يتمثل في مدخل باب من الحجر الجيري لبناء من اللبن عليه متن، فيه ذكر « أبو الهول » باسم « حورنا » وهو اسم أجنبي سوف يناقش موضوعه فيما بعد.

وقد قام السيد « باريز » - كما مر - بتنظيف بعض أجزاء المعبد الكبير من أيام الأسرة الرابعة والواقع أمام تمثال « أبو الهول »، وأشعر أننا مصيبون حين نسميه «أبو الهول» ولو لم تكن له علاقة ظاهرة بذلك الأثر بحق معبد.

---

(1) اسم « حور اختي » يعني الاله حور في الأفق وهـذا الاسم كان يطلق فقط على أبو الهول العظيم الرابض في الجيزة.

معبد «أبو الهول» من الأسرة الرابعة

إن موقع هذا المعبد فى مواجهة «أبو الهول» مباشرة هدانا إلى أن نسميه معبد «أبو الهول» وقد كان هذا الاسم يطلق قبل إذ على معبد الوادى الخاص بخفرع ذلك لأن علماء الآثار الأوائل قد جهلوا طبيعته الحقة. ومعبد «أبو الهول» بناء ضخم من الطراز الخاص بالأسرة الرابعة، وهو يقع على مسيرة قصيرة من شمالى معبد الوادى للملك «خفرع». ويبدو بقدر ما تشير الواجهة أنه قد رسم على نفس الطراز، والمعبدان يواجهان الشرق ولكل منهما مدخل فى طرفى الواجهة من الشمال ومن الجنوب، وهاتان الواجهتان تقعان على خط واحد، وكلا المعبدين يقوم بناؤه على نواة مشيدة من الحجر الجيرى مكسوة من الداخل والخارج بكتل مهذبة من الجرانيت، وحجم بعض الكتل فى نواة البناء فى معبد «أبو الهول» ضخم جداً قد يربو أحياناً على ثلاثة أضعاف حجم القطع التى بنى بها الهرم الأكبر[1]، ولن يقلل من إعجابنا بمهارة من نقلوا هذه الأحجار ووضعوها فيما خصص لها من مكان أنها قطعت من محاجر محلية (شكل رقم ١).

ومن وراء الواجهة يتلاشى التشابه بين المعبدين، فالترتيب الداخلى فى معبد «أبو الهول» يختلف تماماً عما بداخل جاره مما يدل على أنه قد خطط لغرض آخر.

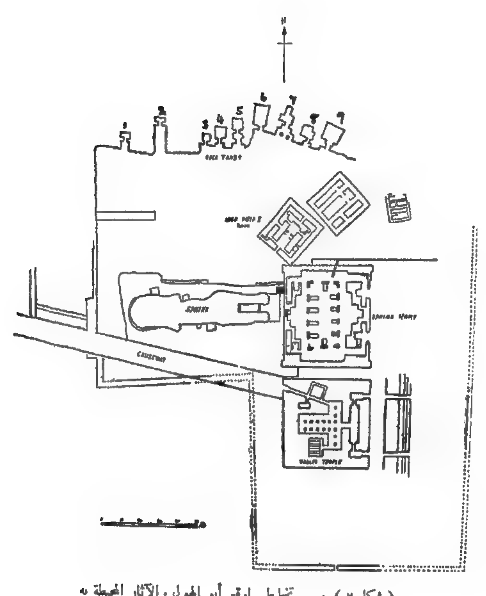
وهنا ينبغى أن يذكر أن هذا المبنى هو أقدم دار مقدسة كشف عنها فى مصر حتى الآن يتميز عن معبد ملكى جنازى، ويلاحظ فى كل أجزاء المعبد الهامة أنها مزدوجة (راجع التصميم شكل ٢) فمثلا نجد مدخلين ومجموعتين من الغرفات فى الحائط الغربى، ثم ممرين خارجين وهكذا. وهذا الازدواج قد روعى به الملاءمة بين مركز الملك فى دوره المزدوج كملك للوجه البحرى والوجه القبلى، فمصر قبل

---

(١) متوسط وزن القطعة من الحجر الذى بنى به الهرم الاكبر طنان ونصف طن.



(شكل ١) أبو الهول الكبير بالجيزة ومعبده



(شكل ٢) رسم تخطيطي لموقع أبو الهول والآثار المحيطة به

توحيدها فى أول عهد الأسرة الأولى (حوالى ٣٤٠٠ ق.م) بين يدى « مينا » كانت تتألف من مملكتين منفصلتين : مملكة الوجه القبلى ومملكة الوجه البحرى ، ولم ينس هذا الازدواج فى الأرض ولا طبيعة الملك خلال عصور التاريخ المصرى ، فبقيت مصر « الأرضين » ، وكانت تحكم بملك الوجه القبلى والوجه البحرى الذى كان يلبس التاج المزدوج ، وحتى إدارات الحكومة كانت مزدوجة .

ومعبد أبو الهول الآن فى حال من الخراب محزنة ولم يبق منه سوى نواة البناء التى عريت من الجرانيت الأحمر والذى كان يكسوها ، ومن الرخام الجميل الذى رصف به فناؤه الفخم ، ولكن تفاصيل البناء الهامة باقية تتيح لنا تكوين فكرة عما كان عليه المعبد فى الماضى . ففى باطن المداخل مباشرة توجد حجرات البوابين ، تتلوها ممرات عريضة قصيرة تجرى مباشرة إلى الفناء الكبير الذى تبلغ مساحته ٤٦ × ٢٣ متراً . وكان هذا الفناء فيما مضى محاطاً برواق مقام على عمد مستطيلة ، ضخمة يبدو أن كلا منها كان يظاهر تمثالا ضخما للملك الذى بنى المعبد والذى يحتمل أن يكون قد نحت « أبو الهول » أيضا ، وترك الوسط من هذا الفناء مفتوحاً إلى السماء ليتيح للمتعبدين مشاهدة ذلك المنظر الرائع « لأبو الهول » .

وفى وسط كل من الجدارين الشرقى والغربى من الفناء كوتان (ما يشبه القبلتين) عظيمتان غائرتان فى الصخر على مستويين ، ويذكر كلاهما بصور الأبواب الوهمية فى قبور الدولة القديمة .

وكهذه يحتمل إن كان بكل منهما لوحة منقوشة ، ويجوز من ناحية أخرى إن كان بكل منهما تمثال للآله . ولكن مهما يكن من أمر فان اتجاههما إلى الشرق وإلى الغرب بالنسبة لمحور المعبد يوحى بأن وضعهما كان له علاقة بالشمس المشرقة والشمس الغاربة .

ومن الملامح الهامة ما يلحظ ناتئا فى أم الصخر بالجدار الغربى للردهة إلى ارتفاع مترين ونصف متر ومكملا فى أعلاه بكتل ضخمة من الحجر الجيرى ، وهذا الجزء المنحوت فى الصخر من الجدار يشكل الطرف الأمامى لقاعدة تمثال «أبو الهول» .

تلك التى توقع وجودها « مسبيرو » ولم يستطع إثباتها .

والواقع أنه عندما كان المعبد سليما ومتوجا بطنفه الخاص ، كان أبو الهول بطبيعة الحال باديا من الوادى أو من فناء المعبد كالرابض على قاعـدة ضخمة كما نشاهده . ممثلا على اللوحات المختلفة .

على أن وجود صور أبواب فى القاعدة على بعض هـذه اللوحات يمكن أن يكون محاكاة لما يشبه الباب فى الجدار الغربى .

وإلى الشمال من الفناء الكبير ممر يجرى من الشرق إلى الغرب ، ويسد الطرف الغربى من هـذا الممر بجدار مقام من أصل الصخر ، وقد غص أعلاه بالتراب إلى مستوى الهضبة ، وقد أقيمت أسس معبد « أمنحتب الثانى » فيما بعد فغدت معبرة من فوقه .

وفى جنوب المعبد ممر مشابه ، يفصله عن معبد الوادى من عهد خفرع ، وهذا الممر يؤدى إلى فناء « أبو الهول » الأصلى من ركنه الجنوبى الشرقى ، ويقطع فى النهاية بأن المعبدين منفصلان تمام الانفصال على الرغم من اتفاقهما فى المظهر الخارجى وفى المادة التى بنيا منها .

التاريخ لمعبد أبو الهول وتحقيقه

إن النظر إلى هـذا المعبد فى ضوء طراز عمارته ، وضخامة مبناه ، وانعدام النقش والزخرف يحدو بنا إلى عهـد لا يجاوز منتصف الأسرة الرابعة أى حوالى ٢٩٠٠ ق . م ثم إن إقامته مواجها لتمثال « أبو الهول » ، واختلاف نظامه الداخلى عن أى معبد جنـازى معروف يجعلنا نؤكد أنه دار مقدسة خصصت لعبادة « أبو الهول » .

ومن الغريب أنك لا ترى خلف الممر الجنوبى الخارجى الذى أشرنا له أية طريق توصل بين هذا المعبد وبين فناء «أبو الهول» الأصيل ، ومن المحتمل أن الصنم قد بلغ من القداسة حداً يجعل بلوغه محرماً إلا على الملك وذوى المراتب الكهنوتية العالية ، وكانت هـذه القاعدة متبعة إزاء التماثيل المقدسة فى المعابد المصرية أيام الدولة الحديثة وما بعدها .

أحدث أعمــــال التنقيب

التى أجريت حول صنم « أبو الهول » الكبير

الكشف عن لوحة كبيرة من الحجر الجيرى « لامنحتب الثانى » وعن معبــده

فى عام ١٩٣٦ انتقلت تبعية أعمال التنقيب التى كنت أديرها لجامعة القاهرة إلى مصلحة الآثار ، وهنالك تمكنت من بدء العمل فى الموقع الذى يحيط « بأبو الهول » .

وكان أمل حياتى المتصل أن أنقب فى هـذا المكان . ولقد حاولت عبثاً وغير مرة أن أحصل على إذن بالعمل هنـاك ، ولكن العمل فى الموقع كان موقوفاً على مصلحة الآثار التى كان عملها هناك جاريا على غير نظام .

وللمسيو « باريز » الفضل فى إقامة الحوائط الحاجزة . فالفناء الرئيسى بمعبد « أبو الهول » ومعظم أجزائه قد خلصت من الرمال ، فلم تعد إلا فى حاجة يسيرة لبعض التنظيف ، على أن كل أولئك لم تشمل غير مساحة ضيقة محدودة . وأما ما تبقى من محيط «أبو الهول» فكان غاصا بالرمال الناعمة والأحجار وبقايا الرديم وفضلات العصور ، ذلك إلى خرائب المبانى المقامة من اللبن فى عصور مختلفة .

ولقد ظل الموقع على هـذه الحال منذ أن ظهر «أبو الهول» ، ولم يفكر واحد من المنقبين المحدثين فى تنظيف هذا الجزء ، وعلى الرغم من استغلال ما توافر من استعمال الطرق والوسائل وما تيسر معها من آلات جديدة ، فقد عالجنا كثيراً من العقبات وتعرضنا للأخطار التى تعرض لها « كافيليا » من كثبان الرمال الخاتلة التى تريد أن تنقض بين آونة وأخرى .

على أن سلوك السبيل التى اعتدناها فى التنظيف والوصول فى ذلك إلى مستوى الصخر فقد كان يقتضينا مجهوداً جباراً يمكن تكوين فكرة عنه بالنظرة المقارنة

فى الصور الشمسية التى أخذت لمكان الحفر قبل تنظيفه وبعده (انظر شكل ٣ أ ، ب) .
وقد كنا نسلك فى تنظيم عربات نقل التراب مسالك شتى رغبة فى سرعة النقل ، فحينا نضعها فى ثلاثة مستويات بعضها فوق بعض ، وحينا ننشرها على هيئة مروحة ، وكل وحدة من هذه الخطوط الناقلة كانت تضم اثنتى عشرة عربة وتحمل كل منها متراً مكعباً ، واستطعنا بفضل هـذا النظام نقل ثلاثة عشر ألف متر مكعب من الرمل يومياً كان تفريغها على بعد أكثر من كيلو متر عن مكان الحفر .

وقد بدأنا عمل الموسم من نقطة ملاصقة للجدران الحاجزة الشمالية والشرقية التى أقامها « باريز » ونرانا الآن مضطرين إلى هدمها قبل أن نشرع فى القيام بواجبنا فى أعمال التنقيب ، ووجـدنا فى المكان كذلك مبانى من اللبن أقيمت فى العصر المتأخر ، فاضطررنا إلى هدمها بعد تصويرها وتسجيلها . وكذلك كانت الحال دائماً عند التنقيب فى مكان تشغله منشآت من أزمان متتابعة ، وكانت آثار العصور المتأخرة فى عامتها مقامة إما على الرمال المتراكمة وإما على أنقاض المبانى القديمة .

وقد كانت هناك مفاجأة مثيرة فى انتظارنا على غير علم منا ، ففى العشرين من سبتمبر عام ١٩٣٦ بينما كان رجالنا يعملون فى تنظيف مكان على مسافة قريبة من شمال « أبو الهول » وعلى بضع خطوات من المكان الذى انتهت عنده حفائر مصلحة الآثار ، ولم يكن فيه غير بقايا من الطين وأنقاض من أبنية من اللبن ، فيظهر لهم بين هذه الأنقاض البالية ما يشبه رأس لوحة كبيرة من الحجر ، وفى لهفة ركزنا جهودنا فى الحفر هابطين أمام وجه الحجر ، ووجدنا أن ظنوننا قد تحققت وأننا كشفنا عن لوحة عظيمة من الحجر الجيرى من طراز لوحات الأسرة الثامنة عشرة عليها سبعة وعشرون سطراً بالنقش الهيروغليفى الجميل وفى حالة تامة من السلامة ، وإن كان الجزء المستدير فى أعلاها قد تأثر بعوامل التعرية ، نظراً لتعرضه لذلك ، ومع هذا فقد بقى لنا ما يكفى للدلالة على ما كان عليه من صور تمثل الملك مرتين وهو يقدم القربان « لأبو الهول » .

وقد أسرعنا بعناية ، فأزحنا ما كان يطمس وجه اللوحة من بقايا الطين والشقف ، فأصبح فى استطاعتنا أن نقرأ خرطوش « أمنحتب الثانى » ابن وخليفة



٣ «أ») موقع أبو الهول، قبل أعمال التنقيب



٣ «ب») الموقع بعد التنقيب

« تحتمس الثالث » الفاتح العظيم ومشيد الإمبراطورية فى الاسرة الثامنة عشرة (حوالى عام ١٤٤٧ ق.م) .

وفى الرديم من حول هذه اللوحة عثر على كثير من دمى النذر تصور أسوداً وأصناماً «لأبو الهول». وكانت هذه الدمى من النذور الخاصة «لأبى الهول» الكبير ولعبادة الشمس .

وكانت الدمى المنذورة مصنوعة من مواد متنوعة منها البرنز ومنها الفخار المطلى والحجر الجيرى . وأكثر تلك النذور جاذبية من دمى الأسود ، يرى فى (شكل رقم ٤) .

وخلال مواصلة عملنا فى التنظيف أمام اللوحة وخلفها وجدنا على مسافة أربعة أمتار تقريباً من قاعدتها بقايا جدار سميك من اللبن ، وبعد المضى فى العمل على تحرير ذلك الجدار وصلنا إلى الدليل على معناه ، وظهر لنا مصراع جميل لباب من الحجر الجيرى عليه خرطوش فرعون « مرنبتاح » من أبناء « رمسيس الثانى » الذى يسمى فرعون الخروج (١٢٢٥ — ١٢١٥ ق.م) .

وفى جوار ذلك عثرنا فى الرمل على قطع من الحجر الجيرى عليها نقوش وكتابات تدل بوضوح على أنها خاصة بمعبد ، وبعد يومين عثر على المصراع الثانى من الباب المشار إليه . وتنقضى الأسابيع التالية فى فحص رقعة هذا المعبد ، وإذا كان يبدو للقارئ أن سير العمل حينئذ كان بطيئاً ، فينبغى أن نقرر أسباب ذلك التى قد أسعدتنا باتصال العثور على آثار صغيرة هامة تعوضنا من الوقت ما يكفى للعناية بصيانتها ، فهى قد صورت بطبيعة الحال فى مكانها قبل نقلها لتنظيفها ودرسها .

وتشمل هذه الآثار الصغيرة تراثا من النذور فى صورة دميات من أسود ومن تماثيل « أبو الهول » ودمى على هيئة صقور ، ثم شواهد وألواح ، وظهرت كذلك لوحات أخرى كبيرة لكثير منها أهمية تاريخية ولغوية عظيمة كما سنرى بعد .

وفى نهاية شهر ديسمبر كنا قد اطمأننا تماما إلى فحص أبعاد المعبد ، وقد اتضح أنه مبنى من اللبن ذو جدران ضخمة ومحلى بأحجار بيضاء جميلة من محاجر طرة .

ويشمل المبنى بهوا طويلا وآخر صغيراً وست حجرات جانبية رحبة (انظر شكل رقم ٥) .

ومدخل المعبد من الجنوب يتيح منظرا رائعا لرأس « أبو الهول» وقوائمه . ولقد كانت الجدران فى أصل بناء المعبد مكسوة بالحجر الجيرى الأبيض إلى ارتفاع ثمانين سنتيمترا .

وقد بقى كثير من هذه الكسوة فى مكانه الأصلى ، كما كسيت أطوار المدخل الرئيسى بالحجر الجيرى الأبيض ، وكان يحرسه تمثالان «لأبو الهول» من الحجر الجيرى أيضا ، وجد أحدهما فى مكانه الأصلى ولكن نظيره نقل إلى حيث لاندرى . (انظر شكل ٦) .

وفى الطرف الجنوبى من الجدارين الشرقى والغربى من البهـو الأكبر منافذ منحوتة نحتا رقيقا من الحجر الجيرى الأبيض تؤدى إلى الحجرات الجانبية .

ويجرى إلى وسط البهو الأكبر مسلك من الحجر الجيرى ، فى طرفه الشمالى منخفض مستدير وغير عميق ومنقور فى أحد الأحجار المرصوف فيها . وأمثـال هذه الحفر كانت توجد عادة لتضم موائد قربان مستديرة الشكل فى مقابر الدولة القديمة . إلا أن ذلك لا يلائم الواقع فى الوضع الحاضر ، ونرانا لذلك مضطرين إلى أن نقرر أن هذه القطعة من الحجر قد جيء بها من إحدى مقابر الدولة القديمة المجاورة جريا على أسلوب البنائين المصريين القدامى .

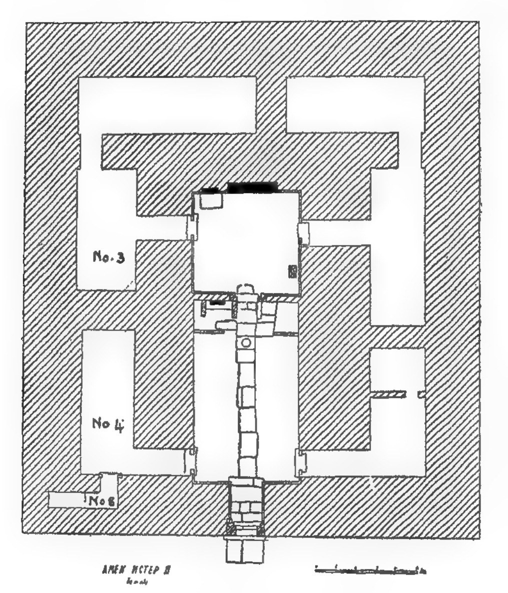
وقد قسم كل من ركنى القاعة الشرقى والغربى إلى قسمين فيما بعد ليكونا مقصورتين وجد فى إحداها وفى مكانها الأصلى لوحة أقامها الملك « سيتى الأول » والد « رمسيس الثانى » (١٣١٣ — ١٢٩٢ ق . م) من ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

وعلى اللوحة منظر يمثل الفرعون يطرد صيد الصحراء .

وفى نهاية الممر المعبد من الحجر الجيرى الذى يجرى إلى البهو الأكبر يوجد المدخل إلى بهو أصغر حيث أقيمت لوحة «أمنحتب الثانى» من الحجر الجيرى أيضا، والتى تشغل الجزء الأوسط من جدار القاعة الشمالى . وقد وجد أن هذه اللوحة أقيمت فوق كتل صماء من الحجر الجيرى ولا تزال فى مكانها الأصيل ، وعلى مقربة من هذه اللوحة كشف عن أخرى أصغر منها بكثير وتحمل اسم « أمنحتب الثانى » أيضا وهى ذات خصيصات هامة .



(شكل ٤) تمثال لأسد مقعو



(شكل ٥) رسم تخطيطى لمعبد أمنحتب الثانى



(شكل ٦) المدخل إلى معبد أمنحتب الثالث وفيه تمثال من الحجر الجيرى لأبو الهول

وإلى الشمال من اللوحة الصغرى عثر على قاعدة وقدمى تمثال للملكة « تاعا » زوج « أمنحتب الثانى » ووالدة « تحتمس الرابع » ، على أن الجمال فيما بقى من هذا الحطام يجعلنا نأسف جد الأسف على ما فقد من بقايا التمثال ، وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التى بذلت فى البحث عن الجزء الضائع فاننا لم نعثر إلا على قطعة واحدة هى جزء من العمود الذى كان يرتكز عليه التمثال .

وفى الطرف الشمالى من الجدارين الشرقى والغربى من البهو الداخلى يوجد بابان منحوتان من الحجر الجيرى يؤديان إلى حجرتين جانبيتين تشبهان اللتين فى نهاية هذا المبنى من الناحية الجنوبية .

ومن هنا نعلم أن المعبد كان كامل الأجزاء ، وعلى الرغم من تآكل جدرانه إلى ما يقرب من نصف ارتفاعها الأصلى فى كثير من جهاته فان تصميم بنائه بقى محفوظا تماما .

ولما أخذنا نفكر فى طريقة لحفظ لوحة « أمنحتب الثانى » التى نصبها من الحجر الجيرى من الضرر المحتمل أوحت إلى حالة المعبد فكرة فى الصيانة لا تقتصر على اللوحة وحدها بل تفيد فى صيانة الأبواب المنحوتة فى الحجر كذلك وإلى إظهار الآثار هذه فى مواضعها الأصلية التى خصصت لها بقدر الإمكان .

وكان كل ما يحتاج إليه فى هذا الشأن ، هو تنظيف النقوش ، وإقامة مصاريع الأبواب وعتباتها فى أماكنها ، واستئناف الارتفاع بالجدران إلى علو مناسب ، وأخيراً رفع سقف فوق البناء كله .

وفى سبيل تنفيذ هذا الإصلاح استخدمت قوالب من اللبن المحلى لتطابق تلك التى بنى المعبد بها على قدر المستطاع ، وفى سبيل التقوية استخدمت عمد من الآجر وأحزمة من حديد (انظر شكل ٦) .

وبعد أن تم الإصلاح أقره الكثيرون من الخبراء وغيرهم ، ولكنه على الرغم من ذلك لم أكد أترك العمل فى مصلحة الآثار حتى قوضت هذه الإصلاحات وبقيت اللوحة العظيمة والأبواب المنحوتة معرضة للعوامل الجوية . وفى النهاية غطيت الآثار المنقوشة بألواح قبيحة من الخشب وبقى المعبد كذلك منذ ذلك العهد .

ويظهر من هذا أن العادة القديمة فى هدم آثار السلف لم تمت بانقضاء عهد الفراعنة بل استمرت حتى يومنا هذا .

وليس من شك فى معرفة من أسس هذا المعبد ، لأن النص المنقوش على اللوحة الكبيرة من الحجر الجيرى يحدثنا أن المعبد واللوحة كليهما قد أقيما بأمر « أمنحتب الثانى » وفاء نذر نذره صبياً عندما زار «أبو الهول» والأهرام .

غير أن المعبد كله لا يمكن أن ينسب إليه فمعبده كان البهو الداخلى ولوحاته ، أما البهو الخارجى ومقاصيره فيظهر أنه قد أضافه ملوك متأخرون حتى زمان « رمسيس الرابع » من ملوك الأسرة العشرين (١١٦٧ — ١١٦١ ق.م.) .

ما عثر عليه فى منطقة المعبد

لوحات الآذن

وبينا كان العمل يسير قدما فى معبد «أمنحتب الثانى» المشيد من اللبن عثر على كثير من الآثار الصغيرة كانت تظهر بين آونة وأخرى فى رقعة المعبد وما حوله . وكانت معظم هذه الآثار كما ذكرنا نذوراً أو لوحات صغيرة . ويدل عدد هذه الآثار على ما كان « لأبو الهول » من شهرة كمكان للحج لمختلف الناس ممن كانوا يستطيعون إليه سبيلا ، ملوكا كانوا أو سوقة ، ثم يترك كل منهم تذكاراً لحجته عند هذا الصنم المقدس ، ويمثل بعض هذه اللوحات أعمالا فنية صادقة ، وبعضها كما يبدو من عمل الهواة تفوق تقواهم مهارتهم الفنية .

وبين كل أولئك مجموعة متميزة من اللوحات الصغيرة نسميها « لوحات الأذن » ذلك لأن مناظرها إنما تمثل أذنا آدمية أو أكثر ، ولوحات الأذن هذه قد وجدت كذلك فى « منف » فى محيط معبد بتاح . وهناك كثير من الآراء والفروض فى بيان الغرض منها ، فقد ظن مثلا أنها مهداة من الصم ابتغاء البرء من علتهم [1] ، وفى رأى آخر أنها عملت لتلفت الإله لسماع ضراعة المصلين ، وفى ذلك يقول « بترى [2] » .

« وللفوز باستجابة الإله ، نشأت عادة حفر أشكال الآذان على ألواح المصلين . فقد كان يظن أن الإله يكون بذلك أسرع إلى استماع الشكاوى ، وعلى لوحة واحدة — على سبيل المثال ، عشرات الأذان . وعلينا — أكبر الظن — أن نعتبر هذه الآذان بدلا من أذنى الإله ، وما على صاحب النذر إلا أن يحج إلى بقعة مقدسة،

---

(١) راجع : Wilkinson, «The Ancient Egyptians,» vol. III, P. 395.

(٢) راجع : Petrie, «Religious Life in Ancient Egypt,» P. 195.

ويهدى لوحة الأذن إلى رب القدس ، ثم يسر إلى الأذن ـ القائمة فى جدار المعبد ، أو المدفونة فى الرمل من حوله ـــ شكواه ، وهنالك تعى الأذن ضراعة صاحب النذر وتحفظها ، ثم تحظى الضراعة بنظرة الإله ، أو بمعنى آخر كانت تدون للرجوع إليها . وتحمل كل لوحات الأذن تقريباً عبارة :

« عمل بوساطة . . . . » ويليها اسم صاحب النذر . ويظهر أن العمل هنا يقصد به الصلاة التى أسرت الأذن لا اللوحة كما يظن لأول وهلة .

ورأى « شبيجلبرج » ـــ أن هـذه اللوحات التى تحمل عدداً عظيما من الآذان تشير إلى إله غامض قيل إنه كان يتمتع بسبع وسبعين أذنا وسبع وسبعين عينا(١).

فكان الغرض أن تكون لكل شكاية أذن، أو أن الأمر كان تدبير ضمان قائم على فكرة آيتها أنه إذا انمحت بعض صور الآذان ، بقيت واحدة على الأقل تدخر الصلوات لتبلغها الإله .

وبين الأمثلة الجديرة بالاهتمام من لوحات الأذن التى عثر عليها فى أعمـال التنقيب التى قمنا بها نذكر ما يأتى :

١ ـــ هذه اللوحة من الحجر الجيرى والتى يظهر عليها أذنان للإله محفورتان حفراً غائراً وبينهما الإله « حـــور ـ ماخت » (حورس صاحب الأفق) فى صورة صقر .

وفى أسفل من ذلك مخطوطة أفقية نصها : أنجزت بوساطة « حوى » (شكل رقم ٧) .

٢ ـــ مثال لطيف عليه أذن واحدة مصوغة بالنقش البارز ، وبجانبها صورة صغيرة للإله « خور ـــ أختى » فى هيئة صقر جاثم على قاعدة مرتفعة ، وقد نقش عليها : أنجزت بوساطة « ماى » ومن المحتمل أن تكون من عمل « ماى » سيء السمعة ذلك الذى تحدثنا عن سوء فعاله فيما سبق (شكل رقم ٨) .

٣ ـــ صورة أذن صغيرة صنعت من الخزف الأخضر المطلى عارية عن النقوش .

---

(١) راجع : «Spiegelberg,» Rec. Trav. vol. 26, P. 65.

٤ ـــ لوحة كثيرة الطرافة عليها أذن بالنقش البارز، وفى أسفلها حفرت صورتا صقرين يحمل كل منهما التاج المزدوج ويقفان وجها لوجه كأنهما يتهامسان، تراهما مقدسين يكرران صلوات صاحب النذر فى أذن الإله (شكل رقم ٩).

٥ ـــ لوحة أعلاها مستدير حفر عليها ما لا يقل عن إحدى وثلاثين أذنا وفى الجزء الأسفل منها منظر يمثل المهدى راكعا يتعبد أمام «أبو الهول»، وفوق «أبو الهول» النقش الآتى:

«حور ـــ مأخت» الإله العظيم يسمع. وفوق المعبد هـذا النقش: «عملها الكاتب الحاذق «مر». (راجع شكل ١٠).

٦ ـــ الجزء الأسفل من نذر يتمثل فى شكل أذن من الخزف الأخضر المطلى. وقد كتب اسم المعبود «حور مأخت» بالمداد الأسود.

٧ ـــ قطعة من الحجر الجير عليها أذنان وصورة «أبو الهول» وتدل خشونة صنعها وعدم التزام طراز معين فيـه على أنها من صنع هاو وليست من صنع مثال محترف (شكل ١١).

٨ ـــ لوحة من الحجر الجيرى مستديرة الشكل حفر عليها أذنان وليست منقوشة.

٩ ـــ لوحة صغيرة كان عليها فى الأصل صور عـدد وفير من الآذان كانت محفورة حفراً خفيفا، وأصبحت الآن لا تكاد ترى. والظاهر أنه كان يراد استعمال هذه اللوحة لغرض آخر.

ولوحات الأذن هذه من القطع الأثرية الخلابة، يود الإنسان لو استطاع أن يعرف الأدعية التى كان يوسوس بها إليها، ولكن الإله يحفظ دائماً سر عباده، ولسنا نعرف كلمة واحدة تفصح لنا عن شىء من الآمال والأمانى البشرية التى تلقتها هذه الآذان، وإنا لنأمل أن الإله كان رحيما فأجاب دعاء من دعاه.

لقيـة غامضـة

بينا كان رجالنا يقومون بإزالة الرمال شمالى السور المشيد من اللبن حول معبد أمنحتب الثانى عثروا على صندوق من الخشب غير مهذب الشكل يضم قطعة منقوشة من الحجر الجيرى، وكان الصندوق باليا فلم يلبث أن اندثر، ولكن الحجر كان

سليماً تام السلامة وعليه دعاء منقوش يطلب الرحمة ، وجزء من صورة كاهن يقوم بالشعائر التي تصاحب تقديم القرابين الجنازية ، والظاهر أنه قطع من مقابر الدولة القديمة المجاورة ، ومن الممكن أن يكون الفاعل سائحا من المخربين ، أيام العهد الصاوى (حوالى ٦٦٣ – ٥٢٥ ق.م) تماما كما يفعل السائح الطائش فى أيامنا – حين تواتيه الفرصة – فيفسد جدارا برمته لينتزع منه منظراً يروقه ثم يحمله تذكاراً لزورته أثراً من الآثار ، ويجوز أن يكون الفاعل واحداً من رجال الفن أراد الحصول على قطعة أصلية من أعمال النحت فى الدولة القديمة ليدرسها على مهل فى محرابه ، وأيا كان الأمر فأكبر الظن أن هذا العمل قد حصل فى العصر الصاوى الذى بولغ فيه تقدير كل آثار الدولة القديمة ومالها من قيمة ، ولكن ترى – بعد الجهد الذى بذل فى انتزاع الحجر من مكانه ، وكان فى الأغلب الأعم جزء من باب – وفى إعداد صندوق على قدره – ترى ما السبب فى تركه فى هذا المكان ؟ ؟ من الصعب أن نجيب عن هذا السؤال ، ومن المحتمل أن يكون قد ترك لأن وزنه الثقيل قد عوق حمله ، أو أن سارقه وقد دهمه حراس الجبانة قد رمى به ، حيث بقى فى مكانه إلى أن كشفت عنه معاول رجالنا .

مدافن من العصر المتأخر

وفى غربى معبد أمنحتب الثانى مباشرة عدد من أوانى الفخار الكبيرة كانت مطمورة فى الرمال ومختومة بسدادات من الطين ، ولا تزال محتفظة بمحتوياتها التى تدل على أنها بقايا بشرية محروقة ، ويرجع تاريخها إلى العهد الرومانى ويحتمل أنها مدافن أسرة . ولا شك فى أنها شاهد معبر يفصح عما كان الأماكن المحيطة « بأبو الهول » من قداسة فى نفوس الناس حتى أولئك الذين لم يكونوا من أتباع الديانة القديمة .

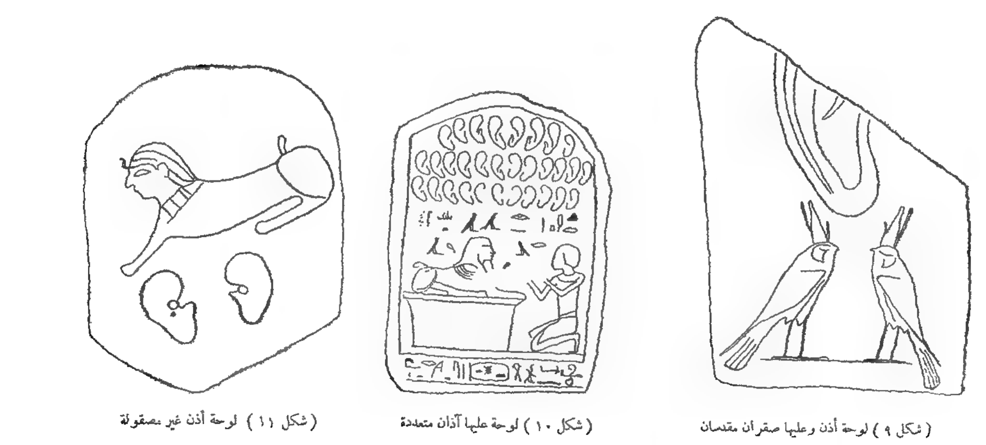
وقد سبق أن عثرنا على ما يشبه تلك الأوانى فوق مصطبة الملكة تدعى « رخت رع » من الأسرة الخامسة فى بقعة تقع جنوبى غربى « أبو الهول » فى الجبانة المجاورة له . وقد ظهر طراز آخر من جرار الدفن على مقربة من الجدار الشمالى للمعبد يتكون المدفن فيها من إناءين من الفخار الأحمر ركبت فتحتاها معا ويحتوى كل على هيكل بشرى ، ولكنهما كانتا فى حالة من التحلل تجعل من



(شكل ٧) لوحة أذن للمدعو « حوى »



(شكل ٨) لوحة أذن المدعو « ماى »



(شكل ٩) لوحة أذن وعليها صقران مقدسان

(شكل ١٠) لوحة عليها آذان متعددة

(شكل ١١) لوحة أذن غير مصقولة

المستحيل نقلهما فتركناها من أجل ذلك فى مكانهما . كما كشف فيما بعد عن مدفن آخر من نفس الطراز على بعد قريب من الأخير . وطرز المدفن الأخير تذكرنا بعادة البابليين فى دفن موتاهم . وفى ضوء ما وجد من بقايا التراث الأجنبي فى تلك البقعة قد يحتمل أن نزعم أن هذه الأوانى إنما كانت مدافن لمستوطنين من البابليين نسى عهدهم بعد أن ماتوا بعيدا عن وطنهم الأصلى .

ولم تكن بقايا البشر وحدها هى التى وجدت فى ذلك المستقر بجوار «أبو الهول» فلقد وجدنا فى التراب المتخلف عن عملية اقتفاء أثر الجدار الشمالى للمعبد بعض أوان صغيرة من الفخار تضم بقايا فيران شرسة . وكان هذا الحيوان من مقدسات الإله « حورس » صاحب خميس [1] . كما كان لها مكانها فى عالم السحر . ولا بد أنهـا كانت تشكل أضخم عدة الساحر الناجح ، نستطيع أن نرى ذلك فى ضوء عدد ما استعمل منها فى السحر ، فأما سبب دفن أعداد من الفيران فى كل جرة ، ووسط رمال تلك البقعة فآيته جعل الأرض التى دفنت فيها مقدسة لأنها من الحيوانات المقدسة ، وآيته الأخرى أن أصحاب النذور قد جعلوا مدافنها حول « أبو الهول » لأن هذا الأخير كان والمعبود حورس شيئا واحدا .

ومن قبل كنا قد عثرنا فى أثناء الحفر ـ فى منطقة الجيزة ـ على مقبرة من عصر الدولة القديمة اتخذت فى العصور المتأخرة مدفنا « لابيس » الطائر المقدس للإله « توت » إله العلم والحكمة وقد نقشت صورة لهذا الإله على الجدار الغربى لمزار القبر ، ووجدت حجرة الدفن فيه غاصة إلى سقفها بأجسام محنطة لهذا الطائر الذى يعرف الآن ـ بمالك الحزين . أو أبو قردان .

---

(1) راجع : «Muller,» «Egyptian Mythology», P. 165.

حورس صاحب خميس هو صورة من حورس الطفل ابن اوزوريس وايزيس ، وخميس اسم مكان بشمال الدلتا قضى فيه حورس أيام طفولته ، وكان يطلق عليه باللغة المصرية القديمة اسم (خب) ومن هـذا الاسم حرف الاسم الحالى « كوم الخبيزة » .

التنقيب فى حدر ابو الهول

وبالإضافة إلى العمل الذى كان جارياً فى معبد « أمنحتب الثانى » اتجه النظر إلى بقية الحدر عند «أبو الهول» ، وكنت أهدف إلى تنظيف كل الفضاء من جنوبى «أبو الهول» حتى منطقة الحفائر الأمريكية فى الشمال ، ومن الطرف الغربى فى بهو «أبو الهول» إلى تخوم قرية نزلة السمان شرقا، ونضيف هنا أننا اشترينا وأزلنا بعض المنازل والحوانيت الحديثة القبيحة فى آن معاً، التى كانت تواجه «أبو الهول» والتى ظلت طويلا قذى فى عيون المثقفين من السائحين. وكان المرحوم « البرت » ملك بلجيكا قد ضاق بمنظر تلك العشش الوضيعة والحوانيت الصادحة التى كانت تواجه «أبو الهول» وعلق على ذلك خلال زيارته فى عام ١٩٣٠ ، كما أبدى مثل ذلك ملك إيطاليا خلال زيارته عام ١٩٣٤ .

وكما سبق أن بينت كانت المنطقة الواقعة شمالى أبو الهول فى حال من التشويش والخلط تدعو إلى اليأس نظراً لما يعثر فيها من التراب المتراكم بفعل آلاف السنين ، وكان تطهيرها يقتضى العمل بطريقة علمية وتنظيفها يهدف إلى إزالة كل حصاة وكل كسرة حتى الوصول إلى أم الصخر ، وإنى لسعيد أن أقرر هنا أننا أنجزنا ذلك العمل فى موسم واحد وكانت العربات — كما ذكرت من قبل — تنقل يومياً من الرمل والرديم ألفا وثلاثمائة متر مكعب ، وقد استمر العمل فى ذلك من الرابع من أكتوبر سنة ١٩٣٦ حتى العاشر من يونيه سنة ١٩٣٧ ، ويمكن تصور مقدار ما تم من عمل فى نقل ما يقرب من ربع مليون متر مكعب من الرمل والرديم. وقد كان الأمر الذى يهم هو التفكير فى المكان الذى يلقى فيه هذا القدر الهائل مما لا حاجة لنا به . هناك خطر لى أن أمد الطريق الحديدى هابطاً به إلى قرية « نزلة السمان » وألقى بالرمل فى بركها وحفائرها ، وكانت مصدر تعب لسكان القرية منذ وقت طويل .

ولقد كان العثور على لوحة «أمنحتب الثانى» أهم ما كشف عنه فى هذا الموسم ، لا يكاد يناظره سوى الكشف عن المعبد الذى نصبت فيه . ومن الموجودات ذات الأهمية أيضاً ما عثر عليه من تلك الطائفة من ألواح النذور التى ستوصف فى فصل آخر ، وكانت تلك اللوحات مفاجأة لنا ، فلقد وجدنا أن كثيراً منها كان مهدى من أجانب استوطنوا مصر ، وهى تحمل الأسماء المختلفة التى كان يعرف بها « أبو الهول » فى زمان الأسرة الثامنة عشرة ، كما زودتنا باسم المنزلة التى كان يقطنها هؤلاء الناس وهى مدينة الحارونية ، ومن المحتمل جداً أنها « حورونبوليس » التى لم يحقق تاريخها .

وفى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ عزمنا على إزالة التراب المتراكم فى الجهة الشمالية من بهو معبد «أبو الهول» ، وفى أثناء هذه العملية كشفنا عن تمثال صغير فاقد الرأس «لأبو الهول» ، مصنوع من الحجر الجيرى وملون باللون الأحمر والأصفر ، ويحمل خرطوش الملك «واح ـ اب ـ رع» (حوالى ٥٨٨—٥٦٩ق.م) وهو الذى عرف باسم « هفرا » فى التوراة وسماه هيردوت «ابريز» .

وفى ذلك ما يدل على أن ملوك العصر الصاوى زاروا «أبو الهول» وأهدوا إليه نذورا من دميات .

وكان عند قمة الممر الغربى الواقع شمال معبد «أبو الهول» جدار بناء من الحجر الجيرى نقش على أحد أحجاره متن بالخط الديموطيقى — وهو كتابة كانت شائعة الاستعمال خلال العصر المتأخر — وكان هذا النقش مغطى بقطعة من الشقف مثبتة بالملاط لحمايته من المحو ، وقد دل النقش على أنه سجل لذكرى حج أبى «أبو الهول» ، وعلى قرب من هذا الجدار فى مستوى أدنى وجد جزء من ودائع أساس تشبه التى عثر عليها السيد « باريز » وتحتوى على أكثر من ثمانين آنية من الفخار من مختلف الطرز ، وعلى آنيتين أسطوانيتين من المرمر وعلى قطعة من المرمر شبه مستديرة ، وهذه الأخيرة كلها تحمل اسم « أمنحتب الثانى » .

وتدل الشواهد على أن إحدى هذه الودائع قد ظهرت فى السوق السوداء ، حديثاً ، فان بعض الألواح الخزفية الزرقاء — وهى بلا شك إحدى ودائع أساس معبد « أمنحتب الثانى » — قد ظهرت فى خريف عام ١٩٢٦ بين مجموعة تاجر آثار

فى نيويورك وقد اشتراها متحف بروكلين مسترشداً برأى المسيو « كابار» وبعض هذه الألواح تحمل نفس النقوش التى رأيناها سالفاً على ماعثر عليه السيد « باريز » من نماذج الأوانى والألواح . وعلى ماعثرنا عليه فى حفائرنا من نظائرها .

ولقد وجدنا من بينها ألواحا أخرى نقش عليها : « الإله الطبيب » « عاخبرورع » محبوب « حورنا — حور — مأخت » . وأهمية هذه الألواح الأخيرة ماثلة فى أنها تقدم لنا أقدم ذكر للاسم الأجنبى «لأبو الهول» فى الجيزة وهو « حورنا » وربطه بالاسم العادى « حور مأخت » .

وفى يوم ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٣٦ كنا وصلنا إلى الجرف الذى يكون الطرف الشمالى للحدر . وتقدمنا فى العمل متجهين إلى الشرق (مشرقين) ، وفى أثناء ذلك كشفنا سلسلة مقابر منقورة فى الصخر يرجع تاريخ معظمها إلى زمان الدولة القديمة . وقد تعرضت كلها تقريباً للسلب والاغتصاب . ويقتضينا عن الأمر أن نتساءل : أنقرت هذه المقابر قبل وجود « أبو الهول » أم بعده .

إن أكثر ما نستطيع معرفته هو أن حدر «أبو الهول» الحقيقى قد تكون فى الوقت الذى كان خوفو يقطع فيه الأحجار لهرمه تدلنا على ذلك حقيقة آيتها ان الصخر الذى يحيط « بأبو الهول » هو بعينه ذلك النوع الممتاز الذى بنى منه الهرم الأكبر .

ومعظم هـذه المقابر منقور فى واجهة الجرف الشمالى ، ومن ثم كانت أبوابها مفتوحة إلى الجنوب على خلاف الاتجاه المتبع فى مقابر الدولة القديمة فقد كانت أبوابها تفتح عادة إلى الشرق أو إلى الشمال . وهناك ثلاث مقابر أخرى يزاحم بعضها فى الركن الشمالى الشرقى من الحدر أبوابها كذلك إلى الشرق .

أما ما بقى بعد ذلك من جـدران الحدر والتى تحيط فعلا « بأبو الهول» فانها لم تستعمل أبداً للدفن ولو نقرت فيها القبور لانفتحت أبوابها إلى الاتجاه الذى يلائم العقيدة السليمة . نستطيع بنـاء على ذلك أن نقول مطمئنين بأن وجود «أبو الهول» يسبق وجود هذه المقابر ، ولما كان أكثرها بين أواخر الأسرة الرابعة وأوائل الأسرة الخامسة فهى تضيف بذلك برهانا قاطعا إلى تحديد تاريخ «أبو الهول» ومحتويات

هـذه المقابر وما وجد فى جوارها المباشر من آثار تعد من الأشياء ذات الأهمية لأنها تبين لنا الكيفية التى أعيد بها استخدامها فى العصور المتتابعة ، فمن بينها مقبرة أعدت فى الأصل لأمير يدعى « آخ رع » من عهد الدولة القديمة وقد أعيد استعمالها بدون شك فى عهد الدولة الحديثة ، ويؤيد ذلك المنظر الذى على واجهتها ، وهو يمثل الإله «آمون رع» كما يمثل صورة رجل راكع يتعبد أمام « أبو الهول » . وقد نقش على هذا المنظر ما يأتى :

« التعبد لحور أختى الإله العظيم رب السماء ليمنح الحظوة أمام سيده حمداً لحور أختى . . . لروح موت المبرأ ذى المجد » .

وليس هناك ما يقتضى القول بأنه لم يبق شىء من المدفن الأصلى . ثم إن الآثار الصغيرة التى كشف عنها فى حالة مبعثرة فى أثناء تنظيف هذه المقابر وما حولها كانت من أنواع مختلفة وعصور متباينة . والقبر الوحيد الذى عثرنا عليه سليما بين سلسلة هذه القبور كان الدفن فيه من عصر متأخر ، فقد عثر فى الحجرة المنقورة فى الصخر وهى وحيدة على موميائين هشتين وحولهما البقايا التالفة من تابوتين من الخشب كانا يضمان هاتين الموميائين . وعند الأقدام إناء مغطى وطبق من الفخار الأحمر . ومن تجارب المنقبين أن المقابر السليمة تكون فقيرة جداً فى أثاثها ، ومعنى ذلك أن لصوص القبور القدامى كانوا على يقين من أن الأمر لم يكن يستحق المخاطرة وبذل الجهد فى فتحها . وذلك يجعلنا فى شك من ذمم الكهنة الجنازيين ، وحراس الجبانات ، فقد كانوا هم الواقفين وحدهم على خفايا مافى القبور من أنواع الثروات .

وقبر آخر فى هـذه السلسلة ولكنه زمان الدولة القديمة وهو لبحار يدعى « كاى وحم » ، نقش على عارضة باب مدخله الرئيسى صيغة تدل على ما كان عليه صاحبه من فضائل إذ يقول : « إن القبر ملكه ومتاعه الحقيقى » كما يقول : « إنى لم أغضب صانعا ممن عملوا فى هذا القبر » . والظاهر أن « كاى وحم » أراد بقوله هذا أن يبرئ نفسه من رذائل كانت شائعة بين المصريين القدماء فى أعمالهم ، وظاهر أنه حريص على إثبات حقه فى ملكية القبر وأن أحجاره لم تغتصب من أى بناء آخر ، وأنه يدعى كذلك أنه أجر على العمل ، ولم يلجأ إلى السخرة .

وفى مقبرة لمن يدعى « رمنوكا » كشفنا عنها فى الموسم الثانى من مواسم عملنا

نقش مشابه لهذا هذا نصه : « أما عند هذا القبر الأبدى فقد أقمته لأنى كنت مقدراً أمام الناس ، وأمام الإله ، ولم يحصل أننى حملت إلى هذا القبر متاع أى إنسان لأنى كنت أذكر يوم الفصل فى الغرب[1] . وقد أنجزت هذا القبر لقاء خبز وجعة بذلتها أجراً للصناع الذين أقاموا هـذا القبر . تأمل حقاً أنى أعطيتهم أجوراً عظيمة جداً من الكتان الذى طلبوه وقد شكروا الإله من أجل ذلك[2] .

وبعد الخلاص من نبش كل مقابر هذه السلسلة وتسجيل محتوياتها كانت مهمتنا التالية تنظيف البقعة الواقعة أمام الجرف الشمالى ، متجهين جنوبا حتى طرف المنخفض الذى يستقر فيه « أبو الهول » . وكانت فى هذا المسطح طبقة عميقة من الرمل لم تطرق فى العصور الحديثة ، وهناك عثرنا على شىء هام وهو تمثال من الحجر الرملى لرجل كان كاهنا لمعبودة « منف » « سخمة » ، واسمه « حتب » ويرجع تاريخه إلى زمان الأسرة الثانية عشرة (حوالى ٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق م) .

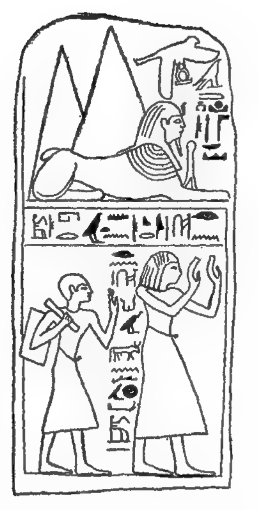
وعلى مقربة من المكان الذى وجدنا فيه هذا التمثال وليس معه تماما كان هناك عدد من لوحات النذر الصغيرة ، بعضها منقوش ، وبعضها عليه صور « لأبو الهول » .

وأهم ما فى هـذه الأخيرة التى ترينا منظر « أبو الهول » و « الأهرام » فى حالة أراها فريدة فى تاريخ الفن المصرى (انظر شكل رقم ١٢) فقد صور «أبو الهول» مع الهرمين الكبيرين فى ظاهرة ، حسب قواعد المنظور الحديث ، وكان المظنون أن المصريين يجهلونها تماماً . فان القاعدة فى الفن المصرى أن تصور الأشياء — وبخاصة المقدس منها — على أن يظهر كل جزء فى الصورة ، فنلحظ مثلا فى تمثال الملك الواقف بين مخلبى « أبو الهول » (شكل ٣٩) حيث يبدو مرسوما بالطريقة المصرية ، أو بتعبير آخر كأنه واقف فى الهواء فوق المخلبين بينما نجده (فى شكل رقم ٤٠) أنه قد مثل واقفاً بجانبيهما ، فأما فى الحالة الخاصة باللوحة التى هى موضوع بحثنا فان التمثال يبدو موقفه واضحاً بين مخلبى « أبو الهول » كما أن الجزء الأسفل من الساقين محجوب بأقرب قائمتى التمثال منه . ولننظر الآن إلى الهرمين . لقد كان

---

(١) الغرب بالمصرية « امنتت » كان فى نظر القـوم ارض الموتى التى يحكمها الآله « اوزير » الذى كان ينتظر كل مصرى أن يحاكم أمامه فى الغرب .

(٢) لم تعرف العملة عند قدماء المصريين ، فالأجور والصفقـات التجـارية وخلافه كانت تعتمد على طريقة المقايضة (المبادلة) .



(شكل ١٢) لوحة عليها رسم أبو الهول وهرمين

من غير المألوف أن يظهر فى منظر مصرى أى شيء خلفى ، وفى الحالات القليلة التى وقع فيها شيء من ذلك فقد كان الواعز إليه تقليديا محضا ، وعلى ذلك كان ينبغى أن نتوقع رؤية الهرمين موضوعين أحدهما بجانب الآخر ، معلقين فى الهواء فوق رأس « أبو الهول » وظهره ، خلافا لذلك نرى الهرمين قد رسما رسما منظورا وقد التحم أحدهما بالآخر على حين حجب جسم « أبو الهول » قاعدتيهما ، ومثل هذا المنظر يمكن أن تتاح رؤيته لأى امرئ يقف فوق سقف معبد الوادى للملك « خفرع » موليا وجهه شطر الشمال .

فاذا كان الصانع من أهل الثقة وصاحب دقة فى ملاحظاته من هذه الناحية فربما جاز لنا أن نتخذ من ذلك شاهدا على قدرته على تزيين « أبو الهول » متشحا بقلادة واسعة وقد غطى ظهره بريش صقر . ويرى فوق « أبو الهول » فى هـذه اللوحة صقر طائر يلى ذلك المتن التالى : « حور مأخت الإله الأعظم رب السماء » .

ومنقوش من أسفل ذلك : (عمله الكاتب الماهر « منتوهر ») ويحمل السجل من أسفل ذلك منظر رجلين يتعبدان . ويحتمل أن يكون المقدم منهما « منتوهر » نفسه وهو يحمل على رأسه شعرا مستعارا مسترسلا ويرتدى رداء طويلا ، أما زميله لذى رسم فهو أصغر حجما فرأسه حليق ، ويحمل أدوات كتابة معلقة على كتفه ، ومكتوب بين الصورتين ما يأتى : (عمله الكاتب « كاموت نختو المرحوم ») ولما لم يذكر ما يشير إلى العلاقة الأسرية القائمة بين الرجلين ، فلنا أن نظن أنهما كانا معلما وتلميذه أهديا معا لوحتهما المشتركة تذكارا لحجهما حرم « أبو الهول » و « الهرم » .

ويحمل ظهر اللوحة صورة امرأة وهو خال من النقش ، وما نعرف على وجه التحقيق ما إذا كانت هناك صلة بينها وبين الرجلين الممثلين على الوجه ، أو أن اللوحة أعيد استخدامها .

ويمكن تقدير ما كان من اضطراب فى هذا المكان من واقع ما كشفنا عنه فى بقعة واحدة . فهذا تمثال صغير مهشم لرجل مصنوع من الجرانيت الأحمر الوردى يرجع تاريخه إلى عهد الدولة القديمة ، وتلك لوحات من عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، ونذور فى هيئة أسود وعلى شكل « أبو الهول » من عصور مختلفة، ثم جزء من قاعدة تمثال لأمير يدعى ، «ان - كا - ف» ، من عهد

الدولة القديمة وقبره من أجمل القبور التي كشفنا عنها في الجرف الشمالي من حدر « أبو الهول » .

وبالقرب من نهاية المنخفض الذي يربض فيها « أبو الهول » كان هناك جدار من اللبن يبدو أنه كان خاصاً بوضع اللوحات التذكارية المهداة ، فقد وجدنا فيها مالا يقل عن تسع لوحات مثبتة في بنائه ، وكذلك تمثال صغير مهشم في كوة ، ولا زالت إحدى هذه اللوحات وهي في حالة تامة من السلامة ـ تحمل بقايا من الألوان الرائعة بين أزرق وأصفر . فاذا كانت جميع هذه اللوحات ـ كما يبدو ـ ملونة كذلك فقد كان الجدار معرضاً لمنظر رائع كتلك التي تبدو في اللافتات الحديثة .

وفي السادس من شهر مارس سنة ١٩٣٧ وقفنا على أسس معبد آخر مبني من اللبن ، موقعه شمالي معبد « امنحتب الثاني » مباشرة ، وكان في حالة سيئة فتآكلت جدرانه مما يلي أساسه ، ويظهر أن مدخله كان من الجهة الغربية ويؤتى على درجات تهبط من مستوى أعلى من سطح الأرض ، (انظر الرسم شكل رقم ٢) .

ويظهر أن هذا المعبد أقدم من معبد (أمنحتب الثاني) ويحتمل أن يكون بانيه (تحتمس الأول) ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٠١ ق.م) . وهو عند المقارنة بمعبد (أمنحتب الثاني) تدعونا ما وصلت إليه حال عمارته من التخريب إلى الشك في أنها استعملت مدداً لما تلاه من بناء . وقد أمدنا هذا المكان بكثير من اللوحات الصغيرة ، ونذور في هيئة أسود وصقور وعلى شكل « أبو الهول » وكلها مهشمة .

وفي الخامس والعشرين من شهر مارس بلغنا المنازل الحديثة في نزلة السمان ، وأخذنا في هدمها ، وحتى في هذا المكان استمرت الرمال تمدنا بأوان فخارية ونذور في هيئة أسود . وفي السابع والعشرين من شهر مايو انتهينا من هدم الجدران الضخمة التي كانت تشبه القناطر وكان قد أقامها (باريز) شرقي (أبو الهول) ونظفنا البقعة هابطين حتى مستوى الصخر الأصلي وبذلك حررنا الطريق الأصلية التي كانت تؤدي إلى « أبو الهول » .

وبذلك أصبح في مقدور الزائر مرة أخرى أن يسلك إلى « أبو الهول » نفس السبيل التي كان يقصدها ذلك العبقري المجهول الذي وضع تصميم هذا الأثر العجاب .

أصل « أبو الهول »

لقد ألف المرء شكل « أبو الهول » المصرى الذى غدا رمزاً لمصر ، وغدا المرء مطمئنا إلى هذا الشكل ، لا يتوقف ، ولا يتريث ليسأل عما فى مظهره من تهجين . ومع ذلك فهو كغيره من الأشياء له أصل هو الأسد ، ونستطيع أن نقول استناداً إلى ما جاء فى لوحات الاردواز من عصر ما قبل الأسرات ، والتى كانت تستعمل لطحن الكحل الذى كان المصريون يجملون به عيونهم فى هذا العصر السحيق . ومن تلك الألواح نسوق مثلين يرينا أحدهما صورة أسد قوى يبقر بطن رجل غير مصرى منبطح على الأرض ، وآخرون من أشباهه صرعى تنهش رممهم الطير ، وعلى يمين الأسد طائفة من أسرى يسوقهم شخص يلبس ثوبا طويلا موشى ، وأطرافه مزينة .

والمثل الثانى يرينا صوراً رمزية لسبع مدن محصنة ، تدل صورها على أسمائها ، كالبلدة « كاو » ترى وقد هاجمها وأخذ يقوضها من أساسها أسد بفأس أو معول[1] .

ويرى « زيته » أن تلك الأسود إنما تمثل الملك الظافر ويدلل على رأيه بما يؤيده فيقول : إن من تلوا هذا العصر من المصريين كانوا دائماً يصورون الفرعون كأسد ، فيقولون « كالأسد فى ساحة القتال » أو « الأسد الضارى » أو « أسد بين الحكام . . . . الخ . ويمثلونه فى هذه الصورة فى كل عصور التاريخ المصرى . وكان « أمنحتب الثالث » بوجه خاص مغرما بأن يصور فى صورة أسد ، جاء فيما على التمثالين الجميلين اللذين عثر عليهما فى جبل « بركال » ببلاد النوبة من نقوش :

(١) أولى هاتين اللوحتين موجودة الآن بالمتحف البريطانى : راجع
Legge, «P. S. B. A,» vol. XXII, P. 135.

وبخصوص اللوحة الثانية راجع :
Demorgan, «Recherches sur L'origion de L'Egypte.. vol. II.

لقد أقام هذا الأثر ليمثل صورته الحية على الأرض « نب ماعت رع » (أمنحتب الثالث) - ويستمر المتن مشيراً إلى الملك على أنه « الأسد القوى محبوب آمون رع ملك الأرباب المصرية خلال الأسرة الثامنة عشرة[1] . وهذان الأسدان الموجودان الآن بالمتحف البريطانى[2] ، وقد وصفهما الكاتب (رسكن) بأنهما أجمل قطعتين منحوتتين لحيوان فى العالم أجمع .

ومن الأمور الطبيعية عند الناس والبدائيين بخاصة وبعض الشعوب المتحضرة أن يشبهوا حكامهم بأقوى وأجمل ما يعرفون من الحيوان . والواقع أن الأسد كان ولا يزال يلعب هذا الدور فى كثير من بلاد العالم ، فمن ألقاب إمبراطور الحبشة : أسد يهوذا ، على حين يلقب « شاكا » ملك زولولاند العظيم فى جنوب أفريقية « بالأسد الأسود » .

ونستطيع أن نقول إنه من المحتمل أن ملوك مصر قبل الأسرات كانوا فى العادة يصورون على هيئة أسود ، وقد استمر هذا التصوير المجازى خلال عهود الأسرات ، فقد كان الملك يمثل أحيانا فى صورة ثور ، وكان لقبه « الثور القوى » ضمن ألقاب فرعون وظل حتى نهاية عهد الوثنية ، غير أن هذا التصوير على شكل البقر لم يبق بعد العصر العتيق .

ولقو الأسد وشجاعته أصبح يعتبر حارسا قويا ولذلك أصبحت صورته شيئاً يمكن أن نسميه « حلية سحرية » ، وصار ينظر إلى الأسد منذ عهد ما قبل الأسرات على أنه يؤدى عمل الحارس ، وفى مصر القديمة كانت صورته تشكل قوائم المقاعد ومساندها ، كما كانت تشكل كذلك القاعدة التى يرتكز عليها عرش الملك ، وتشكل صورة الأسد المستطيلة قوائم أسرة الأحياء فتحرس الأسود النائم من أعدائه الطبيعيين والخارقين للطبيعة ، كما هى الحال فى نقوش الموتى أيضا .

وكانت صورة الأسد فى الرسم والنحت على السواء تحرس أبواب المعابد كما هى الحال فى معبد « الدير البحرى » غرب طيبة ، وحتى فى معبد « أمنحتب الثانى » الواقع بين قوائم « أبو الهول » الكبير بالجيزة .

(١) راجع : Budge. «The Egyptian Sudan» P. 618.

(٢) راجع : Budge. «A giude to the Egyptian Galleries (SCULPTURE) P. 121.

وكان يتبع الملك أسد أليف فى ساحة القتال ، ومن المحتمل أنه كان كذلك يقوم بدور الكلب فى حراسة القصر أيام السلم ، كما نرى فى عهد « رمسيس الثانى » . وفى رسوم مدينة « هابو » فى غرب طيبة نرى أسداً أليفاً يتبع رمسيس الثالث فى المواكب الدينية ، وكانت صور الأسد تستعمل فى بعض ألعاب التسلية تمثيلا للأفراد ، واستعملت دميات على هيئة الأسود كتعاويذ فى عصور ما قبل الأسرات ، وفى عصور الأسرات على السواء . وكانت ضباب الأبواب ، وبعض صنجات الموازين تصاغ من البرنز فى هيئة الأسود .

وكانت ميازيب المياه تنتهى فتحاتها بما يمثل رأس الأسد ، وقد انتقلت تلك العادة إلى أوروبا وانتشرت فيما يظهر فعدت الميزاب إلى الصنبور والنافورة . إلى يومنا هذا .

على أن الصلة بين رأس الأسد وقذف الماء يذكر بالمعبودة « تفنوت » توأم « شو [1] » .

و « تفنوت » التى يعنى اسمها « التافلة » كانت تمثل فى صورة امرأة برأس أسد أو لبؤة وأحيانا تمثل فى صورة أسدية كاملة . وكانت تشخيصا للمطر والندى والرطوبة . ويجوز أن يكون بعض تقاليد هذه الآلهة على طول المدى قد نقل إلى أوروبا عن طريق بلاد اليونان وروما ، وهذا يفسر لنا وجود الأسد فى كل نافورة عامة ، وإلا كانت صورة الأسد فى مثل هذه الأحوال حلية غير ملائمة .

ويقول « حوربولون » [2] الكاتب الكلاسيكى الذى عاش خوالى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد : « إن الأسود كانت تعد من سمات الفيضان ، ذلك لأن النيل كان يشكو فيضه عندما تكون الشمس فى برج الأسد ، كذلك كان المشرفون على الأعمال المقدسة فى القديم يصنعون الميازيب ونافورات المياه ومجاريها فى صورة أسود .

---

(١) هذان المعبودان هما أول توأمين خلقهما الاله امون . وكما تقول احدى الأساطير خلق أتوم الاله « شو » بعطسة منه ، وخلق الآلهة « تفنوت » بتفلة منه . وفى العربية العامة الآن « تف » بمعنى تفل .

(٢) راجع : Horapollo, Book I, 21.

ونجد كثيراً من الآلهة المصرية — غير «أبو الهول» والآلهة «تفنوت» — يتخذ صفات خاصة بالأسد ، فالإله « نفرتوم » أحد أعضاء ثالوث منف (وهو بتاح وسخمت ونفرتوم) يمثل عادة واقفاً على أسد ، وأمه « سخمت » تمثل برأس لبؤة . والإله « ماحس[1] » يمثل في صورة أسد يلتهم أسيراً أو في صورة رجل برأس أسد ، والإله « بس[2] » تستعمل صورته حلية رئيسية لزخرفة أثاث المنزل وأدوات الزينة ، وكان يمثل قزما له جزء من جسمه إنساني والآخر أسدي .

إذا ذكرنا كل أولئك فالى أى شيء كانت تشير ؟

فكان الأسد كما رأينا منذ أقدم العصور أقوى الحيوانات وأشدها بأساً وأثراً وهو بذلك كان رمزاً إلى الملك ، وهو عند البدائيين رمز لرئيس القبيلة ، والملك أو الرئيس هو الذى يحمى قومه من العدو ، يقودهم فى ميادين القتال ، ويستحدث لهم أماكن جديدة للصيد ، ويطعمهم وقت المجاعة ، فكان الرئيس والأسد شيئاً واحداً فى فهمهم (عقيدتهم) ، ومن ثم كانت التميمة على هيئة الأسد أغلب الظن لهذا الغرض .

ولا شك أن للأسد جمالا فى خلقته ، وأنها خلقة مطواع يمكن استخدامها لأغراض مختلفة ، ذلك من عوامل انتشار الرمز بالأسد ، ولكن الغرض الأساسى هو اتخاذه درعاً واقياً وحارساً ساهراً قوياً لم ينس ، واستمر ذلك منتشراً فى عهد البطالمة ، كما كان منتشراً فى العهود القديمة التى ترجع إلى قبل أيام « مينا » ، وواتت الفرصة المصريين عندما رغبوا فى خلق صورة ذات أثر لملكهم المؤله وكان يسمى بعد الموت « حوراختى » (حور الساكن فى الأفق) رب السماء ، فتساءلوا كيف يصورون ذلك ، خطر ببالهم استعمال صورة الأسد ولكنها لم تف بما يطلبون لارتباط الأسد فى عقولهم بالشراسة والملكية فى آن معاً ، وكانوا يرغبون فيما يمثل قوة العقل والبدن ، وأكبر الظن أنهم وصلوا عن هذه الطريق ، فتفتق ذهنهم

---

(١) الاله « ماحس » هو ابن اله الشمس رع والآلهة « باستت » آلهة بوبسطه ويوجد أحيانا بالآله « شو » أو الآلهة « تفنوت » وكل منهما يمثل فى صورة أسد .

(٢) الاله « بس » هو اله الفرح والسرور وكان يعد حامى الأطفال والجنود.

إلى صورة « أبو الهول » الذى تظهر فيه رشاقة الأسد وقوته المخيفة بالإضافة إلى القوة العقلية الخلاقة التى خص بها الإنسان .

ولدينا حسبما أذكر مثل واحد من صور «أبو الهول»من عصر ما قبل الأسرات ، وقد وجد هذا على لوحة اردواز محفوظة الآن بالمتحف البريطانى . وهـذا المخلوق له جسم إنسان ورأس صقر أو نسر ، وله جناحان يخرجان من وسط الظهر ، ويظهر أنهما مشدودان بحبال من تحت بطنه ، وقد مثل فى حالة هجوم على ظهر ثور .

وأقصى ما يمكن أن نقوله إن تلك الصورة فيما يبدو لا يمكن أن يكون لها معنى رمزى ، فنحن نجدها فى مناظر الصيد والمناظر التى تصور الحياة البرية ، التى كانت شائعة فى كافة عصور التاريخ بمصر القديمة ، وقد كانت هى الأصل فى تلك السلسلة الطويلة من الحيوانات الخرافية المتوحشة ، التى صورت فى الماضى والتى ما زالت بقاياها ماثلة حتى يومنا هذا . ويعد تمثال « أبو الهول » العظيم الرابض فى صحراء الجيزة أقدم الآثار التى مثلت فى صورة أسد ورأس إنسان حتى الآن ، وهو بلا نزاع أعظمها شهرة ، فلنقف عنده قليلا نتفحصه بتفصيل أدق ، ونرى ما إذا كان من الممكن أن نصل إلى فكرة عن عمره الحقيقى .

إن « أبو الهول » العظيم يقدم لنا من الوجهة الأثرية أنجح طراز من طرز « أبو الهول » ، فله جسم أسد قوى ، وغير مكبل بالأجنحة ، وله رأس إنسان وثيق التركيب ، يبدو فى ذلك الغطاء المعروف باسم « نمس » وعلى جبينه الناشر ، وله لحية مجدولة كلحية « أوزير » . ويمثل صنم « أبو الهول » بالجيزة فى النقوش دائماً رابضاً على قاعدة ، أثار شكلها كثيراً من التأمل بين فريق من علماء الآثار .

وهذه القاعدة تتخذ فى العادة شكل مستطيل مرتفع يتوجه كرنيش ويضاف إليه غالباً رسم باب . ولقد مثل « أبو الهول » على إحدى وخمسين لوحة كشفت عنها أعمال التنقيب فى جبانة الجيزة ، من بينها إحدى وثلاثون مثل عليها رابضا على قواعد من النوع السالف الذكر ، وفى سبع منها تمثل الباب ، أما التسع عشرة الباقية فبعضها مهشم ، ومنها الصغير ، والمخطط تخطيطاً خشناً تنقصه التفاصيل ، فنرى على اللوحة رقم ١٢ من حفائرنا (انظر شكل ١٣) أن « أبو الهول » قد صور كأنه رابض على بناء متوج بطوار وله باب . وفى متحف اللوفر لوحة لموظف

يسمى « نزم مريت » لها باب وسلم ذو ست درجات متصلة بقاعدة التمثال . وقد وصف هذه اللوحة الأستاذ « موريه » فقال[1] :

وفى لوحتنا نجد القاعدة على هيئة ناووس ذى باب ، يسعى إليه على درج » .

وعلى لوحة « بنت خوفو » (ترجع إلى عهد متأخر) يشاهد « أبو الهول » رابضا على قاعدة فى هيئة ناووس ، وإن كان ينقصها الباب والسلم .

وبعد ، ترى ما الشكل الأصلى إذن لقاعدة « أبو الهول » ؟

ذلك هو نفس السؤال الذى جال بخاطر « مسبيرو » عندما كان يقوم ببحثه غير المثمر حول قاعدة « أبو الهول » ، ويرجع الفضل فى توضيح ذلك إلى الأضواء التى انبعثت خلال أعمال التنقيب التى قمنا بها حديثاً حول هذا الموضوع ، فلقد وضح أن قاعدة « أبو الهول » الحقيقية هى تلك الصخرة الطبيعية التى يربض فوقها ، وقد قطعت من الأمام إلى عمق مترين ونصف متر تحت مستوى المخلبين ، وعندما بنى معبد « أبو الهول » استعملت هذه القاعدة الأمامية أساساً للجدار الغربى فى الردهة الكبرى ووسط هذا الجدار الغربى كسوة كبيرة تشغله .

فاذا نظرنا إلى « أبو الهول » من مدخل المعبد أو من الردهة المكشوفة ، اتضح لنا على الفور شكل القاعدة ، فأبو الهول يبدو رابضاً على كتلة عظيمة مستطيلة ، كانت فى عهدها الأول متوجة بطوار (كرنيش) مفرغ ظهر جزء منه خلال عملية التنقيب فى المعبد وهنا يبدو المنظر كما تراه مسجلا على اللوحات وباب القاعدة هو المحراب الذى يتوسط الجدار الغربى من الردهة الوسطى .

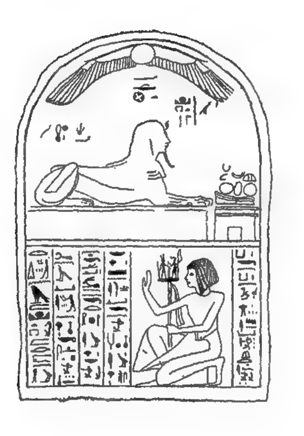
وليس هناك ما يدعو إلى أن نشق على أنفسنا فى بحث ما فى تفاصيل الصور من اختلافات لأن الفنانين المصريين القدامى كانوا يجرون وراء خيالهم بعد أن يرخوا له العنان . ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أنك ترى فى اللوحة رقم ٩ (شكل ١٤) صورة «أبو الهول» وهو رابض على قاعدة من الصخر الطبيعى وأمامه معبد ، وترى أن القرابين التى ينبغى أن تكون داخل المعبد موضوعة على قمته كقواعد الفن المصرى .

---

(١) راجع : Moret «Revue d'Egyptologie,» (1919) p. 14, pl. IV.



(شكل ١٣) لوحة المدعو « يوح »



(شكل ١٤) لوحة عليها رسم أبو الهول ومعبده

وتتفق كل اللوحات التي رسمت فيها قاعدة لتمثال « أبو الهول » العظيم فى النقط الأساسية ، ولكنها تختلف فى ادرجة تقديرها ، باختلاف مهارة الفنان وهواه ، وباختلاف مساحة الرقعة التي تقدر لرسم صورته .

وهناك نقطة كانت تبدو غامضة بعض الشيء على كل حال : كيف عرف أهل الفن والصناعة فى الدولة الحديثة أن «أبو الهول» يربض على قاعدة ؟ وكيف عرفوا شكل هذه القاعدة ؟ وهناك احتمالان :

إما أن يكونوا قد رأوا هـذه القاعدة بأنفسهم ، وإما أن يكونوا قد نقلوها عن صورة قديمة نفتقدها الآن . ونحن نعلم من المتن الذى تحمله لوحة « تحتمس الرابع » أن « أبو الهول » فى عهده كان مطموراً بالرمال ، وبالتالى يكون المعبد الذى ينخفض مستواه قد كان مطموراً كله ، ونذكر القارئ بأن أساس معبد « أمنحتب الثانى » كان مقنطراً على الممر الشمالى للمعبد القديم . ولذلك فانه إذا لم يظهر ما يدل على أن « تحتمس الرابع » قد قام فعلا برفع الرمال من حول « أبو الهول » ، وهذا غير محتمل ، فان من الأصوب أن نعترف بأنه لا الملك ولا أحد من فنانيه قد استطاع رؤية قاعدة التمثال . ولنا أن نزعم بعد ذلك أن الصانع قد نقل الصورة عن شاهد قديم يخفيه الزمن عن أنظارنا اليوم .

ولنا أن نسأل نفس السؤال فى موضوع اللوحة رقم ٩ وهو :

كيف عرف الفنان وجود المعبد المقام أمام «أبو الهول» وقد كان هذا مدفوناً تحت الرمال ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نستطيع أن نقول ، إن الأثر الذى استدللنا منـه على شكل قاعدة « أبو الهول » يحتمل أن يكون قد سجل عليه ما يدل على وجود المعبد ، على حين نفيد من النظر إلى لوحة السجل أن قد كانت هناك وثائق رسمية خاصة بهذا الأثر يمكن الاعتماد عليها ، فمن الممكن أنها تحوى وصف القاعدة وتشير إلى وجود المعبد فى آن معاً .

آراء المصريين القدامى فى «أبو الهول»

لم نصل حتى الآن إلى نتيجة يطمأن إليها ويقطع بصحتها عن عصر «أبو الهول» ولا عمن قام بنحته، ولم نعثر على نقش واحد من عصره يوضح لنا هذه الناحية.

ولقد كان المصريون أنفسهم فى عهد الدولة الحديثة فى جهل تام بكل ما يتصل بالأثر، ونشك فى أن واحدا منهم كان يعرف ما نعرف نحن من حقائق عن تاريخ «أبو الهول».

تعال ننظر فيما قاله المصريون القدامى عن «أبو الهول» وأصله: إن المصريين من أهل الدولة الحديثة قد كان اهتمامهم منصبا على إيجاد الصلة بين «أبو الهول» والشكول المختلفة لآلهة الشمس أكثر من اهتمامهم بالبحث عن أصله القديم. ومن هنا كان ما عرفناه عن لاهوتهم من المتون التى تركوها أكثر مما عرفناه من الآثار التى خلفوها.

امنحتب الثانى

(١٤٤٨ – ١٤٢٠ ق . م)

ما زال أقدم رأى أصيل فى تمثال «أبو الهول» هو ذلك الذى انحدر إلينا عن «أمنحتب الثانى»، غير أن هذا الرأى مع ذلك لم يسجل إلا بعد نحو ألف وأربعمائة سنة من إقامته، وذلك دون ما ذكر لمنشئه: «على أن أمنحتب إنما يشير فى لوحته الكبيرة التى أقامها من الحجر الجيرى إلى أهرام «حور مأخت» وهو اسم لعله يبين ما كان يراه من أن «أبو الهول» إنما كان أقدم من الأهرام، كما أنه يشير إلى «أبو الهول» باسم «حور مأخت» و «حور أختى».

تحتمس الرابع

(١٤٢٠ – ١٤١١)

وقد ذكر تحتمس الرابع فيا روى من أحلامه التى نقشها على لوح من الجرانيت ما قد يعبر عن رأيه فى « أبو الهول » ، إذ سواه بالإله « خبرى – رع – أتوم » ، كما سمى هذا المعبود باسمه الشائع « حور مأخت » ، كذلك جاء فى آخر ما استبانت قراءته من سطور هذا اللوح على تهشمه :

« ولسوف توجه الحمد إلى الإله » ونتفر . . . . خفرع ، والتمثال الذى صنع للإله « أتوم حور مأخت » . . . .

ولشد ما يؤسف له أن ينكسر المتن عند هذا الموضع إذ يبدو أن تحتمس قد ربط – بوسيلة ما – اسم « أبو الهول » بالملك خفرع . وأنه كان من ناحية العقيدة يعتبر « أبو الهول » صورة من صور الشمس فى مظاهره ، كما يظهر من اسمه «حور مأخت – خبرى – رع – أتوم[1] » . ومع ذلك فأكبر الظن ألا يكون تحتمس الرابع ولا الكهان من القائمين على سدانة «أبو الهول» يومئذ يعرفون الحقيقة عن أصل ذلك التمثال .

على أننا لو أخذنا المتن بما فيه ، واعتبرنا « أبو الهول» مساويا للإله « أتوم»، إذن لاستطعنا أن نرجع بتاريخه إلى عهد ظهر فيه هذا الإله الذى ظهر اسمه فى متون الأهرام من الإلهين « خبرى » و « رع » ، ولاستطعنا لذلك أن نعد «أبو الهول» من أقدم الآلهة المصرية ، ولكننا لسوء الحظ إنما نقيم افتراضنا هذا على متون من الدولة الحديثة ، كتبت فى وقت نسى فيه المصريون الطقوس الأصيلة المتواترة عن هذا المعبود .

سيتى الاول

(١٣١٣ – ١٢٩٠ ق ٠ م)

لم يتعرض « سيتى » فى اللوح الذى أقامه فى معبد « أمنحتب الثانى » لذكر تاريخ « أبو الهول » القديم ، كأنما عجز عن الحصول على حقائق يعتمد عليها فى ذلك الموضوع ، فاكتفى بالإشارة إليه ، بأنه المكان الذى يصلى فيه الناس » .

---

(١) « حور مأخت » هو الاسم الذى كان يطلق على « ابو الهول » واسم « خبرى » كان يمثل اله الشمس فى الصباح الباكر ، واسم « رع » يمثله عند الظهر واسم « أتوم » عند الغروب .

ومع ذلك فلعل هذا اللوح بما أصابه من تشويه قد تعرض لما ذهب بالعبارة التي كانت خليقة أن تفيدنا . وقد سمى « سيتى » أبو الهول « حول » كما سماه « حور مأخت » وهى الأسماء التى أطلقت عليه خلال الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

لوح الاحصاء

يوحى متن هذا اللوح بأنه نسخة من لوح قديم قائم فى متحف « إزيس » عند الهرم الأكبر ، ولكنه على الأرجح كما سوف نرى إنما كان تزييفا متأخرا ، ومع ذلك فقد نأخذ به على أنه يعبر عن آراء القوم الذين عاشوا بين العصرين الأثيوبى والصاوى (نحو ٢٧٠٠ سنة مضت) . ويعكس آراءهم عن « أبو الهول والأهرام » .

ذكر « أبو الهول » فى هذا المتن باسم « حورون » وهو اسم لم يكن معروفا من قبل حتى الأسرة العشرين ، ولكنا نعرف اليوم أنه كان ذا أشكال مختلفة شاعت منذ طلائع الأسرة الثامنة عشرة .

وفى ذلك برهان واضح على أن نص اللوح لم يكن بحال نسخة من وثيقة ترجع إلى الدولة القديمة كما يزعم .

بلينى(١)

(٢٣ بعد الميلاد)

قال « بلينى» عالم الطبيعيات الرومانى :

يقع أمام « الأهرام » « أبو الهول » الذى قد يستحق الإعجاب أكثر منها . وهو يروع الإنسان بسكونه وصمته ، كما أنه الإله المحلى لسكان المنطقة المحيطة ، ويعتقد هؤلاء الناس أنه قبر الملك «أمايس» ، ويقولون كذلك أنه كان منحوتا فى غير هذا المكان،ثم نقل إلى موضعه الحالى. غير أنه فى الواقع جزء من الصخر الطبيعى

---

(١) راجع Pliny's works, Book XXXVI, ch. XVII

حيث نحت مكانه ثم صبغ باللون الأحمر ليتفق مع العبادة ، ويبلغ محيط رأسه ٢٠٠ قدم وطول جسمه ١٤٣ قدما وارتفاعه من بطنه حتى قمة رأسه ٦٢ قدما[1] .

ويظهر جليا من ذلك أن « بليني » كان جاهلا بأصل « أبو الهول » وكذلك كان عباده فى ذلك الوقت .

يتبين مما تقدم أن الفكرة العامة عند الأقدمين أن « أبو الهول » إنما كان أقدم من الأهرام ولذلك فقد يستدعى ذلك معرفة المصدر الذى خرج عنه ذلك الخبر ولعله كان نتيجة طبيعية لتسوية «أبو الهول » بالإله الشمس ، ولعلهم بذلك قد افترضوا بسهولة أنه من عهد ما قبل الأسرات ، ولعلهم أرجعوه إلى عصر الملوك من أنصاف الآلهة الذين عرفوا بأتباع حور[2].

وعلى نقش فى معبد « حور » بأدفو بالوجه القبلى يرجع إلى عهد البطالمة نجد ما يأتى :

ثم تقمص « حور » أسداً له وجه إنسان وكان متوجا بالتاج المثلث[3] .

ومن العجيب فى المنظر الذى يصاحب هذا المتن أن يبدو فيه الإله فى صورة أسد طبيعى . وفى هذا ما يدل على ما كان لكل من « أبو الهول » والأسد من شكل متناظر فى أذهان المصريين .

---

(١) الواقع أن ابعاد ابو الهول الحقيقية كما يلى :
ارتفاع : ٦٦ قدما ، طول : ٢٤٠ قدما ، الاذن : ٤ اقدام و ٦ بوصات ، الانف : ٥ اقدام وسبع بوصات ، الفم : ٧ اقدام و ٧ بوصات ، والعرض الكلى للوجه ١٣ قدما و ٨ بوصات . راجع Baedeker, «Egypt» (1929), p. 14 5.

(٢) اعتقد المصريون ان ارضهم فى البداية كانت تحت حكم اسرة من آلهة عظام ، وان « حور » بن « ازيس » وازوريس آخرها ، ثم خلفه أسرة من انصاف آلهة عرفوا باسم « اتباع حور » الذى تخلى بدوره عن مكانه الملكى لملوك مصر التاريخيين .

(٣) راجع Budge, «Legends of the Gods», p. p. 88, 89.

آراء مؤرخى العرب

فى « ابو الهول العظيم »

كانت الآراء التى صدرت عن « أبو الهول » بعد الفتح الإسلامى عام ٦٤٠ بعد الميلاد قليلة وإن لم تكن مع ذلك عديمة القيمة إذ تبين مدى تغلغل المأثورات المحلية فى الناس رغم تغير الدين مرتين .

عبد اللطيف البغدادى(١)

يقول عبد اللطيف البغدادى :

« وعند أحد هذه الاهرام رأس هائل بارز من الأرض فى غاية العظم ، يسميه الناس « أبا الهول » ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض ، ويقتضى القياس أن تكون جثته بالنسبة إلى رأسه سبعين ذراعا فى الطول ، وفى وجهه حمرة ودهان أحمر » .

المقريزى(٢)

وذكر المقريزى :

« وفى زماننا (٧٨٠ هـ) شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر ، وهو أحد الصوفية قام لتغيير أشياء من المنكرات ، وسار إلى الهرم ، وشوه وجه أبى الهول ، فهو على ذلك إلى اليوم ، ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة ، وأهل تلك النواحى يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضى فساد وجه أبى الهول ولله عاقبة الأمور » .

---

(١) راجع Abdel. Latif El Baghdady, «Relation de l'Egypte, vol. 1, p.106

(٢) راجع الجزء الأول من خطط المقريزى ص ١٩٧ .

علي مبارك(١)

ويقول علي مبارك : « هذا الصنم (أبو الهول) يقال له اليوم « أبو الهول » وكان أولا يعرف بلهيب كما ذكر المقريزى » .

القضاعى(٢)

ويقول القضاعى : « صنم الهرمين — وهو « بلهوبة » صنم كبير فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط ، تسميه العامة بأبى الهول ويقال بلهيب ، ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على منطقة الجيزة » .

وفى كتاب عجائب البنيان ذكر أن : «عند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض فى غاية العظم ، تسميه الناس أبا الهول ، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض . ثم يقول عنه الرحالة « فانسلب » Vansleb » إن أنفه قد هشمت بيد رجل مراكشى ، رويت عنه فى شعر عربى جميل قصة لا أذكرها هنا حرصا على الإيجاز فضلا عن عدم ثقتى فى صحتها .

على أن هـذا المعتوه الذى شوه وجه « أبو الهول » قد أوقع فعلته بالأسود التى كانت تزين أحد جسور القاهرة التى شيدها الملك « الظاهر بيبرس البندقدارى » ، ولكن ما ذكره « عبد اللطيف البغدادى » أن الأسود وأبو الهول إنما شوهها الشيخ محمد صائم الدهر وذلك لاعتقاده بأن الله إنما يرضى عن ذلك .

---

(١) راجع الجزء السادس عشر من كتاب خطط مصر للعلامة على مبارك ص ٤٤٠ .

(٢) راجع : El-Kodai, ibid, part I, p. 197

آراء الأثريين المحدثين فى « أبو الهول » الكبير

« فلندرز بترى »

يقول الأستاذ فلندرز بترى فى كتابه تاريخ مصر[1] .

وبالقرب من هذا المعبد (معبد الوادى للملك خفرع) يربض « أبو الهول » ، ولما كنا نفتقر إلى مايدل على عصره فقد نركن فى دراسته هنا إلى الموقع الذى يقوم فيه . . . متى نحتت تلك الأكمة من الصخر هكذا ومن نحتها ؟ ثمة تاريخ لاحق أتاحه لنا « تحتمس الرابع » فى اللوح الذى أقامه بين مخالبه ، وليس من شك إذن فى أنه كان أقدم من عهده ، ولقد ظن من ناحية أخرى أنه يرجع إلى فجر التاريخ ولكن هناك شواهد تدحض ذلك إذ يتوسطالظهر بئر قبر قديم ، وماكانت هذه البئر لتحفر أيام تقديسه ، ولا بد أنه كان لمقبرة أقيمت هنا قبل أن ينحت «أبو الهول » كذلك فليست هناك مقابر قريبة تسبق عهد « خوفو » ولا كذلك فى هذه المنطقة قبر أقدم من «خفرع » ، تشهد ذلك فيا نرى من الطريق الصاعدة العريضة الممتدة فى الصخر حتى الهرم الثانى . إذ يقع على كل من جانبيها عدد عظيم من آبار المقابر ، على حين لا تجد واحدة منها قطعت فى عرض هذا الطريق كله وحاصل ذلك أن الطريق إنما يصبق القبور فى المنطقة وأن « أبو الهول » يلحق تلك القبور .

ذلك هو رأى « بترى » ولكنه إنما يتحدث عن الطريق الصاعد قبل أن يكشف عنه كشفاً كاملا حقاً ، لم يكن هناك قبور فى هذا الجزء من الطريق الصاعد الذى يقع إلى جانب « أبو الهول » والذى كان الجزء الوحيد الظاهر للعيان حتى توليت الكشف عن سائره عام ١٩٣٥ و١٩٣٦ . ونستطيع أن نرى اليوم أن جزأه الذى

---

(1) راجع : Petrie, «History of Egypt» p. 68, (1923)

يقع غربى « أبو الهول » ثم يمتد حتى الهرم الثانى إنما يحوى آبارا حفرت فى سطحه الأعلى كما ترى غرفاً للدفن قطعت فى جوانبه .

فاذا اتخذنا الحقائق كما عرفها « بترى » وجدنا رأيه سليما ، إنما وقع فى الخطأ حين حاول استنتاج حكم على موقع لم يكشف إلا جزء منه وهو أمر خليق ألا نعنف فى نقضه .

مسبيرو

كان ماسبيرو يميل أول الأمر إلى نسبة « أبو الهول » إلى عصر ما قبل الأسرات إذ يقول[1] : لقد اعتلى تمثال « أبو الهول » العظيم « حرماخيس » حارسا على أقصى الشمال منها (النهضة اللوبية) منذ عهد اتباع « حور » . ثم عاد بعد ذلك فعدل رأيه إذ يقول(٢) : فى « أبو لهول » « لعله يمثل الملك خفرع » نفسه وهو يحرس معابده وهرمه بقوة السحر التى فى « أبو الهول » . ثم يعود بعد ذلك فى نفس الكتاب فيقول : « لقد ظل تاريخه موضع جدل آخر . وتشير الكشوف الحديثة إلى أنه إنما يمثل « خفرع » نفسه ــ وذلك برأس فرعون وجسم أسد ــ وهو يحرس هرمه ومعبديه من كل شر بقوة السحر التى فى « أبو الهول » .

بروكش

ويقرر بروكش[3] أن الملك « خوفو » كان قد رأى « أبو الهول » ولذلك فلابد أنه كان موجوداً قبل عهده ، وذلك رأى يبدو أنه إنما أقامه على ما جاء فى لوحة الإحصاء المشهورة .

بورخارت

ومضى بورخارت تحت عنوان « أبو الهول بالجيزة » فاندفع فى خيال غريب ، إذ أراد أن يحدد عصر « أبو الهول » من الخط الملون الذى يحلى عينه ومن الطريقة التى ثنى بها لباس رأسه ، وذلك أن هذه الخصائص التى ترى فى « أبو الهول »

---

(١) راجع : Maspero, «The Dawn of civilization», p. 247

(٢) Maspero, «A manual of Egyptian archeology, p. 74.

(٣) Brughsch, «Egypt under the pharaohs», p. 37.

لم تظهر كما يزعم في عصر آخر إلا على عهد الأسرة الثانية عشرة وفي حكم الفرعون « إمنحات الثالث » على وجه الدقة (١٩٤٩ — ١٨٠١ ق. م.) ، بل إنه ايرى في قسمات « أبو الهول » شبهاً بتماثيل « إمنحات الثالث » المعروفة ، وربما كان لسوء حظ بورخارت بالنسبة للشواهد من ثني لباس الرأس (نمس) وخطوط الكحل أنها ليست في تماثيل المجموعات الوطنية في أوروبا ، ولذلك كان مذهبه في نسبة « أبو الهول » إلى الدولة الوسطى محالا قبوله .

برستد

أبدى برستد شكه صريحا في عصر « أبو الهول » حيث يقول[1] :

« لم يستقر الرأى بعد فيما إذا كان « أبو الهول » نفسه من عمل « خفرع » ، فإن « أبو الهول » العظيم كشأن سائر تماثيل أبو الهول الأخرى ليس إلا صورة لأحد الفراعنة .

وهناك إشارة غامضة إلى « خفرع » في نقش بين مخلبيه الأماميين تدل على ما كان معروفا له في تلك الأيام من شأن به » .

« بدج »

ويقول « بدج » في آخر طبعة لكتابه « المومياء[2] » :

« وعند هذا المعبد (أى معبد الوادى للملك خفرع) يقوم ذلك الأثر الغامض أبو الهول . . . . . الذى كان يوماً رمزاً للإله « حور مأخت » . . . . . »

وللملك ظل الإله على الأرض . ويحدّث نقش عثر عليه « مريت » في معبد « إزيس » قرب هرم « خوفو » : إن الملك « خوفو » أقام هذا المعبد .

وإن البعض يظن أنه هو الذى استنحت هـذا النتوء الصخرى في صورة أسد برأس إنسان ، حيث ملئت أجزاء منه بالبنـاء زيادة في إتقان هيئة الجسم ، ويفترض آخرون أن « أبو الهول » أثر من عهد ما قبل الأسرات ولكن هذه النظرية غير ذات أساس .

---

(١) راجع Breasted, «A history of the ancient Egyptians», p. p. 110-111

(٢) راجع : Budge, «The mummy», p. 32

وعندى أن « أبو الهول » العظيم فى الجيزة إنما أقيم من بعد إتمام هرم « خفرع » وملحقاته . وأن الذى يفضى بى إلى تلك النتيجة من الشواهد: خندق يمتد حتى الجانب الشمالى من طريق الهرم الثانى ، إذ اقتطع هـذا الخندق الذى يبلغ عرضه مترين وعمقه متراً ونصف متر فى الصخر ليكون فاصلا بين جبانة « خوفو » فى الشمال وجبانة « خفرع » فى الجنوب ، وتشهد تعيين الحدود بحفر الخنادق بالنسبة للمصاطب المنحوتة فى الصخر حيث تقع فى السطح الأعلى من الصخر لتعيين حدود القبر .

وينتهى الخندق الذى نتحدث عنه فجأة عند الحافة الغربية للتجويف الذى يربض « أبو الهول » فيه (راجع التصميم رقم ٢) .

ويقوم هـذا الخندق اليوم مصرفا للمياه عند حدوث مطر غزير ، فيصرف كل مياهه القذرة فى الحفرة التى يجثم فيها « أبو الهول » ، ويبدو هذا برهاناً واضحا على أن « أبو الهول » قد نحت بعد الانتهاء من إنشاء الطريق الصاعد ، فلو قد كان موجوداً من قبل لما امتد الخندق حتى يصل إلى التجويف الذى يقيم « أبو الهول » فيه ، فما كان معقولا أن يصبح الحائط المقدس للإله وعاء لتصريف المياه ولو فى أوقات متباعدة . ثم لم يعد على كل حال سبيلا إلى تجنب ذلك حين نحت « أبو الهول » ولذلك فقد بذل المهندسون ما فى وسعهم ، فسدوا نهاية الخندق بكتل هائلة من الجرانيت ، وفى هـذا برهان قاطع على أن « أبو الهول » إنما كان إضافة لاحقة على هرم « خفرع » وملحقاته وإن لم يكن من الضرورى انتماؤه إليها .

يبدو ذلك إذن كأنما يحدد عصر « أبو الهول » بأواخر حكم « خفرع » على أكثر تقدير ، وفضلا عن ذلك فان تفاصيل التمثال إنما تتفق مع أسلوب النحت فى الدولة القديمة ، كذلك فان « أبو الهول » كما قد رأينا إنما يسبق المقابر التى نحتت فى حوائط المسرح المحيط به على حين ينتمى طراز معبده من غير أدنى شك إلى طراز الأسرة الرابعة .

على أن قاعدة « أبو الهول » لما كانت فى واقع أمرها الجزء الأسفل من الجدار الغربى من هـذا المعبد فلا سبيل إلا أن نأخذ بذلك الأمر ونجعله أدنى حد لعصر « أبو الهول » بمنتصف الأسرة الرابعة .

وهناك حقائق أخرى تؤيد هذه النظرية فيما يأتى :

١ — إن إقامة « أبو الهول » العظيم بعد عهد « خوفو » يمكن التحقق منه بدليل الخندق فى الطريق الصاعد . مما يؤكد من غير شك أنه إنما اقتطع بعد إتمام هذا الطريق .

٢ — وإذا كان علينا أن نعتبر « أبو الهول » صورة للملك الإله فلا بد عندئذ من أن نتلمس مؤسسه فى شخص الملك الذى يقع هرمه ومعبداه فى أقرب مكان منه ، فإذا بالشواهد تعود فتشير إلى « خفرع » .

٣ — على أنه لا سبيل إلى نسبته إلى « منكاورع » بانى الهرم الثالث لسببين : أولهما : بعده عن هرمه وملحقاته ، وثانيهما : أنه كان عاجزا حتى عن أن يتم هرمه ومعبديه .

٤ — إن مسئولية خفرع عن إقامة « أبو الهول » إنما تزداد احتمالا بدراستنا لتصميم معبد « أبو الهول » ومعبد الوادى « لخفرع » إذ يظهر جليا أن المبنيين إنما يؤلفان جزءا من تصميم واحد هائل (راجع التصميم رقم ٢) .

ولذلك فإنه ليبدو من تقدير تلك الأمور أن علينا أن نرجع الفضل فى إنشاء أعجب تمثال فى العالم إلى « خفرع » ولكن مع ذلك التحفظ دائما وهو أنه ما من نقش واحد قديم يربط بين « أبو الهول » و « خفرع » اللهم إلا السطر المهشم الذى جاء على لوحة « تحتمس الرابع » ولا يدل على شىء .

ومهما يبدو من سلامة ذلك البرهان فإن علينا أن نتخذه برهانا موقوتا حتى يأتى وقت إذا بحركة سعيدة من فأس تكشف فيه للدنيا عن مرجع قاطع فى أمر إنشاء هذا التمثال ، ولا حرج فى أن نتخذ من تمثال « أبو الهول » علما على تماثيل « أبو الهول » فى عهد الدولة القديمة وإن لم يكن أقدم أمثلتها ، فهناك تمثال أنثى « لأبو الهول » كشف عنه أعضاء المعهد الفرنسى فى أثناء الحفر حول معبد الملك « ددف رع »[1] فى « أبو رواش » . فإذا صح أنه معاصر لهذا الهرم كما يبدو لكان

---

(١) كان « ددفرع » ابنا للملك « خوفو » من زوجة لوبية كما قيل ، وقد خلف أباه ، وأن كان لدينا براهين تدل على قيام منازعات أسرية بسبب تولى ابن أجنبية عرش الملك ومن المحتمل أن من نتائج هذه المنازعات اقامة «ددفرع» هرمه على مسافة خمسة أميال شمال جبانة الأسرة فى أبو رواش وقد خلفه خفرع الذى قيل عنه أنه أخو خوفو .

عندئذ سابقا على « أبو الهول » العظيم ببضع سنين ، وفضلا عن ذلك فنى أثناء حفرنا عن المعبد الجنزى وعما حفر فى الصخر من مراكب الشمس « لخفرع » عند الجانب الشرقى من الهرم الثانى عام ١٩٣٤ – ١٩٣٥ ، عثرت على قاعدة وذراع لتمثال «لأبو الهول» من الحجر الجيرى، وقد دلت المخالب على أنه كان فى حجم أسد كامل النمو ، أما أنه كان تمثالا حقا «لأبو الهول» لا تمثالا لأسد فقد أمكن تبينه من أسفل صدره الذى بقى على القاعدة ، حيث يظهر الجزء الأسفل من الميدعة التى يرتديها تمثال « أبو الهول » عادة مسبلة إلى الامام ، فلو كان التمثال لأسد لكان الصدر منحوتا من أسفل بعض الشىء .

وليس من شك بحكم الموقع عند مراكب الشمس لخفرع أن «أبو الهول» إنما ينتمى إلى ذلك الملك . وقد افترض « هولشر » وجود تمثالين يحرسان مدخل معبد الوادى للملك خفرع .

وربما كانت قطعتنا تلك جزءا من زوج آخر يؤدى نفس الغرض بالنسبة للمعبد الجنزى .

وقد ظهر فى نهاية الأسرة الرابعة وبداية الأسرة الخامسة طراز جديد « لأبو الهول » وهو « أبو الهول » القائم ، ولقد خرج هذا الطراز مخطها إلى النور حين كنت أتولى الحفر عن معبد الوادى للملكة « خنتكاوس » بنت « منكاورع » وهى التى حكمت البلاد بحق الوراثة واتخذت لقب « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » ، وكانت بذلك الصلة بين الأسرتين الرابعة والخامسة . فلقد كانت هذه الملكة بانية الهرم الرابع بالجيزة ، وهو الأثر الذى اختلف وصفه – وكان معظمه مغموراً بالرمال – بأنه هرم غير كامل ، أو نتوء من صخر طبيعى . ولقد عولت على بحث هذا الأثر فى موسم حفائرنا الرابع ، فاذا بى عند تنظيفه أجد النقوش من بوابات الجرانيت والباب الوهمى قد أوردت اسم الملكة وصورتها ، وبذلك سدت فجوة أخرى من فجوات تاريخ مصر المبكر[1] .

ومع ذلك فلنعد إلى « أبو الهول » الذى وجد فى معبد الوادى لهذه الملكة . يدل المستوى المنخفض حيث وجد ، وطبيعة البقعة التى لم تمس على أنه كان معاصراً

(١) راجع : Selim Hamam, Excavations at Giza, vol. IV.

للمعبد ، ومما يؤسف له ضياع الرأس وتكسر السيقان ، ولكن ما بقى منهما إنما يكفى للدلالة على أنه كان واقفا ، متباعد الأقدام ، كأنه فى موقف قتال ، وذلك فى جسم رشيق ، حسن القد ، خال من الحلية ، غير أن أغرب ما فيه أنه خال من الرابطة الحجرية التى تصل بين أرجله من تحت جانب الجسم وبين القاعدة .

ثم تقدم لنا الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق . م) فكرة جديدة من « أبو الهول » لعلها ترجع إلى ملوك « هليوبوليس » الذين أحسوا بما فى أشكال « أبو الهول » من نواحى الجمال فأسرعوا إلى انتحالها لصالحهم ، وربما استطعنا أن ننسب إلى هذه الفترة أول صورة بشرية « لأبو الهول » .

ذلك أن هذه الأسرة لما كانت قد ادعت أنها السلالة المباشرة لإله الشمس نفسه، وأن ملوكها الثلاثة الأولين « وسر كاف » ، و « سحورع » ، و « نفرار كارع » كانوا فى الواقع أولاد للإله من صلبه ، ولدتهم امرأة من الناس كانت زوج الكاهن الأكبر للإله « رع » ، ولم يكن فى تمثيلهم على صورته شىء من أفكار الإلحاد . ولذلك نجد « ساحورع » ، وقد مثل نفسه على صورة أسد جبار ، مزود بجناحى الصقر وريشة ، واطئاً أعداءه تحت أقدامه ، وذلك منظر يشاهد فى نقش فخم من معبد « ساحورع » بأبوصير التى أصبحت منذ الأسرة الخامسة الجبانة الملكية الجديدة ، ولكن سوء الحظ العاثر قد لازم هذا المخلوق فدمرت رأسه [1] . غير أن لدينا نسخة لاحقة من هذا المنظر كشف عنها كذلك « بورخارت » ظهر الرأس فيها لصقر ، فاذا به يبين صلته بما على ظهر « أبو الهول » من جناحى الصقر وريشه ، ويضفى مزيداً من المظهر الفنى على الوحش الذى صور على لوحة الإردواز التى ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات .

ثم تخلف لنا الأسرة السادسة (٢٦٢٥–٢٤٧٥ق.م) مثلا هاماً « لبيبى الأول » فى صورة « أبو الهول » محفوظ الآن بمتحف اللوفر (شكل ١٥) ، وقيل إن « أبو الهول » هذا قد جاء من « تانيس » فى شمال الدلتا وذلك على غير يقين من أنها موطنه الأصيل ، إذ تعرض بضع مرات لاغتصاب الملوك من عصور تالية منهم « رمسيس الثانى » وابنه « مرنبتاح » . ومن ناحية أخرى فقد خرجت إلى

---

(١) انظر : Borchardt. «Das Grabdenkmal des Konigs Sahure», pl. 8



(شكل ١٥) صنم أبو الهول للملك بيبى الأول

النور بقايا كثيرة من عهد الدولة القديمة فى « تانيس » كان بعضها ينتمى إلى « بيي الأول » .

وقد يحار المرء فى قلة ما لدينا من تماثيل « أبو الهول » من الدولة القديمة مع خصوبة عصرها فيا أنتجت من تماثيل الملوك ، وهو أمر نشهده مما وجدنا فى حفائرنا وحدها ، إذ استخلصنا البقايا المهشمة لما بين الثلثمائة والأربعمائة تمثال لخفرع أخرجت كلها من أحجار أنيقة كالديوريت والجرانيت والمرمر ، بل لم يكن تعدد التماثيل فى قبور الأفراد نادراً بحال ، فهذا « رع ور » وكان موظفاً لدى الملك « نفر ابر كارع » ، خرج قبره إلى النور فى أول مواسم حفائرنا بالجيزة [1] فاذا به يحوى ما لا يقل عن مائة تمثال كان أكثرها بالحجم الطبيعى . ترى ماذا صارت إليه تماثيل « أبو الهول » الكثيرة التى يحق لنا افتراض وجودها معاصرة «لأبو الهول» الكبير أو سابقة عليه بقليل ؟؟ . فان من غير المحتمل على الإطلاق أن تكون قد دمرت كلها ، وكذلك فلو قد كانت مخبوءة ليس غير لتحتم فى أكثر من مائة عام من حفائر علمية (وكذلك غير علمية) أن يكشف عن بعضها على أقل تقدير ، ومع ذلك فلم يظهر منها حتى الجذاذات المحطمة ، وذلك خلال النماذج التى ذكرت منذ قليل . تلك أحوال إنما تدعو إلى الشك العميق ، ولعلها تدعو إلى النظر فى مطالع الدولة الوسطى بحثاً عن تماثيل « أبو الهول » هذه الضائعة فلعل طائفة من أحسن الأمثلة المنسوبة إلى هذه الدولة أن تكون فى الواقع من عمل الدولة القديمة ، غصبت وعدلت تفاصيلها كى تتفق مع الذوق السائد . ولعل ذلك بخاصة أن يكون حال التماثيل الجيدة التى وجدت بأعداد فى عصر معروف من عصور الصراع الداخلى والاضطراب والفقر وذلك شأن الأمم كلها فى مثل هذه الفترات ، إذ ينحدر مستوى الفن فيها بالسرعة التى يرتفع بها فى عصور السلام والرخاء . ولذلك فان الميل إلى اغتصاب التماثيل على نطاق واسع ، إنما يحدث بداهة فى عصور يفتقر فيها إلى الوسائل ، ولقد كان مهرة الفنانين أقل من أن ينتجوا المستوى الرفيع من أعمال لعصرهم .

---

(1) انظر كتابى : Excavations at Giza, vol. I, p. I. ff

طرز «أبو الهول» المختلفة

كما ظهرت فى العصور المتعاقبة

فى نهاية الدولة القديمة (٢٤٧٥ ق . م) وقعت ثورة اجتماعية على أثر تداعى السلطة الملكية ، وسادت منذ ذلك التاريخ حتى عام ٢١٦٠ ق . م فترة من الفوضى تعرف عند المؤرخين بعصر الفترة الأولى ، وطبعى أن الذى بقى من آثار هذا العهد قليل ، كما أن هناك شكا فيما أتيح لأى من ملوك هذه الفترة من الوسائل أو مدة الحكم اللازمة لإنتاج أثر تذكارى ولو كان متواضعاً ، ولذلك فلم يحدث حتى قيام الدولة الوسطى أن حصلنا على شاهد جديد فى مسألة أشكال « أبو الهول » .

كانت الدولة الوسطى (٢١٦٠ — ١٧٨٨ ق. م.) عصراً عظيما من عصور التاريخ المصرى إذ سرعان ماتولت البلاد سلالة ملوك أقوياء ، وحكومة راسخة قادتها إلى عهد من الرخاء ، ازدهر فيه الفن فى جميع فروعه ، فلم يكن مدهشاً لذلك أن تمدنا الدولة الوسطى بطائفة من طرز جديدة « لأبو الهول » . وقد حفظت لحسن الحظ أمثلة كثيرة من كل طراز منها ، وكان أروع هذه الطرز الجديدة ما يعرف بتماثيل « أبو الهول الهكسوسية » وذلك لأن بعضها يحمل اسم ملك الهكسوس(١) « أيوبى » ، أو تماثيل أبو الهول التانسية نسبة إلى المكان الذى وجدت فيه .

وقد كانت هذه من أكثر آثار الحضارة المصرية حظوة بالبحث والجدل حيث وُضعت النظريات الكثيرة التى توضح تاريخها وأصلها . ومن خصائص هذه التماثيل

---

(١) الهكسوس أو الملوك الرعاة كما يدعون أحيانا شعب من الهمج الاسيوية الذين اكتسحوا الدلتا ، وسرعان ما نصبوا انفسهم سادة على مصر فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة (أى بعد ١٧٨٨ ق.م) . ولم يخرج المصريون بفائدة من غزوهم سوى معرفة الخيل والعربات واستعمال البرونز الذى كانوا يجهلونه من قبل . وقد طرد الهكسوس آخر الأمر من مصر بفضل جهود امراء طيبة وتصميمهم نحو عام ١٥٨٠ ق . م .

أن الوجه وحده هو الإنسانى فيه ، أما الرأس بل وكذلك الأذنان فهى لأسد ، على حين استبدل بلباس الرأس المعتاد (نمس) معرفة الأسد (شكل ١٦) .

وكان « جولينشف » منذ أمد بعيد حول عام ١٨٩٢ ميلادية قد أرخ تماثيل «أبو الهول» هذه بعهد الأسرة الثانية عشرة ، وافترض أنها من عهد «امنحات الثالث» ولكن «كابار» من ناحية أخرى قد مال إلى تاريخها بالعهد العتيق[1] .

على أنه يبدو كأن رأى « جولينشيف » فيما نسبه من تماثيل بأسود «أبو الهول» هذه إلى امنحات الثالث إنما هو الرأى الصحيح ، فان قسمات هـذه التماثيل تشبه بصورة بارزة ما عرف من صور هذا الملك ، وقد لحظ هنا أن ذلك المظهر من قسمات الوجه الصارم الشديد إنما كان من خصائص هذا العهد ، فلقد كان فراعنة الأسرة الثانية عشرة حقاً ملوكا أولى بأس راسخين ولكن بأسهم لم يتطامن لهم بغير الجهد المجهد ، فنى داخل البلاد كان حكام المقاطعات المتغطرسون مصدر تهديد دائم للسلطة الملكية ، على حين كان على مصر فى آسيا والنوبة أن تمارس كل قوتها فى سـبيل إحراز الأملاك لها هناك والاحتفاظ بها ، ولقد تمكن ملوك هذا العهد من القضاء على هذه الصعاب جميعا وإن كان ذلك بثمنه ، فلم يعد الفرعون رباً هدئاً يرتفع على صغائر شئون الإنسانية ، بل لقد أصبح المناحتة والسناسرة من ملوك الأسرة الثانية عشرة بشراً من الناس ، بذلوا من الجهد والضنى فى سبيل كسب الاستقرار والرخاء لبـلادهم . ولـكن الـكفاح الذى خاضوه قد ترك علامات لا تمحى على وجوههم ، نقلها مثالو القصر فى مهارة لا مثيل لها إلى صورهم ، فلربما بدأ إمنحات الثالث فى صورة أسد عبوس ، ولربما نفعت تماثيل «أبو الهول» هذه فذكرت حكام الأقاليم بأن إمنحات كالأسد يستطيع أن يبرز مخالبه إذا اقتضت الحاجة .

ولم يكن وجود اسم ملك الهكسوس « أبوبى » على طائفة من تماثيل أبو الهول هذه إلا أحد أفعال الغصب الكثير التى تعرضت لها حيث تسهل رؤية الحفر الجديد فى الحجر بوضوح .

وثمة طراز آخر من تماثيل «أبو الهول» تشبه الطراز الآنف مع خلوه من صارم القسمات التى تميز تماثيل « أبو الهول الهكسوسية » ومن هـذا الطراز نموذج من

---

(١) راجع : Capart, «Les monunents des Hyksos», p. 26 ff.

الحجر الجيرى جاء من « الكاب » فى صعيد مصر وهو الآن فى متحف القاهرة ، وكان هـذا التمثال على عهد الأسرة الثامنة عشرة قد اغتصبته الملكة العظيمة « حتشبسوت [1] » ، وكانت قد صدرت عن نزعتها المعتادة فى الظهور بمظهر القوة والسلطان قد وجدت من غير شك فى « أبو الهول » هـذا من خصائص بأس الأسود ما يشبع رغباتها . أما الطراز الآخر وهو جسم أسد ويرتدى على الكتفين وشاحاً ثم ميدعة ، فمن شكل تطور فى هـذا العهد . كما أن له رأس إنسان ولحية مستقيمة ، وقد أصبح هذا الطراز الذى يصور شكل ١٧ مثالا ممتازاً منه . وهذا النوع بالذات من الجرانيت ، وكان قد اغتصبه — فيما بعد — رمسيس الثانى . وقد ظهر هـذا الطراز فى أماكن مختلفة ولكن أكثر المعروف من أمثلته قد تعرض للاغتصاب .

وثمة طراز جديد آخر هو « أبو الهول » ذو الرأس الإنسانى والذراعين الإنسانتين (شكل ١٨) ، ولعل هـذا الطابع الجديد يكون قد أدخل لدواع فنية ، فلا نرى إلا تماثيل « أبو الهول » من التى تبدو كأنها تؤدى عملا باليدين كأن تحمل إناء ، أو تقدم رمز الحق ، أو تتلقى أشعة الشمس كما سنرى بعد فى مثال آخر . وتمتاز اليد البشرية فى كل هذه الأوضاع برشاقة مظهرها على مخلب الأسد المستدير المكتنز .

وقد ظهر طراز آخر يشبه ذلك الذى يمثل « ساحورع » على صدرية ذهبية ، ولكن جسم الأسد هنا غير مزخرف ولا مجنح فقد بدا مقعيا على كفله حيث نعرف من موضعه قبالة حيوان « ست » أنه « أبو الهول » مقدس يمثل « حور » .

ويبين شكل ١٩ تمثالا صغيراً من عاج من أبيدوس « لأبو الهول » يرجع تاريخه إلى نهاية الدولة الوسطى ، ويرى الدكتور « هول » بالمتحف البريطانى أنه يمثل

---

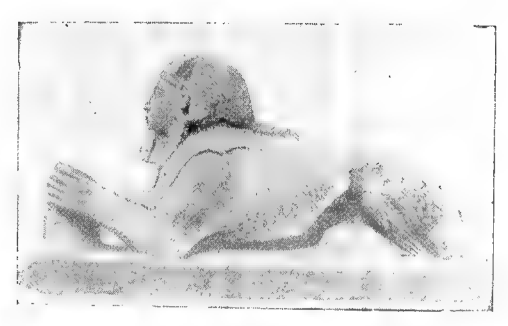
(١) كانت الملكة حتشبسوت (١٥٠١ ق . م) بنت الملك تحتمس الأول وقد اختارها والدها وارثة لعرشه ولقد تمكنت من الحكم على الرغم من معارضة أخيها لأبيها وابن أخيها وأحزابهما بمقتضى حقوقها ، وصممت على أن تبدو على الآثار فى ملابس الرجال حتى اتخذت اللحية المستعارة واستعملت ضمير المذكر فى نقوشها، وقد ألفت حولها حزبا من رجال قادرين ، كان مهندس العمارة « سنموت » أحبهم اليها . ولا نزاع فى أن حكمها القادر كان مجلبة للخير لمصر . وقد حاول بعد موتها ابن أخيها وزوج ابنتها تدمير ذكراها بتخريب كل آثارها أو اغتصابها .



(شكل ١٦) صنم أبو الهول من تانيس



(شكل ١٧) صنم أبو الهول من الدولة الوسطى



(شكل ١٨) صنم أبو الهول بيدى بشر



(شكل ١٩) صنم أبو الهول من عهد الهكسوس

أحد ملوك الهكسوس لعله « خيان » وهو يعذب بغير شفقة مصريا يقاوم في قبضته .

نرى من هذه الأمثلة أن « أبو الهول » كان يتطور فى أشكال جديدة وأساليب جديدة ، كما أن هناك ميلا فيما يبدو إلى الطبيعة الملكية عن الطبيعة الإلهية ، فلقد كان كل ما تقدم من أمثلة ـ باستثناء « حورس » أبو الهول على الصدرية الذهبية ـ تماثيل للملوك فى هيئة « أبو الهول » .

تماثيل «أبو الهول» فى الدولة الحديثة

منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ق . م) أخذ تمثال «أبو الهول» يتطور فى أشكال جديدة ، كما أظهرت الطرز الموجودة منه ميلا إلى التغيير ، فاذا جسوم «أبو الهول» الأولى ذات البنية المتينة والعضلات تميل إلى النحافة وتبدو كالقط فى شكله . وإذا «أبو الهول» ذو الأيدى الإنسانية يبدو وقد تحولت رجلاه الأماميتان بأسرها إلى ذراعين بشريتين ، على حين عاد إلى الظهور برأس القبرانى [1] صديقنا القديم على لوح الإردواز ذلك الكلب الخرافى المصور من عصر ما قبل الأسرات . وقد ظهر هذان الطرازان على رأس بلطة للملك «أحمس الأول» رأس ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ق.م) .

ثم كان منتصف الأسرة الثامنة عشرة مؤذنا بنهضة عظمى فى عبادة «أبو الهول» لأسباب درست فى غير هذا المكان حيث تبوأ «أبو الهول» العظيم فى الجيزة بطبيعة الحال قدراً عظيما من الاهتمام . فصور على لوحات هذا العصر فى هيئته القديمة، أسداً له رأس إنسان ، وإن كان قد تلقى إضافات جديدة كثيرة فى بزته حيث نراه الآن فضلا عن علامات الدولة القديمة من النمس والصل الملكى قد تزين بتاج «أتف» الطويل الخاص بالآلهة والملوك وذلك مع قلادة عريضة وريش صقر وجناحين مضمومين ، ولقد كان هناك دائما علاقة وثيقة بين الصقر و «أبو الهول» ترجع إلى تسويته بالإلهين «حور» و «حور أختى» وكان الصقر هو الطائر المقدس الذى يرمز لهما به .

وغير بعيد أن تكون هذه التفاصيل الإضافية قد أضيفت فعلا إلى تمثال «أبو الهول العظيم» ، لما كان أسهله من أمر أن تصبغ الزخارف على جسم التمثال ، ولربما كان الثقب الذى يقع فى سمت رأسه جيباً لتثبيت تاج من خشب أو حجر

---

(١) القبرة أو القنبرة = عصفور له عرف .

أو معدن فيه - ويؤيد تلك النظرية ما جاء على « لوح الإحصاء » من حديث يقول إن « أبو الهول » كان مغطى كله بالأصباغ .

وكانت حملات تحتمس الثالث على « آسيا » (١٥٠١ — ١٤٤٧ ق . م .) حافزاً قوياً لتيار تمثيل الفرعون فى هيئة « أبو الهول » المظفر الذى يطأ أعداءه . ويبين شكل ٢٩ مثالا لذلك مما صور على طرف خوذة خشبية لتوت عنخ آمون [1] حيث مثلث قرون الكبش بارزة على كل من رأس « أبو الهول » وتاجه . وتلك ظواهر تبين ما كان من تسوية « أبو الهول » بآمون رع الذى كان الكبش حيوانه المقدس . وهناك طراز أكثر تطوراً من شكل أبو الهول هذا ، نراه فى تلك الأسود ذوات رءوس الكباش التى أقامها إمنحتب الثالث (١٤١١ — ١٣٧٥ ق.م.) على جانبى الطريق المؤدية إلى معبد « خنسو » بالكرنك .

ومن المحقق أن هذا الارتباط بين « أبو الهول » و « آمون » إنما يرجع إلى ما كان من علو هذا الإله من مستوى إله قديم خامل الذكر إلى موضع الرأس من الإلهة المصرية ، وذلك حينما ابتلع اختصاصات إله الشمس رع رب هليوبوليس الإله الأعلى حتى ذلك الوقت . فأصبح يعرف باسم « آمون رع » ، وكما اندمج اسمه فى اسم الإله القديم « رع » ، كذلك وقع لحيوانه المقدس (الكبش) الذى اندمج فى الأسد الشمسى ، ولذلك نتج الأسد ذو رأس الكبش ، أو الأسود ذوات القرون الكباش .

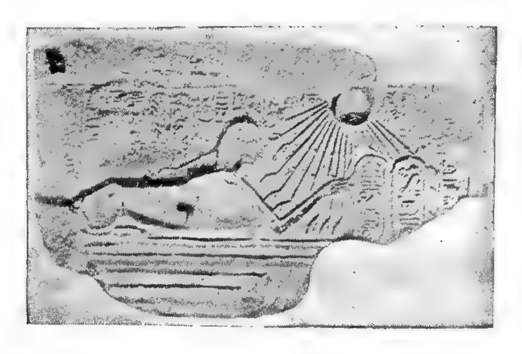
ومن عصر العمارنة لدينا طراز آخر « لأبو الهول » يرى فى مناظر « أخناتون » وهى تبين جسم الأسد المستطيل يعلوه صورة لرأس الملك ، وفى شكل ٢٠ نرى الذراعين البشريتين مرفوعتين لتلقى أشعة الشمس الخيرة الفياضة عن قرص « آتون » الذى كان رمزاً للإله الواحد رب أخناتون . وتدل المبالغة فى تمثيل قسمات الملك أخناتون على أن هـذا المنظر قد صور فيما يقرب من أواخر حكمه ، وذلك أن الملامح السقيمة لم تظهر بقوة فى صوره الأولى ، ولذلك فان ما وقع من الملك بأن أذن بتصوير نفسه فى شكل « أبو الهول » أيام كان فى أوج تعصبه الدينى ليكشف عن مقدار ما كان « لأبو الهول » من التحام قوى بعبادة الشمس . ويمثل شكل ٢٠

(١) راجع : Carter, «The Tomb of Tutankhamon» vol. I, pl. LIV.

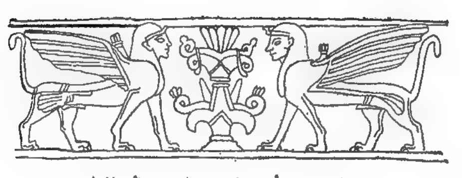
كذلك أخناتون فى هيئة « أبو الهول » وهو يقدم رمز الحق . وتلك ظاهرة يمتاز بها هذا الملك الذى اتخذ الحق شعار كيانه (ولو رسمياً على الأقل) .

وثمة رسم غريب على قدح من الفيوم ، يمثل اثنين من « أبو الهول » يواجه أحدهما الآخر بينهما نخلة تقليدية . ويدل الجناحان المرفوعان على تأثير أجنبى ، وذلك أن الرسم المصرى الصريح « لأبو الهول » إنما يجعل الجناحين مستقرين دائما على الجسم ، ولكن أغرب ما فى التمثالين أن الوجه لأنثى على حين أن الجسد لأسد ذكر (شكل ٢١) .

وسنرى مما سبق من شرح أن الأسرة الثامنة عشرة خليقة أن تسمى بحق بالعصر الذهبي لتماثيل أبو الهول وذلك بحكم عدد طرزها وتنوعها . ومهما يكن من شيء فإن هناك شكا فى أن نقارن من حيث الجمال تلك المخلوقات بزينتها المسرفة وما على رءوسها من تيجان غير مستقرة طويلة نامية ، بما فى « أبو الهول » العظيم وغيره من الأمثلة الأولى من نبل وبساطة أو بما فى طابع الهكسوس من صرامة وبأس جاد .



(شكل ٢٠) أخناتون فى هيئة أبو الهول



(شكل ٢١) أثر من الفيوم يحمل رسمين لأبو الهول

الإناث من أبو الهول المصرى

ترتبط أنثى أبو الهول عادة بمارد الأساطير الإغريقية الخرافى ، ومع ذلك فقد وجدت أنثى أبو الهول فى مصر منذ زمن بعيد وذلك من قبل أن تطرح أختها الهلينية لغزها المشئوم ، ولقد كانت تماثيل « أبو الهول » المصرية عادة من الذكور وكانت الإناث قلة ، ومع ذلك فقد ظهر منها أنواع شيقة من ثلاثة أشكال وهى كما يأتى :

(١) الطـراز المصرى الصريح ويختلف عن ذكر « أبو الهول » فقط فى الرأس الأمرد المؤنث . وحسبنا من غرابة أن يكون هذا النوع من أبو الهول فيما يبدو أقدم مثـل لأسد برأس إنسانى ، وهو الذى عثرت عليه بعثة المعهد الفرنسى فى « أبو رواش » وقد يعد بذلك أقدم من « أبو الهول » العظيم بالجيزة ببضع سنين .

ويشبه أبو الهول هذا تمام الشبه طراز أبو الهول المعتاد من ذكور الدولة القديمة إلا من الوجه الأمرد وما فيه من صفات الأنثى الواضحة ، بل أكثر من ذلك دليلا أنه طلى باللون الأصفر وهو اللون التقليدى لجسم المرأة فى مصر القديمة ، أما أجسام الرجال فكانت تطلى باللون الأحمر القاتم . وقد افترض أن « أبو الهول » هذا ربما كان يمثل إحدى الأمهات من عظام ملكات الأسرة الرابعة . فاذا كان الملك فى هذا العهد يمثل بصورة ذكر أبو الهول فان ظهور الملكة فى هيئة أنثى أبو الهول لأمر جد منطقى .

ويعود هذا الطراز إلى الظهور فى الأسرة الثامنة عشرة فى منقوش باحدى مقابر دير المدينة ، غير أن قوادم الأسد هنا قد استبدلت بهما ذراعان بشريتان تتحليان بأساور حول المعصمين ، وفى اليدين إناء ، يفترض المسيو « برويير » أن أبو الهول

هذا إنما يمثل الملكة « حتشبسوت[1] » غير أن كل ما تعرف حتى الان لهذه الملكة تماثيل ذكور ملتحية .

وثمة تمثال لأبو الهول يمثل ملكة من زوجات تحتمس الثالث فى أحد مناظر مقبرة « رخ — مى — رع » الوزير المشهور لكل من تحتمس الثالث وإمنحتب الثانى[2] حيث صورت طائفة من التماثيل الملكية ، ويلبس هذا التمثال تاج العقاب الذى تلبسه ملكات مصر على شعر مستعار كثيف كانت تلبسه عادة الآلهة «حتحور» ربة الحب والجمال .

وقد كشف عن تمثال من هذا الطراز فى قرية « المنيا والشرفا » ،وهو الآن بمتحف القاهرة ، كما أنه غير منقوش ، غير أن فى وجود كتلة من الجرانيت عليها اسم « تحتمس الثالث » وجدت إلى جانبه قد يوحى كذلك بأنه ينتمى إلى عهده .

وعثر على تمثال يكاد يكون توأما للتمثال السابق فى معبد إزيس بروما ، وهو الآن فى مجموعة « باراكو[3] » ويمثل هذا التمثال الملكة « مريت رع حتشبسوت » بنت الملكة حتشبسوت العظيمة وزوج تحتمس الثالث ، ولا بد أن يكون قد حمل إلى رومه كأثر مصرى من نحو ألفى عام .

ويرى المستر « ديفز » أن أبو الهول هذا إنما كان نموذج التمثال الذى صور فى مقبرة « رخ مى رع » ويفترض أن تحتمس الثالث قد استرسم زوجه فى هذه الهيئة رداً على تماثيل أبو الهول المتغطرسة التى تمثل الملكة حتشبسوت ذكرا ، كأنما أراد أن يعلن أن تصويرها فى صورة أبو الهول لم يكن خالص حقها ، بل لأنها مجرد عقيلة الملك الأسد .

ثم مثل شيق نجده فى منظر الملك « أمنحتب الثالث » وزوجه الملكة « تى »

---

(١) راجع Bruyere, «Fouiller à Deir-el-medineh : vol I p. p. 71-72

(٢) راجع Newberry, «The life of Rekhmara», Pl. XXLI

(٣) راجع The Bulletin of the metropolitan museum of art (1926) p. 13, fig. 9.

(١٤١١ — ١٣٧٥ ق . م) صور فى مقبرة شريف يسمى « خيروف » بطيبة[1]، فعلى جانب العرش الذى تجلس عليه الملكة طائفة تمثل إناثا من أبو الهول واثبة تطأ شخوصاً منبطحة لامرأة أسيوية وزنجية . وذلك نقل لصورة مشهورة للملك المنتصر فى هيئة أبو الهول وهو يطأ أعـداء مصر . ويصور أبو الهول فى هـذا المثل الملكة « تى » . وواقع الأمر أن كل ما ذكر من تماثيل أبو الهول إنما يمثل فيما يبدو ملكات ، وهى الإناث التى تقابل منطقياً ذكور أبو الهول الملكية .

(٢) طراز خاص تبدو فيه مؤثرات سورية أو كنعانية ، سنسميه اصطلاحا « أبو الهول » السورى ، ولهذا الطراز من أبو الهول فضـلا عن لباس الرأس الغريب جسم اللبؤة ، وهناك مثال رائع من هذا الطراز فى (شكل ٢٢) من صندوق فى مجموعة أبوت ، ولدينا صورة مماثلة لأبو الهول على جوهرة من حجر اليمان الكريم كانت لأمنحتب الثالث ، وقد قيل إن أبو الهول هذا بملامحه الأجنبية الملحوظة إنما يمثل زوج « أمنحتب الثالث » المتنية الأصل وتظهر إناث لأبو الهول من هذا الطراز الأجنبى على حافة جلباب مطرز « لتوت عنخ آمون » محفوظ الآن بمتحف القاهرة . وتظهر تماثيل وصور أبو الهول هـذه أيضا على آنيات الذهب والفضة التى كان يؤديها السوريون جزية إلى ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

ولعل صور « أبو الهول » هذه السورية تمثل الآلهة الأسيوية « عشتارت » التى أدخلت عبادتها فى مصر على عهد الأسرة الثامنة عشرة على حين كانت مصر على علاقة وثيقة بجاراتها الأسيوية .

وكانت إحدى مراكز عبادة هـذه الآلهة فى منف ، حيث سميت أحيانا « بنت بتاح » .

---

(١) كانت الملكة « تى » احب نســاء الفرعون « أمنحتب » الثالث اليه ، وكان امنحتب ، على خلاف القواعد المتبعة ، قد اختارزوجته من عامة الشعب ، حيث كان والدها من طبقة متواضعة ، وقد نجحت فى الاحتفاظ بمنزلة لها فوق منافساتها فى حريم الملك حيث كان لها من غير شك تاثير عظيم على زوجها السهل القياد وعلى ابنها « اخناتون » .

أبو الهول

فى العصر الاغريقى الرومانى

نعرف من العهد الإغريقى الرومانى ثلاثة طرز متميزة من « أبو الهول » فى مصر ، فهناك أولا الطراز المصرى الخالص الذى لم يتغير عن شكله الأصلى منذ عهد الدولة القديمة كما نرى فى شكل ٢٣، ثم الطراز الإغريقى الخالص الذى نبحثه بمزيد من الاستقصاء وفى غير هذا المكان ، وهو طراز مؤنث ومجنح فى العادة ، وفى شكل ٢٤ أمثلة رائعة من أبو الهول الإغريقى فى مصر حيث تكون هذه التماثيل طرفى سوار من الذهب ، وأما شكل ٢٥ فهو لتمثال من الفخار بمتحف الاسكندرية . وبين هذين الطرازين يأتى ثالث « خلاسى » فيه خصائص من الفنين المصرى والإغريقى . ويبين شكل ٢٦ ذلك الطراز الخلاسى ، فلباس الرأس مصرى خالص ولكن تشكيل الوجه والمخالب الأمامية المتقاطعة إغريقية . ولك أن تقارن هذه المظاهر الأخيرة بالأسد المنذور الذى وجد إلى جانب لوح « أمنحتب الثانى » العظمى فى حفائرنا (انظر الشكل رقم ٤) .

العصر الرومانى

ومن العهد الرومانى وصلت مجموعة هامة وإن لم تكن بحال فنية من أبو الهول ، توحى بما فيها من شبه بتلك التى على نقود « تراجان » و « هدريان » بأنها معاصرة أو سابقة قليلا على ثانيهما (١١٧ — ١٣٨ بعد الميلاد) .

ويبين شكل ٢٧ واحداً من تماثيل « أبو الهول » هذه المركبة وهى من منظر منقوش بمتحف القاهرة يمثل « أبو الهول » برأس أنثى من البشر على جسم أسد ذكر يكتسى ظهره بريش صقر وينبعث من وسطه جناحان يبدوان متصلين بجسمه بسلسلتين متقاطعتين تمران تحت بطنه، ومن كفله يخرج رأس صقر متوج بقرص الشمس



(شكل ٢٢) أنثى أبو الهول من سوريا



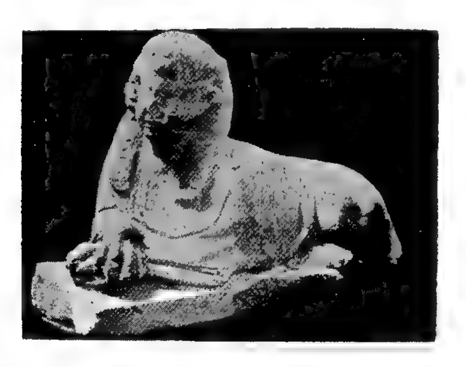
(شكل ٢٣) صنم أبو الهول من العصر اليونانى الرومانى



(شكل ٢٤) تمثيل أبو الهول المجنح على سوار ذهبى



(شكل ٢٥) تمثال أبو الهول من الطين المحروق



(شكل ٢٦) أبو الهول المولد (الهجين)



(شكل٢٧) رسم مركب لأبو الهول

وقرنى كبش ، على حين ينتهى الذيل بصل ، ويبرز من هذا المخلوق حيث يحتل موضع صدر الأنثى بأكمله رأس تمساح ، كما يحيط برأس « أبو الهول » الإنسانى خصلة من شعر جعد فوق قلنسوة النمس يعلوها قرص الشمس وقرنا الآلهة « إزيس » ، ومن تحت أقدام « أبو الهول » ثعبان ناشر كبير يرفع رأسه إلى الأمام على حين تلتف ثعابين أخرى صغيرة حول السيقان من فوق المخالب . وهناك أمثلة أخرى من أنواع مشابهة ترى بمتحف القاهرة . كما أن فى كلية العائلة المقدسة بالقاهرة نوع آخر من « أبو الهول » حيث تحيط رؤوس ثمانية من الحيوانات برأس « أبو الهول » كأنها الإكليل المعقود ، من الأقصر ، أما رؤوس الحيوانات هذه فهى العجل (إبيس) وتمساح (سبك) وصقر (حور) وكبش (آمون) وقرد (حابى بن حور) وابن آوى (أنوبيس) ومالك الحزين = إيبيس (تحوت) وأسد (سخمت وتفنوت وباخت وماحس) .

وماذا عسى إذن أن يمثل ذلك الكابوس من المخلوقات ؟ .

يبدو كأنما يوحى وجه الأنثى وجسم الأسد الذكر ورأس التمساح محل الصدر البشرى بمخلوق ذكر وأنثى فى وقت واحد ناسل ومنتج ومطعم . ترانا نفسر صور « أبو الهول » هذه بأنها تمثل مصر منتجة الحياة ومقيمتها ، مصر التى من صدرها يخرج النيل مانح الحياة الذى رمز له بتمساح يطأ الصحراء المجدبة فى الثعبان تحت أقدامه ؟ أما رؤوس الحيوان فيبدو واضحاً كأنما تمثل أحب الآلهة إلى الناس .

ظهور أبو الهول فى آسيا

كنا حتى الآن قد قصرنا بحثنا فى « أبو الهول » فى مصر ليس غير ، ولكن الأوان قد حل الآن كى نسائل عن مصر إن كانت لأبو الهول الموطن الأصيل أو أنها استعارته من بلد آخر ؟ على أن أغرب المصادفات أن نجد فى أقرب جيران مصر من البلاد صور « أبو الهول » وهى وإن لم تكن فى الواقع توائم للمصرية منها على الأقل فهى قريبة الشبه منها جداً ، وعندى أن مصر على الأرجح كانت الموطن الأصلى « لأبو الهول » وأن الأسيويين والإغريق نقلوه من هنا كل بدوره حيث أدخلوا عليه بعض التعديلات فى شكله أو طبيعته كى ينسجم مع الصورة من عقليتهم وذوقهم الفنى .

ويقع دليل هـذه النظرية فيما يبدو بالنسبة لما ظهر من طرز أبو الهول المنوعة فى كل من مصر وآسيا من أن المثال المصرى أقدمها على كل حال وذلك كما تبين من الأمثلة الآتية :

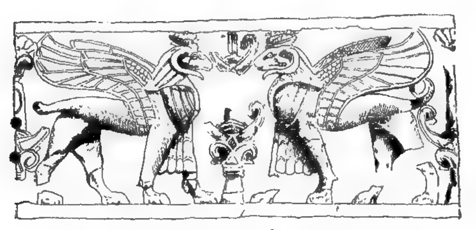
١ — كان أول ظهور المـارد المركب فى آسيا هو « التنين » وهو أسد ذو رأس وجناحين لطائر من سباع الطير ، وقد ظهر مثل هـذا المخلوق مصوراً على ختم أسطوانى من سوسا (عيلام) ، يرجع تاريخها إلى عام ٣٠٠٠ ق . م[1] وربما اتفق هـذا فى التاريخ المصرى مع الأسرة الثانية أو الثالثة ، وهو لذلك أحـدث بكثير من تنين لوح الإردواز من عصر ما قبل الأسرات ، ذلك إلى أن الصنعة فى ختم « سوسا » فجة جداً ولا سبيل إلى مقارنتها بالأمثلة المصرية

٢ — ويكشف « أبو الهول » من عاج من نمرود (بآشور) بالمتحف البريطانى الآن ، عن أصله المصرى (شكل ٢٨) ، إذ يتفق تاريخه مع الأسرة الحادية

(1) Conteneu, Manuel d'Archeologie Orientale p. 392.



(شكل ٢٨) صنم أبو الهول من العاج من نمرود



(شكل ٢٩) رسمان أسيويان لأبو الهول مجنح وبرأس كبش

والعشرين ، وقد رأينا من قبل أن تماثيل مجنحة لأنثى « أبو الهول » قد ظهرت فى مصر على عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وليس هـذا المثل الأخير بالفريد فى ذاته وإنما هو علم على كثير غيره من نفس الطراز والمستوى .

٣ — ويبين شكل ٢٩ مجموعة من اثنين من « أبو الهـول » يواجه أحدهما الآخر أمام شجرة تقليدية ، وهما يشبهان هنا تمثالى « أبو الهول » على قدح « الفيوم » (انظر شكل ٢١) ولكنهما هنا مزودان برأس كبش آمون . ويرجع تاريخ هذه المجموعة إلى ما يعادل الأسرة الثالثة والعشرين المصرية ، وهنا نجد أيضا أن المثل المصرى أقدم .

٤ — وهناك أحيانا فى آسيا كما فى مصر ردة إلى شكل الأسد الصريح ، فلدينا من بابل مجموعة جميلة من البازلت الأسود تمثل أسداً منتصراً يطأ عدوه الصريع ، وهو معاصر للعصر الصاوى فى مصر (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م) .

وهكذا يتبين فى جميع الأحوال من وجود طرز متشابهة أن المثل المصرى كان أقدمها وأن مصر كانت حتما هى المهد الذى ولد فيه « أبو الهول » وكان « أبو الهول » الأسيوى من حيث الطبيعة مشابها للطراز المصرى ويتولى نفس دوره ، حيث يقوم حارساً للأبواب وفى مواضع أخرى مشابهة وكانت تماثيل « أبو الهول » قد تولت حراسة مداخل المعـابد منذ عهد الدولة القديمة .

« أبو الهول » فى ميسينا واليونان

يبدو كأن « أبو الهول » بعد أن استقر فى آسيا قد مضى عن طريق آسيا الصغرى وميسينا إلى بلاد اليونان حيث تطور إلى طراز خاص دون أن يفقد خواصه التى تنم عن أصله المصرى .

ولقد كان « أبو الهول » الإغريقى دائما أنثى ، وقد يبدو عجيبا أن يلتقط الإغريق ذلك الطراز الذى كان دائما قلة ولا يمثل بحال « أبو الهول » عامة ، ولكن علينا أن نقبل ذلك لما شغف به الإغريق الأقدمون من حب عنيف للجمال الجسدى . ولقد انجذبت فكرة « أبو الهول » إلى طبائعهم العاطفية المحلقة فى الخيال ، كما راق الجمع بين جمال المرأة وفتوة الأسد ذوقهم الفنى .

أما من ناحية التصوير ، فليس يبدو سوى شبه قليل بين « أبو الهول » فى مصر وبينه فى اليونان ، بل إن إناث «أبو الهول» المصرية على عهد الأسرة الثامنة عشرة لا تشبه فى مظهرها الطراز الهيلينى ، كما أن النظرة العابرة لا تلمح تشابها من حيث الطبيعة ، ومهما يكن من شىء فلسوف يتبين بالفحص الدقيق أن التغيرات الملحوظة فى « أبو الهول » الإغريقى لم تؤثر فى طبيعته الفطرية ، كما أن علاقته الشمسية قد بقيت بدون تغيير كما سنرى فيما بعد .

وأبرز أمثلة « أبو الهول » الإغريقى وأكثرها تصويراً هو المارد الذى يلعب ذلك الدور المشهور فى أسطورة « أوديب » ولذلك فأحرى بنا أن نجمل القصة هنا على أن هناك روايات كثيرة لهذه المأساة ولكن أكثرها شيوعا إنما يجرى كما يلى:

كان « ليوس » أول ملوك طيبة (اليونان) و « يوكاست » زوجته بغير عقب من البنين ، فلما سألا الوحى فى ذلك حدثهما أنهما إذا ولد لهما ولد عاش حتى يكون قاتل أبيه ، وقد كان لما ولدت « يوكاست » الولد إذا بأبويه يخرقان قدميه ويلقيان به فى جبل « كيثرون » فريسة للسباع .

على أن راعى الملك « بوليبس » ملك كورنثة عثر على الطفل فأخذت زوجته « مروب » الشفقة وتبنت الطفل ، ونعا الملك والملكة الطفل واتخذوه ولدا وسمياه « أوديبوس » لتورم قدميه حين وجد .

ثم مضت أيام حياته حتى عيره أحد أهالى كورنثه بأنه ليس ابن الملك حقيقة وكان أن لجأ إلى الوحى يتبين حقيقة الأمر ، فما كان جواب الوحى إلا أنه قد قدر عليه أن يذبح أباه ويفسق بأمه .

ولما كان « أوديبوس » يؤمن بأن ملك كورنثة وملكتها أبواه حقا فقد صمم على ألا يعود إلى داره حتى لا تتحقق النبوءة .

وفى الطريق فى أثناء سفره بين « دلفى » و « دوليس » اتفق أن التقى « أوديبوس » و « لايوس » حيث يجهل كل من الرجلين بطبيعة الحال صاحبه . فأراد سائق عربة ملك « طيبة » أن يدفع « أودويبوس » بعنف عن طريقه وإذا بأودويبوس فى الصراع الذى أعقب ذلك يقتل « ليوس » محققا بذلك أول أجزاء النبوءة .

وكانت « أبو الهول » فى هذا الأوان قد ظهرت على صخرة عالية خارج « طيبة » ، حيث أقبلت من أثيوبيا (كما يقول « أبوللودورس ») ، وقد كانت تعلمت من ملهمات الشعر لغزا وطفقت تعترض كل عابر سبيل فتطرح عليه ذلك اللغز ثم تقتلهم لعجزهم عن الجواب . ولم يوفق أحد للحل حيث كان المارد يقضى كل يوم على مزيد من الضحايا لا يرحم منزلة ولا جمالا .

وظل أهل طيبة يجتمعون كل يوم فى سوقهم ويتشاورون فى تلك المعضلة . فقرروا بملك طيبة ويد الملكة « يوكاست » زوجة لمن يخلصهم من المارد ، ولكن أحدا لم يعش ليطالب بالمكافأة المغرية .

فلما اتفق مرور « أوديبوس » من هذا الطريق أخذت « أبو الهول » بتلابيبه فطرحت عليه اللغز قائلة : « ما هذا الذى يسير على أربع أرجل فى الصباح وعلى رجلين فى الظهيرة وعلى ثلاث أرجل عند الغروب ، ويبلغ أقصى الضعف عند ما تبلغ أقصاها » .

فأجاب « أوديبوس » بعد قليل تدبر قائلا : « الإنسان ...... فى صبح حياته يحبو على أربع ، وفى ظهرها يمشى قائما على رجليه ، وفى غروب

حياته شيخا يتخذ عصا وهى رجل ثالثة ، وهو الأضعف فى طفولته وفى شيخوخته .

وكان هذا هو الجواب السديد ، فاذا « أبو الهول » فى سورة غضب يقفز من فوق الصخرة فيتمزق إربا .

ورجع « أوديبوس » إلى المدينة حيث رحب به الناس ملكا ثم سرعان ما تزوج من « يوكاست » وكل منهما يجهل ما بينهما من قرابة فكان أن تم بذلك الجزء الثانى من النبوة .

وبعد سنين ظهر الحق عما بينهما من القرابة عن طريق الوحى فعمدت «يوكاست» خجلا وتأنيبا فقتلت نفسها على حين سمل « أوديبوس » عينيه .

فى هذه الأسطورة طائفة من عناصر واضح أنها مصرية الأصل .

أولها : ما هنالك من نظائر شمسية قوية تفضح فى ذات اللغز المشهور الذى قيل إن « أبو الهول » تعلمه من ملهمات الشعر (موزيس) اللآتى كن فى ركاب إله الشمس ، وفيه تستطيع التعرف على إشارة الفكرة المصرية التى مثلت شمس الصباح طفلا ينبعث من زهرة لوتس متفتحة ، أما الرجل فى عنفوانه فهو «رع» أى الشمس فى قوتها عند الظهيرة ، على حين أن الرجل المشيخ بعصاه إنما يمثل « أتوم » إله الشمس عند غروبها وهى تترنح ضعيفة نحو الغرب .

وقد يبدو كأن الإغريق أنفسهم قد عرفوا العناصر الشمسية التى كان اللغز يشملها . وهى فى رواية « أراخلويا » إنما تختصر مراحل حياة الإنسان إلى مراحل النهار الثلاث . ثم هناك الرواية التى تصف « أبو الهول » بأنه أقبل من « أثيوبيا » تلك التى تدل صراحة على أن الإغريق قد نسبوها إلى أصل إفريقى دون أن يقيموا أى ادعاء بأنهم أصحابها . ثم عامل آخر يؤيد ما قيل من أصل مصرى لأبو الهول الإغريقى هو طبيعته ، ويبدو لأول وهلة كأن فى ذلك شيئا من التضارب وذلك لأن المارد الإغريقى شيطان خبيث على حين أن « أبو الهول » المصرى حارس ، غير أن « أبوالهول » المصرى لا يكون لين العريكة إلا مع قومه المختارين وما أكثرمناظره وهو يطأ الأجانب من أعداء مصر ، كما أن واقع ظهوره حارساً للمعابد والمقابر إنما يشير إلى سليقة مفترسة . فكان لذلك طبيعياً من الأجانب لجهلهم بالمعنى الحقيقى

لهذا الرمز ، فلم يروا إلا بؤس الضحايا المصورين تحت مخالب « أبو الهول » أن يتصوروه وحشا ضاريا ينزل بأرضهم ويفرض جزية يومية من الضحايا الأحياء .

وفضلا عن ذلك ، فربما بدا من الفنانين والمثالين الإغريق — حتى المعروفين منهم مثل «فدياس»— تأثر عميق بأشكال الفن المصرى حين تمثيلهم «أبو الهول» .

ويبدو كأن « فدياس » وهو يختار الوحدة الزخرفية على عرش « زيوس » قد تأثر عن وعى بما كان عادة على جانبي عروش الفراعين من زخارف كعرش « أمنحتب الثالث » مثلا . (شكل ٣٠ ا) ، وذلك دون ذكر للمجموعات الكثيرة الأخرى التى تمثل « أبوالهول » المنتصر وهو يدوس الأعداء ويمزقهم .

وقد حفظت قطع من مجموعات « فدياس » بمتحف فيينا تظهر للعيان فيها ملامح الأسلوب المصرى وتشابه المكان الذى تزينه (شكل ٣٠ ب) .

ويحتفظ « أبو الهول » الإغريقى بخصائصه الحزينة فى كل فرصة تقريبا ، ويبدو كأن ذلك إنما يربطه بالموت خاصة ، ومن ثم نراه مصوراً زخرفا على التوابيت .

ويرى كل من « فيكر » و « فور تفانجارن » أن « أبوالهول » شيطان للموت السار ، وقد يربطه ذلك بمخلوقات مثل الجنيات (Sirens) والنساء المجنحات .

ويرى « جب » أن « أبو الهول » كان رمزاً لقوة شيطانية جسما وعقلا . ويقول إن ما يمثل فى الفن الإغريقى من صور « أبو الهول » على الآثار الجنزية إنما هى فى الغالب علامة على القوة التى لا تقهر ولا يمكن دفعها وتودى بالناس . ومع ذلك فيبدو على الأرجح أن صور « أبو الهول » الجنزية هـذه إنما كانت صدى حزينا للتقاليد المصرية التى تتخذ من « أبو الهول » حارسا يقظا للقبر .

ولكن هناك انشعابا كبيراً من التقاليد المصرية ، ذلك أن « أبو الهول » الإغريقى قد لقى الهزيمة والمهانة على يد « أوديبوس » على حين أن « أبو الهول » المصرى لم يستأنس ولم يهزم قط . . . . . فهل يرجع هذا إلى رغبة الأجانب الباطنة فى إذلال كبرياء « أبو الهول » الفاتح أو إلى أن المارد الأنثى وهى تشترك مع المرأة فى صفاتها الجوهرية ينبغى بحكم قانون الطبيعة أن تخضع للرجل ؟

« أبو الهول » فى القرن الإغريقى

فى سبيل البحث عن أصل مظهر أبو الهول الإغريقى ينبغى علينا النظر فى مسيسنى وجزر بحر إيجه .

كان ظهور صورة المارد المركب مبكراً جداً فى الفن المسيسنى ، إذ ظهر الأسد ذو رأس النسر فى رسوم جصية فى العصر الأول « لميتوس » حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م أى معاصراً الأسرة الثانية عشرة .

وحول عصر الأسرة الثامنة عشرة دخلت مصر فى علاقة وثيقة بقبرص حيث جرى بينهما تعامل تجارى كبير لم يقصر فى إحداث أثره على فن البلدين ، وإن ظلت مصر على مظهرها بأنها أعطت أكثر مما أخذت . وهناك مثال ممتاز عن التأثير المصرى على الفن القبرصى يمكن رؤيته فى الصناعة المعدنية من هذا العهد حيث اتخذت وحدات مصرية معروفة دون ما بيان فى الغالب لأثر من آثار الضعة الأجنبية .

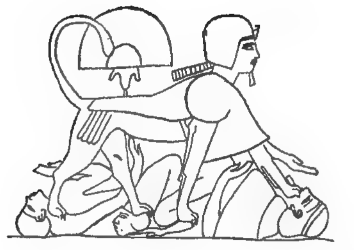
غير أن العناصر المصرية طفقت تتضاءل مع الأيام كأن الفنانين قد أخذوا يستلهمون « أبو الهول » الأسيوى . ذلك أن تماثيل أبو الهول المجنحة على تابوت « أماتونت » . لا تشترك مع تلك المصرية إلا فى شىء قليل فيما خلا الفكرة الخفية الكامنة التى تربطهما بحماية المتوفى [1] .

ويرى مثال جميل يرجع تاريخه إلى حوالى سنة ٥٦٠ ق . م وهو بذلك يعاصر الأسرة السادسة والعشرين المصرية فى شكل ٣٠ ب وهو أبو الهول إغريقى صريح ولكن العنصر المصرى مايزال باقياً فى علاج الجناحين وغطاء الصدر .

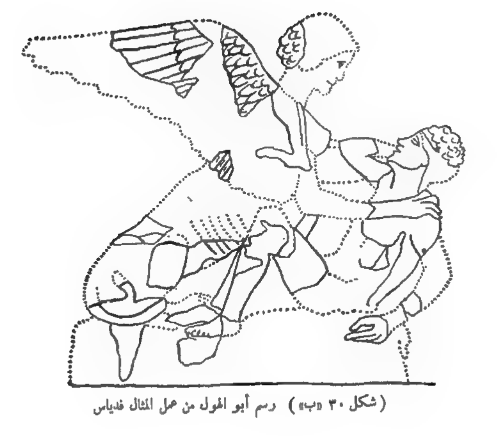
ومن أرشق تماثيل « أبو الهول » الأجنبية وأمتعها ما نشاهده فى مجموعة تزين نهاية تابوت من « صيدا » معاصر للأسرة التاسعة والعشرين المصرية حوالى

---

(1) راجع : Picard, «La Sulpture Antique, voi. I, p. 217.



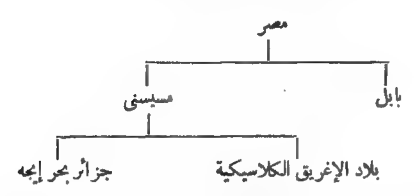
(شكل ٣٠ «أ») رسم أبو الهول من رسوم عرش الملك أمنحتب الثالث



(شكل ٣٠ «ب») رسم أبو الهول من عمل المثال فدياس

عام ٥٠٠ ق.م حيث لا وجود للتأثير المصرى كافة إلا فيما عسى أن تكون من فكرة كامنة بأنه حارس للموتى . وكان هذا الطراز الأخير أكثر شيوعا عند الإغريق فى العصر الكلاسيكى حيث نجده فى مواضع كثيرة مختلفة .

ومن الصحف السابقة نستطيع أن نلحظ أن « أبو الهول » الإغريقى على الرغم مما فيه من اختلاف واضح فى الجسم والعقل ومع ذلك فهو مشتق من « أبو الهول » مصر حيث ينبغى وضع سلسلة نسبه كما يأتى :



ومن الغريب أن نلحظ مع نمو الثقافة الإغريقية فى مصر فى عهد البطالمة ، أن « أبو الهول » الإغريقى قد دخل ثانية إلى موطنه الأصلى فى ثوب جديد محوطاً بمحصول جديد من الأساطير .

المغزى الدينى لأبو الهول

أسماء « أبو الهول » منذ أيام الدولة القديمة حتى فتح العرب لمصر

يبدو منذ الوهلة الأولى أن من أعجب الحقائق عن«أبو الهول» الجيزة أن كافة مقابر الجبانات التى تحيط به ، لم يرد فيها نقش واحد يذكره من قريب أو بعيد تحت أى مما نعرف له من أسماء ، وذلك على الرغم مما لدينا من أدلة مادية على ما كان يوجد أيام الأسرة الرابعة من تماثيل صغرى لأبو الهول ، ومع ذلك فما كان لنا أن نتوقع لاسمه من ذكر فى مقابر الأفراد . إذ كان من أرباب عبادة الشمس ، التى كانت يومئذ وقفاً على الملكية ، ومع ذلك فليس فى الأهرامات ولا الآثار الجنازية حيث نتوقع ذكره نقش باق . حقاً لقد ذهبت الظنون كثيراً فى هذه الآثار قد كانت خلواً كلها من النقش والتصاوير ، ولكنى عندما كنت أنظف القليل مما بقى من المعبد الجنزى لمعبد الهرم الأكبر عام ١٩٣٩ ، إذ بكسرات قليلة من مناظر رشيقة قليلة البروز فى الحجر الجيرى الأبيض تدل على أن هذا المعبد على الأقل قد كان مزيناً بنفس النمط الذى زينت به معابد الأسرة الخامسة الجنزية المشهورة بأبو صير ، ويصدق ذلك أيضا على مصلى الملكة « خنتكاوس » الجنزى من آخر الأسرة الرابعة .

ولعل مانزل من دمار شمل — ما عدا نواة البناء — معابد أهرام الجيزة الجنزية كلها ، ومعبد الهرم الثانى بخاصة أن يكون قد حرمنا ذلك ذات الدليل الذى ننشده عن أبو الهول ، وفضلا عن ذلك فان ما ذكر من الآلهة فى مقابر الأفراد فى الدولة القديمة إنما كان قاصراً قطعاً على أصحاب الصفة الجنزية منهم مثل « أنوبيس » و « سكر » و « أوزير » . بل إن آخر الثلاثة نفسه لم يذكر إلا نادراً مثل نهاية الأسرة الخامسة :

ولم يحدث حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة أن ظهرت براهين قاطعة على أن « أبو الهول » قد كان معدوداً من آلهة الموتى ، ومع ذلك فلم يكن ذلك إلا عن طريق ارتباطه بغيره من الأرباب من أصحاب الصبغة الجنزية ، ومن المحقق أن اسم « أبو الهول » لم يظهر فى صيغ القربان من قبل هذا العهد .

ولقد اكتست الغرف الغائرة من إهرام « أوناس » (من الأسرة الخامسة حول عام ٢٦٢٥ ق . م) و « تيتى الأول » و « مرنرع » و « ببى الثانى » (من الأسرة السادسة حول عام ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م) والملكات من زوجات آخرهم بنقوش دينية سحرية يرجع بعضها إلى أقدم القدم ، وتعرف اليوم بمتون الأهرام . وهى تؤلف ما بعد حتى الآن أقدم ما خلف لنا مكتوبا من الأسفار الدينية من غابر العصور وهى لذلك ذات قدر هائل فى دراسة اللاهوت .

فى نصوص الأهرام هـذه ، نجد أول ذكر لأبو الهول حيث يظهر باسم « روتى[1] » مرتبطاً بالإله « أتوم » فقد جاء فى سطر ٢٠٨٢ عن الملك : أنه أخذ إلى « روتى » وقدم إلى « أتوم » .

وظل ارتباط « أبو الهول » بأتوم حتى الدولة الحديثة ، فقد جاء فى كتاب الموتى . وهو مصنف سحرى دينى من هذا العصر : (الفصل الثالث السطر الأول) « أيأتوم يامن يظهر سيداً للبحيرة ، ويامن يضىء مثل « روتى » الذى يسمع أوامرك بلسان الماثلين بين يديك » .

وهنـاك أيضا ذلك السطر من لوح تحتمس الرابع الجرانيتى حيث أنطق أبو الهول قائلا :

« إنى والدك « حورم أخت » — خبرى — رع أتوم » (الشمس فى جميع صورها) .

---

(١) كان « روتى » الها فى صورة اسد ، وكان اسمه يكتب احيـانا برسمى اسد ، ويسمى اله الأسد المزدوج ، ولعل الشكل المزدوج للاسم ان يرجع فى اصله الى ان تماثيل «ابو الهول» كانت دائما مثنى عند حراستها لباب المعبد ، وكانت وظيفة « روتى » الحراسة كذلك .

وفى الدولة الوسطى كان « سشب عنخ » (اى التمثال الحى) على ما يظهر اسما عاما لتماثيل « أبو الهول » ، يدل على ذلك تخصص الكلمة الذى كان عادة رسما لأبو الهول .

وفضلا عن ذلك فقد ورد فى قصة « سنوهيت » وهى قصة حياة بطل من أوائل الأسرة الثانية عشرة — كلمة سشب عنخ « للدلالة على تمثالين لأبو الهول يحرسان باب قصر « سنوسرت الأول » إذ يقول البطل سنوهيت : « لقد مسست بجبهتى الأرض بين تمثالى « أبو الهول » (سشب عنخ) حيث كان الأبناء الملكيون واقفين عند الباب انتظاراً لمقدمى .

وأكبر الظن أن هـذه الكلمة « سشب عنخ » قد حرفت على لسان الإغريق فأصبحت « سفنكس » التى يفترض أن معناها « الخانق » إشارة إلى « أبو الهول » المتوحش فى أسطورة « أوديبوس » .

غير أنه يبدو أن اسمى « روتى » و « سشب غنخ » (كانا يطلقان على طرز « أبو الهول » عامة ولم يكونا بالضرورة علما على نوع بعينه فماذا عسى إذن أن يكون اسم أبو الهول العظيم فى الجيزة ، ويدهشنا أن نعرف أننا حتى الأسرة الثامنة عشرة لم نعثر على أية إشارة مكتوبة إلى «أبو الهول »العظيم باسم خاص جعل له دون سواه . وإذا بقطعة صغيرة لحسن الحظ من محراب حجرى منقوش بقيت من حطام الماضى تقدم اسم أبو الهول العظيم هو « حورم أخت » و « حرماخيس » عند الإغريق وهذه القطعة مؤرخة بالسنة الأولى من عهد تحتمس الأول — ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة — وهى أول إشارة مباشرة لدينا إلى اسم أبو الهول العظيم . غير أنه ينبغى أن نذكر أن « أبو الهول » هذا عند تحرير هذا النقش كان قد أصبح فى نظر المصريين من الآثار القديمة ، والأرجح أن يكون كثير من خصائصه قد نسى حتى عند المصريين أنفسهم .

وينبغى أن نسوق شيئاً من أمثلة استعمال هذا الرسم وأن نفحص معناه وأصله . فلفظ حور مأخت إنما يعنى : حور فى الأفق ، إذ تعنى كلمة « أخت » أصلا « الأفق » ولكن هذه الكلمة منذ الأسرة الرابعة قد صارت تستعمل مرادفة لكلمة « قبر » ، وذلك مما يعرف من الاسم القديم للهرم الأكبر « أخت خوفو » ويبدو كأنما يرجع هـذا إلى أن الأفق كان مسكن الإله

السماوى ، وبخاصة « حور » من حيث علاقته بعبادة الشمس ، وتسويته « برع » وكان له أفق : شرقى يبزغ منه فى الصباح ، وغربى يغيب فيه فى المساء . ولذلك فربما عنى اسم « حورم أخت » ببساطة « حور فى الأفق » كما رأينا من قبل وهو أقرب دلالة إلى إله الشمس ، أو كان أعمق كنها بكونه « حور » فى الجبانة وهو الذى بدقة تمثال أبو الهول فى الجيزة لأنه فى جبانة الصحراء الغربية حيث يستقر التمثال وحيث الصحراء الغربية هى الأفق الغربى لإله الشمس. ويستقر «أبو الهول» هنا بنفس الحالة التى عليها الموتى من الملوك ورعاياهم ، ولذلك فان العلاقة الأصيلة بين « أبو الهول » وجبانة الجيزة قائمة فى اسمه المتأخر .

وينبغى كذلك أن نتذكر أن « أبو الهول » يربض فى منخفض بين تلين تماماً كالعلامات الهيروغليفية [علامة هيروغليفية] وتقرأ « أخت » أى « الأفق » حيث يبدو رأس التمثال العظيم كقرص الشمس فى العلامة الهيروغليفية ، وجدير بالذكر أن كثيرا من التمائم فى شكل هذه العلامة الهيروغليفية قد عثر عليها إلى جوار « أبو الهول » ، ويرى شكل آخر من هذا النوع من التمائم (شكل ٣١) وهى تمثل الأسد المزدوج « اكر » بقرص الشمس حيث ظلت فى مجموعها تحتفظ بمعالم « الأفق » .

وقد يشير اسم « حورم أخت » كذلك إلى الملك المتوفى ، كان الملك الحى يسمى « حور » فى قصره على حين كان اسم الملك المتوفى . « حور فى الأفق » وهـذا إنما يتفق تماما مع الواقع من حيث إمكان « أبو الهول » تمثيل الملك كما يمثل إله الشمس[1].

ولا يكاد الشك يتطرق إلى أن « أبو الهول » على عهد الدولة الحديثة قد اعتبر إلها للموتى وحارسا للموتى وتلك صفة يجعلها موضعه عند مدخل الجبانة أمرا مناسبا جدا . وقد ترجع هذه الصفة إلى أن أبو الهول منذ عهد الدولة القديمة قد سوى بأتوم إله الشمس الغاربة كما رأينا فى متون الأهرام ، وربما كانت الفكرة أصلا

---

(١) كان الملك المتوفى من جهة اخرى يوحد بالاله « أوزير » اله الموتى العظيم منذ بداية الأسرة الخامسة حوالى عام ٢٧٥٠ ق . م تقريبا .

أن الملك الإله كان مقيما هناك فى الأفق الغربى مثل « أتوم » ومن ثم أصبح يعتبر حاميا للموتى فى الغرب .

على أن العلاقة بين أبو الهول بحراسته الموتى قد كانت موضع إصرار أعنف من قبل المصريين فى العصور المتأخرة الذين يجلوه بقولهم :

« إنى أحمى مزارك الجنزى » وأرقب حجرتك الجنزية وأدفع الغريب الذى قد يدخل ، وأسقط أعداءك بأسلحتهم ، وأطرد الشرير عن قبرك ، وأهلك أضدادك . . . فلا يعودون أبدا »[1] .

ولا شك هنا على الإطلاق فى وظيفة « أبو الهول » حارسا للقبر . وفى لوح المنكوب الأمير « أمن ـ م ـ أبت » التى عثر عليها فى حفائرنا كان«أبو الهول» تحت اسم (حورم أخت) يحتل مكانة « أنوبيس » الإله الجنازى القديم فى صيغة القربان حيث يوجه إليه الدعاء كالإله الذى يتوقع الموتى منه المدد من قرابين الطعام والشراب فى العالم الآخر .

ثم نصل الآن إلى نقطة غريبة ، فلقد رأينا من قبل اسم «حورم أخت» قد ظهر لأول مرة بقدر علمنا الآن على قطعة من ناووس يرجع تاريخه إلى العام الأول من حكم الفرعون «تحتمس الأول» فى صدر الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن اسم «حورم أخت» بالاشتراك مع أسماء غيره من الآلهة الشائعة ، قد كان يستعمل اسما شخصيا للمريدين وبخاصة فى منف .

وأول مثال لدينا يبدو فيه بهذه الصفة من عهد « أمنحتب الأول » أبى تحتمس الأول (١٥٥٧ ق . م) نجده على لوح بمتحف اللوفر الآن وعليه النقش التالى : « حورم أخت » الأخ والكاتب لقريب الملك « أتف تفرت »[2] .

على أن ما كان من شيوع الاسم بحيث يتخذه شعب بلغ من إفراطه فى الحفاظ على القديم ما بلغ المصريون الأقدمون ، لدليل على أنه إنما كان لا محالة مألوفا لآذانهم ، وقد نفترض أنه عرف منذ الأسرة السابعة عشرة على أقل تقدير ، بل الأرجح أن يكون قبل هذا بأمد بعيد .

---

(١) راجع : Zeitschrift fur Agyptische sprache (1880), p. 50.

(٢) راجع : Perren : «Recueil de Travaux» vol. II p. 48.



صورة هيروغليفية تعنى الأفق



(شكل ٣١) تميمة فى هيئة « أكر »

ويبدو أن ملكا يحمل اسم « حورم أخت » قد حكم فترة على عهد البطالمة فى أوائل حكم « بطليموس ايفانيس » (٢٠٣ – ١٨١ ق . م) . وفى مقال عن هـذا الملك يقول « ريفيو »[1] : وهناك جعل عليه عبارة (حورم أخت) رب منف لا بد أنهـا تشير إلى ملك أثيوبى حكم طيبة أوائل حكم الملك « ايفانيس » كما أن تلقيبه كذلك « سيد منف » قد يوحى بأنه حكم مصر كلها .

على أنه ليس لدينا مصادر دقيقة عن هذا الملك الغامض إلا أنه كان موجوداً فعلا ، وربما كان من نسل آخر فراعنة مصر « نخت نبف » الذى هرب إلى أثيوبيا عندما أحرز «أوخوس» الفارسى النصر الذى جعله سيد مصر حول عام ٣٤٢ ق . م ولعله ثار على البطالمة وأفلح فى القبض على زمام البلاد فترة ما .

وربما اهتم محبو الروايات الخيالية بأن يعرفوا أن على سيرة هذا الملك المفترض «حورم خت» أو كما سماه الإغريق « حرماخس » أقام المرحوم سير « ريدرهجرد » قصته المشهورة « كليوباترا » ، غير أن سبيل كل من المؤرخ والروائى يتشعبان بعض الشىء ، بل وإلى أبعد مما يزيد ، وأخشى أننا لن نستطيع قبول كل نظريات « هجرد » الخلابة جداً وذلك بالنسبة إلى الحقائق عن حكم هذا الملك .

فاذا رجعنا إلى اسم « حورم أخت » فى استعماله الأساسى أى بوصفه علماً على « أبو الهول » العظيم فى الجيزة وجدنا أن لدينا من حفائرنا وحدها تسع لوحات ذكر عليها هذا الاسم وحده علماً على «أبو الهول» العظيم ، منها ست لوحات مثل عليها « أبو الهول » رابضاً مع مثل آخر لا يحمل سوى الاسم وحده وصورة أذنين محفورتين .

وأهم هذه اللوحات ما يأتى :

اللوحة رقم ٢٠ (شكل ٣٢) وتبين فى سجلها الأعلى صورة « أبو الهول » يتخذ لباساً للرأس يتألف من ريشتين طويلتين بينهما قرص الشمس ، وهذه كلها خارجة من قرنى كبش أفقيين . ومن فوق أبو الهول قرص شمس له جناح واحد وهذه سمة تدل على أن اللوحة إنما يرجع عهدها إلى حكم « تحتمس الرابع » حين كان هذا الطراز من أقراص الشمس المجنحة شائعاً ومن تحته سطران أفقيان

---

(١) راجع : Rev. Egypt, vol. X, p. 86.

هيروغليفيان جاء فيهما : « قربان يقدمه الملك وحور م أخت حتى يمنحه قلبا حلواً (أى الرضا) فى كل مكان . عمله : « انحرمس » . اللوحة رقم ٨٤ وشكلها يخالف جداً للمألوف ، وتحمل نقشاً يسجل هبات أداها تحتمس الرابع إجلالا لمعبد « أبو الهول » ، ولقد بقى من النص على سوء حاله ما يكفى ليبين أن تحتمس قد وقف قدراً معينا من الأفدنة من الأرض ، واضح أنها من زاهى وفينقيا ، يوظف ريعها لمدد من قرابين يومية تقدم « لأبو الهول » الذى ذكر هنا باسم « حورم أخت » [١] .

وعلى الجزء الأعلى من اللوحة منظر يبين «أبو الهول» العظيم رابضاً على قاعدته العالية ، وبين يديه ولكن مستدبراً نجد صورة تحتمس الرابع ، يقبض فى يده اليسرى ما يبدو كأنه ملف قصير من البردى لعله أصل القرار المنقوش فى الجزء الأسفل من اللوحة ، كذلك يبدو اسم « حورم أخت » على أبواب معبد أمنحتب الثانى الأربعة من الحجر الجيرى .

اللوحة رقم ٧٨ وتكشف عن دلالة واضحة على تأثير جامعة هليوبوليس المركز الرئيسى لعبادة « رع » إله الشمس وكان من رموزه « أبو الهول » الذى صور أسداً رابضاً كالمعتاد وإن كان من فوق ظهره قرص شمس كبير ذكر اسمه هنا « رع حورم أخت » .

وعلى اللوحة رقم ١٥ صورة الإله فى هيئة الصقر ، وعلى اللوحة رقم ٦٤ صورة مزدوجة « لأبو الهول » ولرجل له رأس صقر ، وقد ورد فى اللوحتين اسم « حورم أخت » .

ولدينا فى اللوحتين رقم ٣٧ و ٣٩ كامل اسم « أبو الهول » العظيم وألقابه : « حورم أخت » المشرف على ستبت (أى المكان المختار) ، ومع اسم « حورم أخت » جنباً إلى جنب نجد « أبو الهول » العظيم كذلك يدعى « حور أختى » وهو اسم يعنى « حور المقيم فى الأفق » ، وكان ممكناً فى عهد الدولة الحديثة أن يصور « حور أختى » فى أشكال متعددة ، فقد يظهر فى هيئة « أبو الهول » برأس

---

(١) وهذا مثال آخر للطريقة التى اظهر بها تحتمس الرابع اعترافه تجميل « أبو الهول » فى تنصيبه على عرش الملك .



(شكل ٣٢) لوحة « أنحورمس »

إنسان أو رأس صقر ، أو في صورة إنسان برأس صقر أو في صورة الصقر بشكله الأصلي. وقد وجدت له صور كثيرة على لوحات من حفائرنا تبينه في كل هذه الصور ، ولسوف نرى في هذه الحالات جميعاً أن طبيعة الصقر في الإله قد أبرزت بقدر ينقص أو يزيد ، وهذا هو المفتاح الذي سوف يؤدي بنا إلى صميم السر . ففي فجر التاريخ المصري كان الصقر رمزاً للإله العظيم رب مملكة غرب الدلتا الذي كانت عيناه الشمس والقمر ، فلما أن امتد حكم ملوك الدلتا واتخذوا هليوبوليس عاصمة لهم ، عمد كهان هذه المدينة وكانوا يومئذ يعبدون « رع » إله الشمس ، فمزجوا العقيدتين معاً من أجل أهداف سياسية وصوروا الإله في هيئة إنسان برأس صقر متوج بقرص الشمس وأطلقوا عليه اسم « رع حور » أو « حور أختي » .

وفي عقائد المصريين كان الملك هو الممثل الأرضي لهذا الإله ، ولدينا من الأدلة على أن الملك المتوفى بخاصة كان في أقدم العصور يسمى « حور أختي[1] » .

ولما نحت الملك « خفرع » «أبو الهول» العظيم جعله على مثاله أي على مثال « حور أختي » الذي سوى به .

ثم كان بعد ذلك أواخر عصر الفترة الثانية (حول عام ١٨٥٠ ق.م) أن أسقطت فيما يبدو تسمية الملك هذه ، وانتقل «أبو الهول» العظيم من كونه شبيه الملك والإله معاً إلى أن تكون صورته اسم « حور أختي» قاصرة في الدلالة على الإله وحده ، ولدينا من حفائرنا طائفة من اللوحات ذكر فيها اسم«حور أختي» علماً على «أبو الهول» كما ورد هذا الاسم كذلك على عضادات الباب الذي أضافه «سيتي الأول» إلى معبد « أمنحتب الثاني » .

والآن إلى طائفة أخرى من أسماء « أبو الهول » وقد بقي في شكل مصحوف حتى يومنا هذا .

فلقد سمي «أبو الهول» في العربية باسمه هذا الذي قيل خطأ إن معناه أبو الفزع ، والحق أن الاسم قديم جداً ويرتبط بتاريخ خيالي غريب ، فلنتبعه إذن حتى أصوله الأولى .

---

(١) عن تسمية الملك المتوفى « بحور أختي » كتابي :
Excavations at Giza vol. VI part I. p. 4.

فى شتاء عام ١٩٣٣ — ١٩٣٤ كان « مونتيه » يحفر فى «تانيس» صان الحجر الآن على مسافة ١٠٠ كيلو متر من الحدود ، فكشف عن تمثال مركب يصور رمسيس الثانى متوجا بقرص الشمس قابضا على بوصة فى يده ، محتمياً بصدر صقر كبير ، غير أن هذا التمثال الجرانيتى ، بحيلة بارعة من المثال، إنما يتهجى الرسم المصرى لاسم رمسيس . فقرص الشمس هو « رع » والطفل هو (مس) والبوصة هى (سو) وكلها تساوى « رعمسو » .

غير أن هذه المجموعة فضلا عما لهـا مع مزاياها الفنية من المزايا الأخرى — قد أثبتت أنها ذات أهمية عظمى — إذ ورد على أحد جوانب قاعدتها نقش يقول : « ابن رع » « رعمسيس » حبيب « آمون » حبيب « خورون » .

فاذا كان « حورون » هو الصقر العظيم الذى يحمى الملك ، فمن عسى أن يكون هذا الإله ؟؟ وما وظائفه ؟ ؟ تلك المسألة التى ظلت طويلا تنتظر الإجابة الشافية ، وعندى أننا فى ضوء الكشوف الأخيرة بحيث نجلو السر .

من قبل كشف مجموعة «تانيس» لم يكن اسم « حورون » معروفاً إلا من مصدرين مصريين هما ورقة « هاريس » السحرية حيث ورد أربع مرات فى تعويذه لكف أذى الذئاب ، وعلى « لوح الإحصاء » حيث يبدو كأنما مر عرضا من غير أن يلتفت إليه ، ولـكنه كان معروفا فى النقوش الإغريقية ، كما كتبت المقالات الكثيرة فى شأن هذا الإله حيث اقترب بعضها من الحقيقة .

وقد افترض « مونتيه » أول الأمر أن « حورون » قد يكون شكلا آخر للإله « حور » ولـكن ذلك غير محتمل وذلك أنه فى هـذا الوقت الذى نحتت فيه مجموعة«تانيس» لم تكن عبارة «حور[1]» بوصفه الصقر المقدس على قدر من الظهور بحيث تسمح لرمسيس الثانى بتمثيل نفسه فى حمايته . غير أن لدينا شواهد عن إله يدعى « حورنا » كانت عبادته معروفة فى مصر منذ الأسرة الثامنة عشرة ، ولعله جاء من « آسيا » على عهد « تحتمس الثالث » حيث كانت مصر وقتئذ نزلا يرحب بكل أجنبي من الأفكار والمستطرف من الأمور وبخاصة ما كان منها من « سورية

(١) راجع : Montet : «Revue Biblique», (1935).

وفينيقيا» . ومما له دلالته فى هـذا الشأن أن كسرة من تمثال « لأبو الهول » من تل المسخوطة بالدلتا يكون مكتوبا عليها « حورنا » صاحب لبنان[1] .

ولقد كان فى أثناء هذه الفترة كذلك أن الآلهة الأجنبية الأخرى « عنات » و « عشتورت » و « رشب » و « قادش . . . . الخ » قد ظهرت فى أرض النيل ، وفى عهد الملك رمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م) كان الإله « حورون » قد أصبح مرتبطاً بحور حيث بدا كأن اشتراك الإلهين قد أصبح كثير الطلب من قبل السحرة وذلك أننا نجد اسمهما المزدوج يظهر فى بردية « هاريس » السحرية حيث كان أول ذكر له فى تعويذة لتعجيز ذئب ، حيث يقول :

« حورون » يشل مخالبك ، مقطوعة ذراعك على يد « حور » بن « أزيس » ، بعد أن قطعتك الآلهة « عنات [2]» .

ثم نقرأ بعد ذلك فى نفس البردية : أنت الراعى المقدام «حورون» . وفى تعويذة أخرى للحماية من الحيوان المتوحش نقرأ : يا « حورون » رد الحيوانات المتوحشة عن حقل الحصاد ، يا « حور » لا تجعل أحداً يدخل .

وهنا ينبغى أن نذكر القارىء بالتقاليد التى تنسب إلى «أبو الهول» حماية الأراضى المزروعة ، كما أشارت إلى ذلك فى لوح الإحصاء ، وما وضحته النقوش الإغريقية الرومانية وكتاب العرب. ولم يكن هذا هو الرباط الوحيد بين «أبو الهول» والمعبود « حورون » كما سنرى .

أما عن تسوية الإله « حور » « بحورون » فلدينا من حفائرنا لوح لعله يلقى شيئا من الضوء على الموضوع ، إذ يشير إلى « أبو الهول » باسم « حور » ، كما كان فضلا عن ذلك مهدى من قبل رجل أجنبي الأرومة ، وهو وثيقة هامة إذ يبدو كأنما تؤلف حلقة اتصال بين « حور » و « حورون » بوساطة « أبو الهول » ، ويكاد يحتل رقعة هذا اللوح كله صورة المهدى وهو يقرب البخور بين يدى « أبو الهول » الذى صور معصبا بالتاج المزدوج ، رابضا على قاعدة عالية لها باب

---

(١) راجع : Leibovich, «A. S.» vol. XLIV, p. 171

(٢) الآلهة عنات محاربة سورية تهزم الذئب كهذه التعويذة ، كما أنها تقضى على الشيطان « موت » فى اسطورة « بعل » و « موت » الأوجاريتية .

على أحد أضلاعها ، وفوق هذا المنظر نقش : « قربان يقدمه الملك وحور الإله العظيم رب السماء حاكم طيبة » .

أهم نقطة فى هذا اللوح الصغير أن « أبو الهول » قد سوى هنا قطعا « بحور » غير منعوت بنعت آخر .

ولقد انتهى «مونتيه» أخيرا بعد أن درس المادة التى أتيحت له إلى أن «حور» و « حورون » إنما كانا فى الواقع إلهين مستقلين وإن شابه أحدهما الآخر فى الشكل، ومع ذلك فقد بقى على « فيرولوه » [1] أن يضيف النقطة التى رجحت الميزان لمصلحة رأى « مونتيه » ، وهى فقرة من قصيدة « رأس شمرا » ، فى أسطورة « كيريت» ملك صيدا ، قيل إن هذا الملك قد مرض مرضا خطيرا بأنفه وحلقه ، ولكنه حين تماثل للشفاء وعادت إليه شهيته رجا زوجه أن تعد له وجبة طيبة فقال : « اذبحى حملا وسآكل منه » وأعدت زوجه المأدبة وأقبل الملك « كيريت» يأكل أكلا متصلا ثلاثة أيام أوى بعدها إلى قصره ليصيب شيئا من راحة ، وكان ابنه قد تعرض لشيطان من شياطين الثورة أضله فاندفع إلى القصر فدخل دون إذن أبيه ، وطفق يعنفه بعبارات قاسية جداً متهما إياه بالإخلال بواجبه نحو الدولة ، إذ صاح الشاب به :

« رد العدل إلى الأرملة واليتيم ، أبعد اللصوص الذين يعتصرون الفقراء ، وأعط الطعام للفقير ، فان لم تفعل ذلك فتخل عن العرش وسأجلس مكانك » .

ولكن الملك « كيريت » الذى كان قد استرد قوته ، وقف ليطرد ابنه وطفق يلعن الشاب قائلا : كسر « حورون » رأسك ، وحطمت « عشتارت » جمجمتك [2] .

يبدو من ذلك كأن « حورون » كان حامى الملك الخاص ، سريع النقمة من الثوار الخونة ، وتلك هى بالضبط وظيفته التى نراه يؤديها لرمسيس الثانى فى مجموعة « تانيس » .

---

(١) راجع : Viroleaud, «Revue et Etude Semitiq» (1937), p. 36.

(٢) يظهر أن « عشتارت » كانت رفيقة « حورون » كما كانت « حتحور » رفيقة الاله « حور » .

وقد ذكر نقش إغريقي وجد في «ديلوس» ونشره «بلاسار»[1] أن «حورون» هو إله بلده « يمنيا » في فلسطين . وفي قصيدة « رأس شمرا » التي كتبت قبل النقش الإغريقي بألف ومائتي عام ، ذكر كذلك أن « حورون » قد كان له شأن ببلدة « يمنيا » وتقع تلك البلدة اليوم غربي بيت المقدس غير بعيد من البحر وقرب منطقة تسمى حتى اليوم « بيت حارون » وهو اسم بالغ الدلالة بمعناه بيت حورون ، ولما كانت يمنيا معروفة أمداً لا يقل عن ألف ومائتي عام بأنها كانت دار المعبود حورون ، فما أظن أننا في حاجة إلى مزيد من البحث عن منشئه ، ويعزز هذا الرأي أنه يوجد في بلاد العرب وفلسطين عدة أماكن قد ركبت أسماؤها مع « حورون » مثل وادي حوران في صحراء سوريا ووادي حوران آخر في نجد .

وبعد ، فلنتبع « حورون » مرة أخرى في مصر ، ولنحاول اقتفاء طريقه في ضوء كشوفنا الأخيرة : ذكر « مونتيه » أن أقدم ذكر لحورون في مصر إنما كان في عهد الملك «حور محب» في آخر الأسرة الثامنة عشرة (١٣٥٠—١٣١٥ق.م) ولكن القراميد الخزفية الزرقاء بمتحف بروكلين تشير إلى الملك « أمنحتب الثاني » بأنه « محبوب حورونا » (وهو شكل آخر لاسم حورون) ، ويظهر النعت نفسه على باب الملك « توت عنخ آمون » من الحجر الجيري الأبيض ، وبذلك فإن الاسم بشكله هذا إنما كان معروفاً من قبل الوقت الذي ظنه « مونتيه » بنحو مائة عام .

ومن بين اللوحات الكثيرة التي وجدت في حفائرنا بجوار أبو الهول مباشرة عدد جاء فيه اسم الإله « حورونا » أو شكله الآخر « حول » — وكان أول ما ظهر منها اللوحة رقم ٣٨ وكان عليها صورة كبيرة لصقر دقيق النحت، ملىء بالتفاصيل الدقيقة (شكل ٣٣) كما نقش عليها : « أيا حورنا — حورم أخت امنح الحمد والحب روح خادم « خرعحا » (بابليون المصرية) نب — نتي » .

وقد حرنا أول الأمر أقصى غاية الحيرة في أمر الكلمة الأولى من هذا النقش إذ بدت كأنما لا تؤدي معنى ، حتى ملنا إلى اعتبارها خطأ من المثال ، وإن كانت روعة العمل في مجموعه خليقة أن تفند كل مظنة في إهمال أو نقص المهارة .

---

(٢) راجع : Plassart, «Le Sanctuaire du Culte du Monte Gynthe, p. 279.

ثم طفقت لوحات أخرى تحمل نفس الكلمة المحيرة تترى إلى النور حتى بدأنا نشك فى حقيقة الأمر وأننا حيال اسم إله أجنبي ، وقد أيدتنا فى شكوكنا ما وقع فى أكثر ما عثر عليه من الأمثلة إذ كان لاسم مقدم اللوح رنة أجنبية لامصرية .

أما اللوح رقم ٣ فان له أهميته لما يلقى من ضوء على وظائف هذا الإله الشمسى ؛ إذ يبين الجزء الأعلى « أبو الهول » المعتاد رابضاً على قاعدة ، على حين نرى فى الجزء الأسفل صورة رجل حليق الرأس يرتدى التقبة الفضفاضة المزركشة التى كانت آخر صيحة فى عالم الأناقة فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة ، وبداية التاسعة عشرة وكان يمسك عاليا فى كل من يديه مجمرة تحتوى على قربان محروق وأمامه نقش : تسلم الأشياء الطيبة للاله « حورنا » أى « حورم أخت » فليمنح وقتاً طيباً بغير . . . . سلامة ، ومدة عظيمة ، ودفنا طيباً ، بعد عمر طويل لروح الكاتب « ثا » .

والحق أن ما طلب « ثا » من دفن طيب إنما يدل على أن « حورنا » الذى سواه « بحورم أخت » أبو الهول العظيم إنما كان فى نظره ربا للموتى كما كان ربا للأحياء [1] .

وقرب اللوح رقم ٩ من قبل رجل حربى مثل فى الجزء الأسفل منها فى أبهى بزاته قابضاً بيده على علم كتيبته ، وفى الجزء الأعلى مثل « أبو الهول » حيث يرى والمعبد بين يديه (شكل ١٤) ويحيط بشخص المقرب نقش هام جاء فيه :

« صلاة إلى « حور أختى » باسمه « حورنا » إنى أقدم الحمد لجمال وجهك . وأرضى جمالك ، أنت الواحد الأحد الباقى إلى الأبد فى حين يموت الناس أجمعون ، امنحنى حياة طيبة حين أتبع روحك . من أجل حامل المروحة التابع للكتيبة الثالثة فرقة أمنتحت المسمى « خرى إتف » .

لدينا فى هذا المتن إعلان قاطع بأن « حورنا » إله يساوى « حورم أخت » وبأنهما فى نظر الناس رمز للاله الأزلى الواحد ، وما كانت الأقدار لتسعدنا هكذا كثيراً بحيث نحصل على عبارة واضحة قاطعة عن الآثار .

---

(١) وعلى اللوح ٢٢ ترى الاله الذى خوطب باسم « رع حورم اخت » وكذلك « حورنا » قد دعى بأن يمنح دفنا طيبا .



(شكل ٣٣) لوحة عليها رسم المعبود « حورون » حور مأخت — فى شكل صقر

وللوح رقم ١٥ أهمية كذلك لأنه يمثل الإله فى هيئة الصقر وتبرهن بذلك على أنه حقا نفس الإله الذى مثل على مجموعة « تانيس » الخاصة بـ « رمسيس الثانى » وهناك من خلف الصقر نقش عمودى جاء فيه : « يا حورنا — حورم أخت » ليمنح روح أمنمحب » عطفا وحباً .

وعلى اللوح رقم ٣٩ خوطب الإله بأنه « حورنا — حورم أخت » الإله العظيم المشرف على « ستبت » .

ولدينا شكل آخر لاسم « حورنا » على لوح راعى الماعز « امحرمس » (اللوح رقم ١٤) وهذا الشكل هو « حورنا » ومع ذلك فلدينا كذلك سبعة ألواح أخر ما زالت تقدم شكلا آخر لاسم هذا الإله وهى « حول » .

وهنا ينبغى أن نذكر بالنسبة للكتابة المصرية أن الأسد أو «أبو الهول» الرابض علامات هيروغليفية تقع إحداها محل الأخرى بمثابة الراء أو اللام وأن كلا من الحرفين يمكن استعماله مخصصاً تصويراً للكلمة ، بل لقد كانت له فائدة مزدوجة بكونه حرفاً ومخصصا . وكان اسم «حول» يخصص أحياناً بالصقر وفى ذلك دليل آخر على أننا حيال الإله الكنعانى «حورون» وهو الصقر المقدس .

أما أول لوح ذكر عليه اسم «حول» خرج إلى النور فى حفائرنا (اللوح رقم ٢) فيحمل أدلة واضحة على تأثير أجنبى سواء من حيث مناظره أونقوشه فظهر عليه ثلاثة من الآلهة ، إلى اليمين شخص له رأس صقر يمسك بيمناه يد إله شاب عار يقف قبالته ممسكا بحزمة من الأسلحة ، وإلى أقصى الشمال إلهة ترتدى ثوباً غريباً مطرزاً شبيها بما تدل عليه صور الأسرى الآسيويين من أنها كانت رداء النساء فى سوريا وفلسطين ، وليس على رأسها لباس خاص حاشا على جبهتها .

وتحدثنا النقوش أن الإله ذا رأس الصقر هو : « ابن ازيس ، حلو الحب » وأن الإله الشاب هو : « شد » الإله العظيم رب السماء النابل الماهر ، حبيب مصر . أما الإلهة فتسمى « مترى » الأم المقدسة ، غير أن النقش الأسفل يحدثنا بقوله : أداء الصلاة إلى « باشد » ، تقبيل الأرض « لازيس العظيمة » ، والحمد « لحور » ابن «ازيس » كى يمنحوا الحياة والرفاهية كل يوم لروح قياس « حول » — « بابا » (شكل ٣٤) .

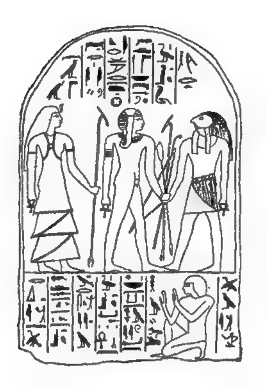
ويبين اللوح رقم ١٣ رجلا وامرأة يقدمان القربان «لأبو الهول» الذى يدعى باسم «حول» ، ويحمل مقدم اللوح الاسم ذا الرنة الأجنبية «يوخ» (شكل ١٣) .
أما اللوح رقم ٣٤ فهو أثر آخر مقدم من أجنبي اسمه «تو - تويا» وهو واحد من تلك الألواح التي ما زالت محتفظة بألوانها الأصيلة . وتدل خصل شعر مقدمه ذات الحمرة النارية وكان رجلا متقدما فى السن ، على أنه لم يكن جاهلا بالخواص الممتازة للحناء (شكل ٣٥) ، وقد خوطب «أبو الهول» على هذا اللوح باسمى «حول» و «حول أتوم» .

أما اللوح رقم ٦٦ فيحمل كذلك منظر «أبو الهول» ونقشا باسم «حول» ولدينا كذلك ثلاثة آثار تشير إلى «أبو الهول» باسم «حول» يمكن تأريخها عن يقين بأوائل الأسرة التاسعة عشرة أى من نحو ٣٣٠٠ سنة ، ومنها لوح «سيتى الأول» الذى أقامها فى معبد «أمنحتب الثانى» من اللبن حيث ذكر أنه صنعها أثراً لأبيه «حول» - «حورم أخت» .

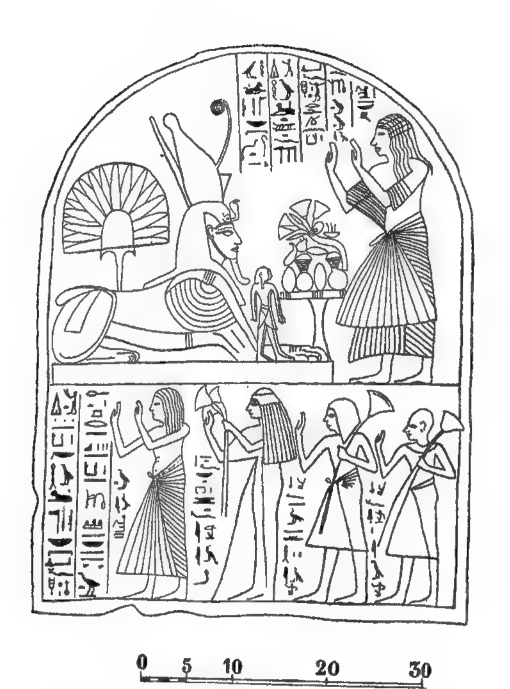
وترى الجملة السابقة نفسها على عضادتى باب من الحجر الجيرى أضافها «سيتى الأول» للحجرة الجنوبية الغربية من المعبد . كما ذكر اسم «حول» أيضا على لوحة سليمة بقدر طيب (لوحة رقم ٢١) أهداها وزير «سيتى الأول» المسمى «حايق» لعله رافق سيده الملك عند حجه إلى «أبو الهول» (شكل ٣٦) .

ولئن كنا فى حاجة إلى برهان حاسم يقنعنا بأن «حورنا» و «حول» ليسا فى الواقع سوى اسمين مترادفين للإله الكنعانى «حورون» فلقد ظهر هذا البرهان فى اللوح رقم ٨٧ وهو من أغرب ما فى المجموعة التى عثر عليها فى حفائرنا ، وهو فى الوقت نفسه من أهمها إذ حفظت اسم ذلك الإله سليما وقدمت البرهان الحاسم الذى لا يدحض على أنه حقاً يعبد فى منطقة الجيزة ، بل إن اللوح نفسه فى شكل الناووس الذى كان يحوى فى الأصل صورة الإله .

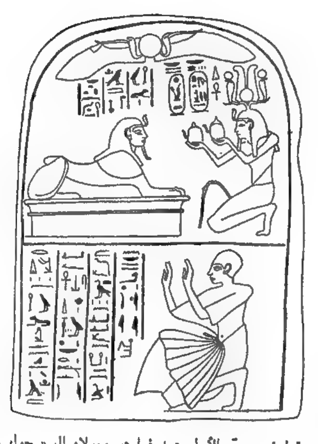
وظاهر أنه كان فى صورة مومية برأس صقر وقد نحت رأس الشخص مع الناوس فى كتلة الحجر على حين كان الجسم من الفخار الأحمر مستقراً فى تجويف فى الحجر قطع وفق قده ، ولذلك فقد انهار جزء كبير من هذا الجسد الفخار ، ومن فوق المشكاة التى يقف فيها تمثال الإله قرص مجنح وإن كان الانحناء الأعلى



(شكل ٣٤) لوحة تمثل شكل المعبود « شد »



(شكل ٣٥) لوحة تمثل رجلا اسمه « تو–تويا » يتعبد إلى المعبود « حول »
ومعه زوجه وأخواه



(شكل ٣٦) لوحة لوزير سيتى الأول يتعبد فيها هو ومولاه إلى « حول حور ماخيس »
فى شكل أبو الهول

للجناحين إنما يدل على تأثير أجنبي . وفى أسفل الجانب الأيمن من اللوح النقش الآتى :

« مساعد المشرف على الصناع ل ...... لبيت حورون » .

وينبغى قبل أن نترك موضوع هذه الألواح أن نذكر قبل كل شيء مثلا هاما قد يساعد على حل ماظل طويلا سراً جغرافياً ، فلقد عرف منذ زمن بعيد من النقوش الأغريقية أن فى مكان ما بمصر كانت تقع مدينة تسمى « حورونوبوليس » ، كان الإله « حورون » يعبد فيها على صورته الإغريقية .

وكان علماء الآثار قد ظلوا سنين يحاولون عبثاً تحديد موقع هذه البلدة ، وما زالت « حورونوبوليس » حتى الآن مدينة مفقودة ، ثم كان يوم من الأيام وإذا برمال الجيزة يخرج منها اللوح رقم ١٦ الذى يحمل من فوق رسم « أبو الهول » فى القسم الأعلى نقش يقول :

" « أيا » حورم أخت « يا واحد « حورونيا » أيها الإله العظيم " ونقش فى القسم الأسفل :

"قربان يقدمه الملك لروحك يا واحد « حورونيا » « حورم أخت » الإله العظيم ، الحياة والنجاح والصحة لروح مثال سيد الأرضين « تحوتى تحت » . أخته ، محبوبته ، ربة بيت « عنت م حب » "، لدينا هنا إشارة صريحة إلى بلدة تحمل اسم « حورونيا » ظاهر أن لها شأناً بحورونا « وأبو الهول » .

على أن هـذه العلاقة « بأبو الهول » قد أدت بنا إلى الشك فى أنها لا محالة تقع فى تلك البقعة ، ولذلك فقد درسنا كل أسماء الأماكن فى المناطق والقرى التى تقع بين منف وهليوبوليس وكان أن كوفئنا على ذلك بتحديد مساحة كبيرة تقع على بعد نحو ميلين فقط من « أبو الهول » ، وأنها تنقسم الآن إلى قريتين تسميان الحارونية الشمالية والحارونية الجنوبية على الترتيب . وما أطيب أن يكون ذلك الحق ، ومع ذلك فلقد دل قليل من البحث على أنها منطقة قديمة ـــ حيث استنقذت طائفة من ألواح الحجر المنقوشة من بناء كبير . وآمل يوماً أن ينال هـذا الموقع ما ينبغى من البحث .

ولذلك فما أظن — على ضوء وحدة مدلول أسماء حوران وحورنا — أننا فى حاجة إلى البحث بعد ذلك عن بلدة « حورونبوليس » المفقودة ، فهذا موقعها قد حدد آخر الأمر بل ما زالت تحمل اسمها القديم أى ما قبل العهد الإغريقى دون تغيير . هذا إلى أن عندنا شاهداً قويا عن جنس من كانوا يسكنون هذه البلدة ، فلقد بدا واضحاً من معظم أسماء الذين قدموا لوحات «لأبو الهول» ، وبخاصة أولئك الذين أشاروا إلى الإله باسم « حورنا » أو « حول » أنها أجنبية فى تركيبها ونطقها ، ويؤدى بنا ذلك فضلا عن أن الإله الذى كانوا يعبدون من أصل كنعانى إلى أنهم كانوا كذلك من كنعان ، وبعبارة أخرى فان لدينا هنا سجلا لأقوام ساميين كانوا من غير شك يعيشون مستقلين بعيدا عن أهلهم فى بلدة تسمى الحارونية ويبدو كأنما هذا أقدم صورة للحى اليهودى [1] .

وإذا هؤلاء القوم يلحظون ما بين « أبو الهول » بصفته حامى الملك وما كان يتخذ أحيانا من رأس الصقر أو حتى هيئة الصقر وبين إلههم « حورون » إله رأس الشمرا . فيسوون بين الإلهين ويجعلونهما إلها واحدا ، وقد شجع على ذلك اعتبار الإلهين أربابا للموتى .

وبعد فلنرجع مرة أخرى إلى اسم « حول » ولننتظر ماذا صار إليه .

مما تقدم نرى أن « أبو الهول » قد عرف منذ الفتح العربى حتى يومنا هذا باسمه الذى ترجم « بأبى الفزع » ، وواقع الأمر أن الاسم لا علاقة له بالأب ولا بالفزع إلا فيما وقع من عفوى فى الصوت ، وإنما هو ببساطة تحريف لاسم مصرى قديم هو « بر - حول » أو « بوحولى » بمعنى « مكان حول » ولدينا منه كذلك شكل آخر هو « برحورون » على لوح الإحصاء .

ولقد كان بقاء هذا الاسم سليما مكان الاسم المصرى الخالص « حورم أخت » أمراً مفهوما إذا تذكرنا عناصر القربى بين العربية والفرع الآخر من اللغة السامية التى اشتق منها اسم « حول » .

---

(١) من المفهوم أن اليهود فى كل مملكة لهم حى خاص بهم (المترجم) .

لوح بارع محب

(وثيقة عن اللاهوت الهليوبوليتانى)

من أهم ما عثرنا عليه حول «أبو الهول» لوحة لمدير الأعمال « بارع محب » ومعنى اسمه « الشمس فى عيد » ، وقد وجدت قائمة فى مكانها قريبا من معبد أمنحتب الثانى . وتختلف عن غيرها من ألواح المنطقة بأنها منقوشة الجوانب الأربعة مما يوحى بأنها كانت قائمة مستقلة ، ولم تكن مثبتة فى جدار كغيرها من الأمثلة .

وقد نقش عليها أنشودة طويلة فى حمد إله الشمس ، تحوى فقرات فريدة فى أهميتها ، إذ هى على ما قد يقال خلاصة فلسفة جامعة هليوبوليس .

على أن ما كان من إهداء هذه اللوحة فى ما يجاور المعبد مباشرة مع الإشارة الصريحة إلى مزج أسماء إله الشمس بعضها ببعض، لبرهان قاطع على الطابع الشمسى الأصيل الذى لا ينكر « لأبو الهول » .

وعندى ـ بحكم ما عبر عنه النص من أفكار وأسلوب الصناعة ـ أن الأثر قد يرجع إلى الأسرة الثانية والعشرين . فالمنظر الذى على وجه الأثر إنما يمثل المهدى « بارع محب » قائما يتعبد بين يدى الإله « أتوم » ومن خلفه إلهة يظهر من لباس رأسها أنها الإلهة « حتحور » .

وعلى ظهر اللوحة « بارع محب » أيضا يتعبد للاله « رع حور أختى » ممثلا فى صورة رجل برأس صقر متوجا بقرص الشمس والصل وتصحبه إلهة تشبه التى على وجه اللوحة .

أما سائر اللوحة بما فيها الجوانب السميكة ، فعليها نقش بالأنشودة الطويلة الآتية فى حمد إله الشمس الذى سوى به « أبو الهول »[1] طبعا .

---

(1) استحالت قراءة اللوحة فى مواضع كثيرة وانى لمدين بالكثير من المقترحات فى الترجمة لأستاذى الدكتور يونكر .

حمداً لك يا ملك الالهة « آتوم ـ خبرى » فى البدء يا من ولد نفسه إلهاً واحداً ويامن وجد ولم يوجد معه أحد ، لقد صنع أسماء الآلهة قبل أن توجد الجبال والصحارى[1] والأشياء التى تحت الأرض أنت وبداك صنعتها فى لحظة ، أنت تمد الجبال (لتصميم المعابد) وأنت برأت الأراضى ولم يكن معك إله آخر ، وأخفيت العالم السفلى . . . . والأرض تحت قيادتك ، ورفعت السماء لترفع روحك باسمك العالى (قاى) . لقد أقمت لنفسك حصنا فى الصحراء المقدسة باسم خفى وأنت تشرق فى النهار قبالتهم كعادتك كل صباح إلى الأبد « قربان يقدمه الملك » و « أتوم » سيد أرض عين شمس ، الإله الطيب .

سيد . . . قربان يقدمه الملك « يوس عاست » سيدة السماء وسيدة الأرضين فليعطيا عمراً حسنا عطفا منهما لمدير الأعمال «بارع محب » المبرأ صاحب الشرف .

الحمد لرع . . . . . من مدير الأعمال « بارع محب » المبرأ يقول :

حمداً لك يا « خبرىاتوم ـ حور ـ اختى» يا من ولد فى السماء يا عظيم ، يا مبرقشا صدره ويا جميلا وجهه ويا صاحب الريشتين العظيمتين . إنك تشرق جميلا كل صباح كما قال الآلهة أجمعون ، وتولد مبكراً من أمك[2] كل يوم ، وتجتاز السماء بريح[3] رخاء . . . . . حمداً لرع عندما يضىء فى الأفق . . . ما فوق السماء وما تحتها . . . . إن السماء فى عيد ، والأرض تتهلل فرحا وملاحو رع يسبحون كل يوم ، مكسور عدو « اتوم » كل يوم[4] ، ورع يطلع منتصراً . . . إن رع يطلع منتصراً ، إن رع يطلع منتصراً [5] إن « رع » يطلع منتصراً .

---

(١) تغير الضمائر غير المنطقى هنا من خصائص النصوص المصرية .

(٢) اشارة الى الاعتقاد بان الشمس قد ولدتها « نوت » تشخيص السماء التى تلد اله الشمس كل صباح فى المشرق .

(٣) كان المعتقد أن الشمس ترحل عبر السماء فى سفينة مقدسة، انظر كتابى excav. at Giza vol. I part I

(٤) عدو أتوم هو الثعبان الخبيث « أبوبى » الذى كان يسعى دائما ليسد السبيل على اله الشمس .

(٥) تكرار العبارة اربع مرات أمر مألوف فى المتون المصرية الدينية ، مصدر ذلك أن الكاهن الساحر كان يقرأ الصيغ السحرية موليا قبل الجهات الاصلية الاربع وكذلك الالهة الذين يشرفون عليها .

قربان يقدمه الملك والآلهة . . . . . أم . . . . . حتحور سيدة « حتب » ليتهم فليعطوا ذكاء فضلا وحبا وقرابين لروح مدير كل أعمال الملك « بارع محب » المبرأ ابن « با انخت » .

حمد لرع حور أختى ـ أتوم الواحد الذى فى هليوبوليس، من مدير كل أعمال الملك « بارع محب » كلها . إنك تشرق وتضىء ، إنك تشرق وتضىء ، والقردة المقدسة آبس ، وآمى ، وحايتى [1] تتعبد لك ، وكل إله وإلهة (... تحمد لك كل يوم . أنت فى السماء وفى عرض القبة الزرقاء ، وتعرف دخائل (العالم السفلى) دوات وخنو العظيمة فى أرمنت ... طيبة .

مرحبا بك يا مضيئة كالذهب [2] ، ويا خفية عند إشراق رع ، مبتهجة . . . . سيدة ال . . . . . . تاج على الجبين ، قوية القلب كال . . . . . من سفن الشمس باستت « اوتو » . . . . . الأسماء ختنيت هيبت « ملكة فى « ب » ورفيقة رع التى يحبها ، ووحيدته الفريدة . والواحد الذى على رأس « اتوم » فى المصلى مع كلمات سرية فى . . . . والعظماء يحمدونك . . . عملت بدائع حلوة . . . . لهم » .

انظر كيف تبدأ هذه الأنشودة بقصة الخلق . والاعتراف بإله الشمس على أنه الكائن الأعلى ، ومهندس الكون الذى برأ نفسه . وفضلا عن ذلك فإن فى القصة تشابها عظيما بين رواية الخلق هذه وبين تلك التى وردت فى سفر التكوين وغيره من الكتب الدينية الأخرى ، وهو تشابه امتد إلى الفقرة التى تسجل خلق الآلهة (الملائكة) قبل أن يخرج العالم إلى الوجود ، وربما كانت الفقرة التالية درة المتن كله ، إذ تحوى فكرة هامة فى عبارة شعرية تظهر اتصالا واضحا بين عبادة الشمس وبين « أبو الهول » وما يحيط به من آثار .

وأنا إنما أشير إلى الفقرة التى تقول : « لقد أقمت لك قصرا فى الصحراء المقدسة باسم خنى (شتيت بمعنى مخبوء وسرى) وتشرق فى السماء قبالتهم كعادتك كل صباح إلى الأبد .

---

(١) القردة المقدسة ارواح فى صور القردة قيل انها تغنى اناشيد الحمد لاله الشمس كل صباح وكل مساء ومن المحقق أن هـذه الفكرة قد انبعثت من العادة الغريبة التى فى القرود ذات الوجوه الكلبية من صياح وجلبة معا عند شروق الشمس كأنها فى الحقيقة عبدة للشمس .

(٢) الذهب اسم للالهة حتحور وهى التى تخاطب الآن .

كأنما يدل ذلك على أن المصريين ـ فى الوقت الذى كتب فيه هذا اللوح ـ قد نسوا تماماً أصل « أبو الهول » ومعبده إذ كانوا ميالين إلى نسبتهما إلى قدرة إلهية . وقد صيغت هذه الفكرة فى عبارة واضحة فى متن يرجع إلى العهد الإغريقى الرومانى منقوش عند مخلب « أبو الهول » حيث جاء فيه : إن صورتك الهائلة من صنع الآلهة الخالدة حقا . لقد كان الحذق الملحوظ فى هذه الآثار ودقة تفاصيلها مع حجمها الهائل خليقة بأن تؤدى بالناس فى عصر زاد تدهورا إلى اعتبارها شواهد واضحة على عمل إلهى .

تمثيل «أبو الهول» على الجعلان

بقى قبل أن نترك الموضوع برمته أن نذكر طبقة من الآثار تظهر عليها صورة «أبو الهول» حى الجعلان ، والجعلان كما نعلم جميعا نماذج مصغرة من الحشرة ـ سكربايوس ساكر ـ Scarabaeus Sacer ولهذه المخلوقات عادة مشهودة أن تصنع من الروث كرة كثيرا ما تكون فى مثل حجمها أو أكبر من الحشرة ذاتها . وفى هذه الكرة تضع الأنثى بيضها ، ثم يقبض الجعل بالكرة بين رجليه الخلفيتين القويتين ذات التركيب الخاص ، فتدحرجها على الأرض حتى تصل إلى بقعة مناسبة ، حيث تحفر حفرة تدفن فيها الكرة .

وفى الوقت المناسب تفقس اليرقات التى تتغذى على كرة الروث ، ثم تخرج آخر الأمر خنافس كاملة النمو .

ولقد رأى المصريون القدماء بقوة ملاحظتهم الدائمة لمظاهر الطبيعة ـ فى الجعل وهو يدحرج الكرة من روثه علما على (إله الشمس) وهو يدحرج قرص الشمس عبر السماء ، ولذلك فقد انتخبوه رمزاً للإله «خبرى» الإله الشمسى فى الصباح .

وكان ظهور الجعل الكامل من كرة الروث المدفونة قد ارتبط فى أذهانهم كذلك بكلمة خبر بمعنى يصير أو يتكون ، ولما كانوا يعتقدون أن الجعل مخلوق من ذاته فقد تجاوزوا فاعتبروه «خبرى» من حيث دوره إلها خالقا شكل العالم وكل الأشياء من الصلصال [1] .

---

(1) راجع : Newberry, «Scarabs», p. 62.

ولما كان أبو الهول «مسوى» بخيبرى فليس عجيبا أن نجد الجعل و «أبو الهول» مرتبطين معا ، وكان الجزء الأعلى من الجعل يمثل الخبرى الطبعى ، ولكن القاعدة كانت عادة مستوية مسطحة تحمل نقشاً أو تصميا أو تصويرا .

وكانت هذه الأشياء الصغيرة الخلابة تستعمل فى الغالب الأعم أختاما بل كانت تتخذ تمائم للموتى والأحياء ، وكان أكثر ما وجد من نقوش على الجعلان أسماء ملكية أو أسماء لأفراد وأسماء الآلهة وتمنيات طيبة وشعارات التقوى أو صور لآلهة وملوك وحيوان مقدس أو رموز إلهية ، وكثيرا ما تحمل الجعلان صورا «لأبو الهول» وحدة مع اسم أحد من الملوك وهذا النوع الأخير هو الذى يعنينا هنـا .

يرجع تاريخ أقدم الجعلان المصورة بمنظر «أبو الهول» إلى أيام فتح الهكسوس وقد نفترض أن الغزاة قد أقبلوا على هذه البلاد وقد أعجبوا بفكرة «أبو الهول» فاتخذوه مرحبين صورة لكائن إلهى وملكا فاتحا . وظاهر أنهم قد أعجبوا كذلك بالجعل ورأوا فيه وسيلة سهلة لنشر دعايتهم بشكل خليق أن يفهمه المصريون مرحبين، ولذلك أصدروا عدداً من الجعلان تبين « أبو الهول » « الفاتح » وهو يطأ أعداءه (شكل ٣٧ أ ، ب) فكان وحدة لاشك صادفت هوى فى طباعهم الحربية . وفضلا عن ذلك فقد كشفوا عن شعور للدعاية بشع باتخاذهم ضد المصريين خطة كان هؤلاء يتخذونها من قديم إجلالا لغيرهم من الشعوب ، فلا شك أنها كانت معينا لا ينضب يثير غضب المصرى الوطنى وخجله أن يرى ملكا أجنبيا ممقوتا وقد صور بتلك الطريقة التى كان عقله المسرف فى الحفاظ على القديم قد اعتاد أن يقصرها على الفرعون المهيمن الجبار ، فاذا كانت هذه الطلسمات من الجعلان ـ كما زخرفت ـ توزع على الموظفين ليلبسوها بما عسى أن يكون من اضطهاد انتقامى عند التخلى عن طاعة الأوامر بلبسها لكان ذلك من أقسى أعمال الغازى لما فيه من ضربة موجهة إلى القلب من عزة المصريين القومية .

وعنـد تصوير « أبو الهول » بالطريقة التى ذكرنا آنفاً لم تكن تصحبه تعليقات حيث كان مجرد تصوير القوة الجسمية للملك الفاتح سحراً كافياً يسحر به .



(شكل ٣٧) جعلان تحمل صوراً لأبو الهول وعلى بعضها أسماء الملكين
سنوسرت الأول وتحتمس الثالث

وكانت رسوم « أبو الهول » على جعلان عصر الهكسوس أحيانا من الإناث وربما مثلت فى هذه الحالة الإلهة « عشتارت » الإلهة العظيمة حامية الكنعانيين (شكل ٣٧ ج) وبعد طرد الهكسوس فى بداية الأسرة الثامنة عشرة إذ « بعشتارت » تختفى من مصر بحكم المقت الذى كان فى النفوس نحو كل ما يتصل بالجنس البغيض، ثم تعود ثانية إلى الظهور حين أقيمت العلاقات الودية تارة أخرى بين مصر وبعض جيرانها الآسيويين فى الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت تمثل أحيانا فى صورة أنثى « أبو الهول » .

على أن صور الهكسوس « لأبو الهول » على الجعلان قد كانت تتميز كلها بطابع القوة الغاشمة التى بدت رائعة فى مثل تلك الرسوم الدقيقة ويمكن تقسيم الجعلان التى تحمل صورة « أبو الهول » إلى ثلاثة أقسام :

١ — جعلان مثل «أبو الهول» إلها . قد يكون « حورم أخت » أو إلها آخر ذا طبيعة شمسية سوى «بأبو الهول» .

٢ — منظر الملك فى هيئة « أبو الهول » وحده أو وهو يطأ أعداءه أو مصحوبا بعلامات رمزية (شكل ٣٧ د) .

٣ — جعلان تحمل صورة «أبو الهول» واسم إله وطغراء ملكية ويدل الاسم الالهى فى النوع الأخير على أن الإله مسوى بأبو الهول حامى للملك الممثل فى طغرائه (شكل ٣٧ ه) .

وقد صور «أبو الهول» فى بعض الأمثلة على جعلان برأس يلتفت إلى اتجاه مضاد لاتجاه جسده (شكل ٣٧ د) ، وفى ذلك تعبير عن حركة الإله فى الالتفات برأسه لسماع صلوات عبادة ، كما يصحبه فى كثير من الأحيان مايكون بالعلامة على كلمة « السمع » إشارة إلى أن الإله إنما يستمع للصلوات .

وثمة رسم آخر محبب على طلسم من الجعلان هو اسم ملك قوى كان يعتبر خرطوشة « اسما يسحر به » .

وهذا إنما يفسر ما نراه من أسماء بناة الأهرام فى الدولة القديمة منقوشة على جعلان وذلك على الرغم من أن هذه الأشكال من الطلسمات لم تكن معروفة آنذاك ، وترجع هذه الجعلان الغريبة عادة إلى العصر الصاوى حين كانت هناك نهضة عظيمة

لعبادة هؤلاء الملوك ، وملك آخر كثرت جعلانه كثرة عظيمة هو تحتمس الثالث . وكان منها كذلك ما يحمل صورة « أبو الهول » وكان كثير منها معاصراً لذلك الفرعون ويمثله فى شكل « أبو الهول » المشهور وهو يطأ أعداءه ، وربما كان تحتمس قد أصدر مثل هـذه الجعلان للتوزيع تخليداً لانتصاراته الكثيرة فى حملاته الأسيوية .

ومع ذلك فقد بقى اسم « تحتمس الثالث » علما على القوة من بعد موته بزمن طويل كما كان على وجه التحقيق أكثر الأسماء استعمالا على هذه الجعلان الطلسمية .

ولما كانت الأسرة الثامنة عشرة عصر الفتوح فقد حملت معظم جعلان تلك الفترة تصاوير «لأبو الهول» من الأنواع الثلاثة التى ذكرناها وكانت صورة الأسد تحل أحيانا محل صورة « أبو الهول » (شكل ٣٧ أ) وإن تشابهت الأوضاع مما يدل على العلاقة الوثيقة بين « أبو الهول » والشمس فى صورته الدنيوية .

ويستطيع المرء مما تقدم من صفحات أن يرى كيف كان «أبو الهول» — بحكم حجمه الهائل وعبقرية منشئه الذى أضفى على قسماته تلك الصرامة الإلهية قد جذب انتباه المصريين منذ بدء تاريخهم حتى الفتح العربى .

من زار أبو الهول من الملوك والأمراء

من عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى العصر الاغريقى الرومانى

فى مطالع الأسرة الثامنة عشرة نشأت فجأة لدى الحكام والأمراء من الأسرة المالكة عادة زيارة « أبو الهول » وما حوله من آثار .

ويبدو ان الغرض الرئيسى من تلك الزيارات إنما كان فى سبيل الحج الدينى ، غير أن الحج إنما كان مرتبطاً بدافع آخر هو الرياضة وذلك أن صحراء هذا الإقليم قد كانت تزخر بحيوان الصيد من كل صنف وكانت تعرف « بوادى الغزلان » وقد كانت تلك المنطقة من بعد الصيت والشهرة بصيدها الكبير أن دخل اسمها إلى العبارات الشعبية فجاء فيما يسمى قصيدة « بنتاور » فى وصف انتصارات «رمسيس الثانى» فى معركة قادش تشبيه الفرعون بأسد مفترس فى وادى الغزلان[1]

وفى المناظر التى تزين الجدران الداخلية من طريق « وناس » فى سقارة كثير من صور الحيوانات الصحراوية المتوحشة التى تشمل الغزال والوعل والرئم والأرخ والبدن والظباء والأروية والمها والأسد والفهد والهر البرى والزراف والثعلب وابن أوى والماعز والأرنب الصحراوى والقنفذ واليربوع .

ولما كانت عاصمة «وناس » فى هليوبوليس على ما يظن ، وكان وادى الغزلان واقعا داخل حدود مقاطعة « هليوبوليس » فان هذه المناظر ربما مثلت الحياة البرية التى ترى يومئذ فى منطقة الجيزة حيث توحى بأنها كانت أرضاً مألوفة للصيد حتى فى عهد الدولة القديمة . وكان لهذه البقعة غير ما تتيحه من الرياضة الطيبة

---

(١) راجع : Selim Hassan, «Le poeme dit de pentacour»

والواقع أن بنتاءور « لم يكن مؤلف هذه القصيدة بل كان الكاتب الذى نقل منها نسخة عن البردى (راجع مصر القديمة للمؤلف جزء ٦ صفحة ٥٦٢) .

فضل آخر هو وقوعها فى نطاق كل من منف وهليوبوليس أى العاصمتين القديمتين الدنيوية والدينية على الترتيب .

وكان الزوار الملكيون يبجلون «أبو الهول» باعتباره حاميهم وحارس الصحراء ، وليس من شك فى أن تلك الرعاية الملكية هى التى أبلغت عبادة « أبو الهول » يومئذ إلى تلك الشهرة فلقد كان منذ الأسرة الثانية عشرة جد بعيد عن دائرة الاهتمام .

وكما وقع بالنسبة لعبادة آمون وظهورطيبة ، كذلك انطلقت عبادة «أبو الهول» للشهرة بمجرد أن أصبحت المنطقة التى هو فيها مكانا يؤمه الملوك للرياضة والتسلية .

وربما كانت عادة زيارة أبو الهول والدعاية التى نالتها عبادته دافعاً جديداً لما ابتدع من رسم الملك فى هيئة «أبو الهول» ، ولما كان يومئذ عصر فتوح فقد ابتهج الفراعنة بتمثيل أنفسهم فى صورة «أبو الهول» المنتصر وهو يطأ الصرعى من أعدائه (شكل ١٣٠) وذلك رمز نشأ كما رأينا فى عهد الأسرة الخامسة .

وكان أول زائر ملكى «لأبو الهول» لدينا عنه نص مسجل هو الأمير امنمس ابن الملك تحتمس الأول (حول عام ١٥٥٧ ق . م) إذ يحدث نقش على ناووس من حجر بمتحف اللوفر الآن يقول :

« السنة الرابعة فى عهد جلالة الملك تحتمس الأول حبيب « حورم أخت » (أبو الهول) معطى الحياة مثل رع أبداً ، لقد ذهب أكبر أبناء الملك والقائد الأعلى لجيش والدة امنمس » عاش أبدا ليقوم بنزهة [1] ....

ولقد ضاع سائر المتن ولكن فى الإشارة إلى « حورم أخت » وهو اسم لم يطلق إلا على «أبو الهول» الجيزة وحده ، دلالة كافية على مكان هذه النزهة كما أن الإشارة إلى تحتمس الأول بوصفه حبيب « حورم أخت » مغزاها . أما لماذا وصف بحبيب من كان حتى ذلك الوقت إلها يكتنفه بعض الغموض؟ يبدو أن ذلك إنما يشير إلى ما كان من علاقة الملك «بأبو الهول» بطريقة ما ، وغير بعيد على الإطلاق أنه بانى المعبد من اللبن الواقع فى الشمال الشرقى من معبد امنحتب الثانى ، ونعرف

---

(١) راجع : Breasted, «Ancient Records,» vol. II, p. 321

ومن المحتمل أن « امنمس » كان أكبر أولاد الملك تحتمس الأول ووارثة على عرش الملك وبذلك يكون أخا للملكة حتشبسوت ومنافسا لها فى المطالبة بالعرش .

من لوح الملك «آى» الذى نشير إليه فيا بعد أن تحتمس الأول كان له بيت وأرض فى تلك البقعة حيث يحتمل أن يكون هو أو بنوه قد بدءوا (أو ربما استأنفوا) عادة صيد الحيوانات الكبيرة فى تلك المنطقة .

وأعقب « امنمس » فى اتصاله بأبو الهول قرية « تحتمس الثالث » أشهر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة .

ولا يدهشنا أن نجد أثراً لتحتمس الثالث فى هذا المكان ، فان المحارب القديم ومؤسس الأمبراطورية قد كان كذلك نابلا وصياداً مرموقاً ، فقد عثر فى أرمنت على لوحة تصف جلائل أعمال تحتمس الثالث ما يلى :

« السنة الثانية والعشرون ، الشهر الثانى من الشتاء ، اليوم السادس عشر . موجز أعمال القوة والنصر التى أداها الإله الطيب ، وهى فرصة ممتازة جداً من الشجاعة من المبدأ منذ أول جيل من الناس ، أما ما أداه له سيد الآلهة ، رب « هرمونتيس » (أرمنت الآن) فهو تعظيم انتصاراته حتى تروى فتوحه ملايين السنين المقبلة وذلك دون الحديث عن أعمال الشجاعة التى يؤديها جلالته كل يوم ، فان المرء إذا ذكر كل مناسبة بالاسم ، فاقت عن تثبت كتابة .

فلقد صوب سهامة إلى كتلة من نحاس بعد أن انفلق الخشب كالبوص ، ثم أقام جلالته نموذجا منها فى معبد آمون رع وهو هدف من نحاس مسبوك سمكه ثلاث أصابع ، وفيه ، واحد من سهامه والتى أنفذها بمقدار ثلاثة أشبار من الظهر وذلك حتى يحقق رجاء أتباعه بالنجاح فى القوة والنصر . وأنا إنما أقول وفق فعله (فى الواقع) لا غش ولا كذب فيه ، فاذا أنفق الوقت متريضا بالصيد فى صحراء ما كانت نتائجه أعظم من غنائم الجيش كله ، فلقد أردى سبعة أسود عندما خرج للقنص فى لمح البصر ، واستخلص قطيعا من البهم الوحشية فى ساعة ، حتى إذا جاء وقت الإفطار كانت ذيولها قد جهزت ليلبسها من خلفه[1] كما قضى على مائة وعشرين فيلا فى برية « نى » فى عودته من نهرين ، إذ عبر الفرات وسحق مدنا على شاطئيه ، حيث خربتها النيران إلى الأبد .

---

(1) اشارة الى ذيل العجل الذى كان الملوك فى الأزمنة البدائية يعلقوه من خلف أحزمتهم .

ثم أقام لوح انتصار على (شاطئه الشرقى) وأردى خرتيتا فى أثناء القنص فى منطقة الصحراء الجنوبية بالنوبة حين ذهب إلى « ميو » بحثا عن ذلك الذى ثار عليه فى هذه الأرض[1] » .

أما باقى المتن فيتحدث عن علو همة الملك فى القتال ولذلك فلا يعنينا هنا .

ولسوف نرى أن الرمى فى هدف من نحاس يبلغ سمكه ثلاث أصابع إنما هو أقصى درجات الاختبار فى الرمى عن القوس ولم يكن القصد إصابة الهدف بل اختراقه ، كما لم يكن ذلك ممكناً أداؤه إلا عن قوس ممتازة فى الشدة فتكون بذلك شاهداً على قوة بدنية عظيمة وتصويب لا يخطىء ، فما كان ليستطيع نزع مثل ذلك القوس إلا رجل قوى .

وكان المصرى عند الرمى يقف إلى جانب الهدف قابضا على القوس على امتداد الذراع ثم ينزع القوس إلى الخلف حتى الأذن (شكل ٤٢) .

وسنرى بعد أن مثل تلك الأقواس والسهام كانت أسلحة جبارة .

لاحظ أن النقوش تحدث عن تحتمس أنه كان معتاداً الصيد فى أية صحراء بمعنى أنه كان صياداً حاذقاً لم يترك فرصة مواتية يتمتع فيها بهذه الهواية متى ما سنحت فرصة ولذلك فقد يكون يقينا أنه لم يتقاعس عن تدبير أطيب طرادة فى وادى الغزلان .

بل لقد كان تحتمس حتى فى حملاته خارج وطنه يجد وقتا يتخفف فيه من شواغل الحرب الصارمة للترويح عن نفسه بالصيد والقنص .

ولقد كان لما روى عن صيد الفيلة فى « نى » على لوح أرمنت تأكيد مستقل فى نصوص سيره الضابط « أمنمحب[2] » ولكن هذه الرواية إنما تكشف جانباً آخر من القصة وتروى كيف تحول الصائد صيدا . ويبدو فى هذه المناسبة أن شغف الملك تحتمس الثالث بالصيد كاد يكلفه حياته ، ذلك أن فحل القطيع المصاب بسهم الملك قد تحول فجأة إليه ، فما عاد شك فيما يهدد حياة الملك من خطر لولا أمنمحب وكان أحد ضباطه وعضواً فى فريق الطراد فشغل انتباه الحيوان

---

(١) راجع : Meyers and Mond, «Temples of Arment» (Text) p. 183.

(٢) راجع : Petrie, «A History of Egypt», vol. II p. 124.

الهائج الذى ترك الملك وتعقب أمنمحب بدلا منه ، وتلمس هذا النجاة بين صخرتين فى النهر ثم عمد من هذه البقعة الممتازة فقطع خرطوم الفيل حين كان يحاول انتزاعه من مكانه الآمن ، فكان لهـذا العمل الباسل أن كوفئ « أمنمحب » مكافأة مجزية من لدن الملك المقدر للجميل .

وربما شاقنا أن نعرف عن الملكة العظيمة حتشبسوت عمة تحتمس الثالث وحماته التى حكمت مصر بحقها الخالص هل جاءت يوما إلى الجيزة . ليس لدينا شىء من العلم عن تلك الواقعة ، ولكن ميل السيدة إلى تماثيل « أبو الهول » ملحوظ ، فان لها نماذج كثيرة ، على أنه يلاحظ أن كل ما لحتشبسوت من تماثيل « أبو الهول » ذكور ملتحية وهى نزعة عرفت بها الملكة التى أحبت دائماً تأكيد ملكها .

أما الزائر الملكى التالى لأبو الهول فكان امنحتب الثانى بن تحتمس الثالث وخليفته وكان مثل والده صاحب الصيت الذائع ، رياضيا عظيما وبطلا قوى الشكيمة كما تروى نقوشه ، وتؤيد مومياؤه التى كانت لرجل طويل القامة شديد البأس ذلك القول . ويبدو حقا أن الرماية كانت هواية العمر التى لازمت أمنحتب ، ذلك أن لدينا فى مقبرة بطيبة تحمل رقم ١٠٩ — لرجل يدعى « مين » عمدة طيبة كان قد قاتل فى صباه فى حروب تحتمس الثالث — لمحة شيقة عن طفولة بطل المستقبل ، إذ كان « مين » مربى الأمير الصغير أمنحتب الثانى الذى صور فى أحـد المناظر طفلا عارياً جالساً فى حجر معلمه . وذلك يبين أنه كان صبياً حدثا حينما دفع إلى رعاية المحارب القديم العجوز ، ثم منظر آخر ممتع ظهر فيه « مين » وهو يعلم وديعته الصبى كيف ينزع عن قوسه حيث بدا الصبى وهو فى ثوب فضفاض شفاف مصوباً سهمه إلى هدف مستطيل فى أعلى عمود ، حيث أحرز من قبل أربع إصابات ، ومن ورائه وقف « مين » يصحح وضع ذراعى الصبى . أما النقش فيقول : « لقد أعطى (مين) الصبى القواعد الأولى فى تعلم الرماية قائلا انزع قوسك حتى أذنك ، واستعمل كل قوة ذراعيك ، ومكن السهم . . . . . أيها الأمير امنحتب » . وقد عنون المنظر « الأمير (أمنحتب) ينعم بدرس فى الرماية فى فناء الحصن فى طيبة [1] » .

---

(١) راجع : Davis, «The Bulletin of the Metropolitan Museum of arts», (1935), p. p. 52, 53

ذكرنا من قبل أن أمنحتب الثانى أقام لنفسه معبداً صغيراً وأهدى لوحة تكريما لأبو الهول ، وينقسم هذا اللوح ، الذى يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمتراً وعرضه مترين وثلاثة وخمسين سنتيمتراً وسمكه ثلاثة وخمسين سنتيمتراً ، إلى قسمين: القسم الأعلى وقد تأثر تأثيراً بالغاً من الجو ولكنه مازال فيحمل آثاراً ضعيفة لرسم مزدوج ، يمثل الملك يقدم القرابين لأبو الهول . وكان فى الحجر عيب واضح فى الجانب الأيمن من القسم الأعلى ، وقد عمد البناء القديم فقطع الجزء المعيب باتقان . ثم وضع قطعة سليمة فى الفراغ . أما الجزء الأسفل من اللوح فيحمل سبعة وعشرين سطراً من الهيروغليفية ، حفرت بدقة ومازالت فى حالة جيدة وتقرأ كما يلى : (شكل ٣٨) :

« يعيش حور الثور القوى ، شديد القوة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، شديد السلطان[١] ، الظاهر ملكا فى طيبة ، حور الذهبي فاتح كل شيء بصولجانه فى كل الأراضى ، ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى (عاخبرو رع) ابن رع (أمنحتب) حاكم هليوبوليس الإلهى ، ابن « آمون » الذى خالقه ، نسل « حور أختى » ، البذرة الفاخرة من الأعضاء المقدسة ، ومن برأت « نيت[٢] » صورته وأحياه إله الأرضين الأول ليستولى على الملك الذى فتحه ، ويجعله يظهر نفسه ملكا على عرش الأحياء ، ومن منحه مصر تحت سلطانه ، والصحراء رعية له ، ومن إليه نقل الإرث إلى الأبد ، والملك إلى الأزل ، ومن أعطاه عرش الأرض ، ووظيفة الإله ، « أتوم » الفاخرة ، وأملاك « حور » و « ست[٣] » ، ونصيب إلهتى الوجه القبلى والوجه البحرى وسنيهما فى حياته رفاهية ، ومن له وضع بنته « ماعت » على جسمه[٤] ، ومن له ثبت تاجه على رأسه ، لقد وطىء النوبيين تحت نعليه ، وأهل الشمال ينحنون لقوته ، وكل الأراضى الأجنبية فى ظل رهبته ،

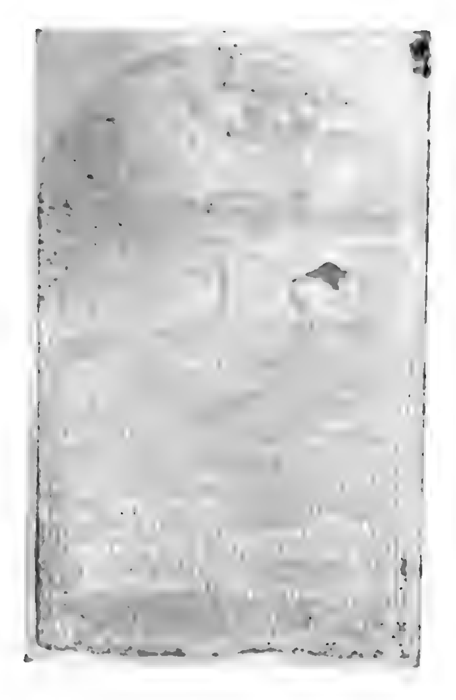
---

(١) كان هذا اللقب وما بعده يطلق عادة على ملوك مصر .

(٢) « نيت » ربة قديمة كان مركز عبادتها فى سايس بمصر السفلى .

(٣) أى مصر العليا ومصر السفلى وكانتا قد قسمت بين هذين الالهين المتنافسين .

(٤) قد يشير ذلك الى تمثال الآلهة « ماعت » الصغير ــ رمز الحق والعدل الذى كان يلبسه القضاة شارة لوظيفتهم . وكان الملك بطبيعة الحال هو القاضى الأعلى .



(شكل ٣٨) اللوحة الكبرى من الحجر الجيرى الخاصة بأمنحتب الثانى

والآلهة فى ظل حبه ، وقد رفعه « آمون » نفسه حاكما على ما تحيط به عينه ، وما يضيئه قرص الشمس ، ولقد أخذ مصر بأسرها ، أرض الجنوب وأرض الشمال تحت رعايته ، والأرض الحمراء[1] تقدم له إنتاجها ، فى حين أن كل أرض أجنبية تحت حمايته ، أما حدوده فتصل إلى ما تحيطه به السماء ، إذ الأراضى فى يده فى عقدة واحدة ، لقد ظهر ملكا على العرش العظيم جامعاً لنفسه الساحرين العظيمين[2] ، وقد اتصل القويان ، واتف[3] رع بسمته ، وقد زين مفرقة بتاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ، لقد أخذ الأربطة والخبرش[4] والكوفية ، والريشتين العظيمتين على رأسه ، والنمس[5] يشتمل كتفيه ، انضمت إذن تيجان « أتوم » وأضيفت على صورته وفق أوامر الإلهة . أما « آمون » الإله الأول الذى أظهره فقد أعطى الأوامر بأخذ الأرض كلها متحدة بغير أى نقص أى هو ابن رع « أمنحتب » حاكم هليوبوليس والبذرة الفاخرة لـ « آمون » والبيضة الرائعة عن الأعضاء المقدسة ، النبيل صاحب السلطة ، والذى عند الخروج من الرحم اتخذ التاج الأبيض والذى غزا الأرض بما فيه من ماء مصر[6] لا عدو له فيما ترسل عليه عين (أتوم) « أشعتها » ، قوة منتو »[7] فى أعضائه ، الذى تشبه انتصاراته انتصارات ابن « نوت »[8] والذى ربط النبات شارة الجنوب وشارة الشمال ، ومن أهل الجنوب وأهل الشمال فى ظل رهبته والذى نصيبه ما يشرق عليه « رع » ، والذى له مابكتنفه

---

(١) الصحراء ومنتجاتها من المعادن وصيد الحجر الذى يستصنع تماثيل وغير ذلك من الآثار .

(٢) اسمان لتاجين كانا مشخصين ويعتبران الهتين قويتين يحمى سحرهما الملك من اعدائه .

(٣) اسم تاج كان يلبسه الآلهة والملوك .

(٤) خوذة الحرب التى يتخذها فرعون .

(٥) القلنسوه المقدسة الملكية وكانت القلنسوه هى التى يتخذها أبو الهول فى اكثر الأحيان .

(٦) الذى يجرى فى عروقه الدم المصرى .

(٧) اله الحرب الذى كان مركز عبادته فى هرمونتيس ــ اى ارمنت الحالية .

(٨) اعتبر اله الشرست هنا ربا محاربا قويا .

المحيط العظيم والذى لا يرد ذراع رسوله على مدى كل أراضى الفنخو [1] ، والذى لا ثانى له على أعداء «حور» ولا حماية للبشر أخرى (سواه) ، إليه يأتى الجنوبيون راكعين والشماليون على بطونهم مجتمعين (كلهم) فى قبضته ، والذى تهشم مقمعته رءوسهم كما أمر رب الإلهة «آمون رع — أتوم» ، والذى يفتح الأراضى مظفراً دون أن يكون له قرين على مدى الأبدية .

والآن لقد أشرق جلالته ملكا ، حين كان شابا مكتمل الجسم — بعد أن أتم ثمان عشرة سنة على قدميه فى قوة وكان على علم بكل أعمال «منتو» [2] ولا نظير له فى الميدان وكان عارفا بالخيل ولا مثيل له بين أولئك الجنود الكثيرين ولا فى مقدور واحد منهم نزع قوسه ، ولا يلحق فى السباق ، شديد الساعد لا يكل من التجديف . كان يجدف عند كوثل سفينته الصقر ذات البحارة المائتين ، وقد تركوا الشاطىء وجدفوا نصف ميل غير أنهم ضعفوا وخارت أعضاؤهم ، وعجزوا عن التنفس (بعد ذلك) أما جلالته فكان قوياً بمجدافه ذى العشرين ذراعا طولا . ترك الشاطىء ثم رسا بعد أن قطع ثلاثة أميال مجدفا ضد التيار دون توقف عن العمل ، على حين كان الأهلون معجبين به وهم ينظرون إليه .

ثم قام بالعمل التالى : نزع ثلثمائة قوس شديدة موازناً بين صناعها ، ليميز الجاهل من الماهر . والآن أقبل فعملما هو أمام وجوهكم . فدخل فى مكانه الشمالى ووجد أن قد نصب له أربعة أهداف من النحاس الآسيوى ، سمك الواحد منها قدر عرض اليد ، وبين كل قائم والذى يليه عشرون ذراعا ، ثم ظهر جلالته على جياده مثل «منتو» فى بأسه ، فنزع قوسه ، وقبض على أربعة سهام معاً ، ثم سار شمالا ثم أطلقها مثل «منتو» فى عدته (للقتال) فنفذ سهمه إلى ظهرها (أى ظهر الهدف) ثم هاجم قائما آخر ، وكان ذلك مالم يحدث من قبل ، ولم يسمع به فى رواية : «إن سهما قد فوق على هدف من النحاس فنفذ فيه وسقط على الأرض ، وإنما كان هذا الذى حدث مع الملك الذى كان شديد البأس والذى قواه (آمون رع) أى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «عاخبرو رع» الشجاع مثل منتو» .

---

(١) أهل سوريا وفلسطين .

(٢) كان عمل منتو نظم الحرب والتدريب .

« ولما كان أميراً حدثا ، كان مغرما بجياده ، يسعد بها ، ويفرح بتعهدها ، ويعرف طبائعها ، كما كان ماهراً فى تدريبها متعمقاً فى الأمور . فلما سمع بذلك فى قصر أبيه حور الثور القوى الذى أشرق فى طيبة » طاب قلب جلالته عند سماعه وفرح بما قيل عن ولده الأكبر وقال فى قلبه : إنه هو الذى سيكون سيد البلاد قاطبة . ولا مهاجم له لأنه يقف فؤاده للشجاعة ويسعد بالنصر ، وهو إن كان لا يزال طفلا رقيقاً ، ولم يصل بعد إلى سن يتعمل « منتو » ، ولكن انظر . . . لقد نحى جانبا شهوات الجسم ، وأحب الشجاعة ، لأن الإله هو الذى وضع فى قلبه فعل ذلك حتى تحتمى مصر به وتنحنى له .

« وعندئذ قال جلالته لمن كانوا فى حاشيته . لتعط أكرم ما فى حظيرة جلالته من الجياد التى فى « منف » وليقل له : « اعتن بها واجعلها سلسلة القياد واجعلها تخب فى سيرها ، ورضها إذا كانت جامحة » وبعد ذلك عرض على ابن الملك أن له أن يشغل نفسه بخيل حظيرة الملك ، وبينا كان يؤدى ما كلف به ، وكان «رشب» و « عشتورت » [1] مسرورين منه — بفعل كل شىء يحبه قلبه ، ربى جياداً لا نظير لها ، ولا يلحق بها التعب ، إذا أخذ بعنانها لم يتصبب عرقا ولو بعد شوط بعيد وقد شد جياده فى « منف » ومازال بعد صبيا ، وتوقف عند محراب «حور مأخت»، فأنفق وقتا هناك فى الطواف حوله بالعجلة متأملا جمال محراب « خوفو » و « خفرع » المبجلين وقد اشتاق قلبه لإبقاء اسميهما حيين فحفظهما فى قلبه، لقد اعتاد إنجاز ما أمر به أبوه (رع) .

وبعد ذلك توج جلالته ملكا ، واتخذ التاج مكانه على رأسه وشعار رع مستقر فى مكانه وكانت البلاد آمنة كما كانت من قبل تحت سيدها ، وحكم عاخبرو رع الأرضين ، وكل الأرض الأجنبية مجتمعة تحت نعليه ، عندئذ تذكر جلالته المكان الذى سعد فيه بجوار أهرام حور مأخت ، فصدر الأمر بإقامة محراب هناك وأن ينحت لوح من الحجر ينقش عليه اسمه العظيم « عاخبرو رع » حبيب حورم أخت معطى الحياة أبداً » .

---

(١) رشب وعشتورت معبودان أدخلا مصر من غرب آسيا وكان ينسب لهما طبيعة محاربة

ولسوف يلحظ أن أمنحتب يقول إنه أعطى الجياد من حظيرة الملك فى منف وأنه ركب من منف إلى الأهرام ، وقد وقع ذلك كله فى شبابه وهناك جعل من مجموعة فلندرز بترى نقش عليه : « امنحتب الثانى ولد فى منف » وهنا خاتم صغير يختم بالصدق فعلا على رواية لوح الحجر الجيرى الكبير .

على أنه غير واضح إن كان امنحتب قد قام بزيارة أخرى « لأبو الهول » بعد تتويجه ولكنه وقد أهدى المعبد واللوح هناك فقد نفترض أنه لم يكن حاضراً حفل التقديم فحسب بل لعله طارد الصيد هناك .

وأهدت الملكة « تاعا » زوج امنحتب الثانى وأم تحتمس الرابع تمثالا لها فى معبد زوجها من بعد وفاته فيما يظن ، وذلك أن لقبها « أم الملك » إنما يبين أن التمثال قد صنع فى عهد ابنها « تحتمس الرابع » وقد استخلصنا كسرتين من هذا التمثال كانتا منقوشتين حيث نقرأ ضمن المتكرر المعتاد من ألقابها سطراً غريباً وإن كان مشوها للأسف يقول: « . . . . . . طل على بعد منى . . . . فليذهب حزنى . . . . تاعا ، فليكن رب مدينتى من ورائى ، ولتكن روحه أمامى ، وليبعد . . . . الخ . . . . » .

ومن بين عبارات المديح الرسمية والألقاب لمحة من إحساس إنسانى عميق فى السطر الذى تدعو الملكة فيه أن يكشف عنها الحزن .

وإلى القرب من لوح امنحتب الكبير فى الجدار الشمالى من المعبد لوح آخر يحمل اسم امنحتب الثانى ، ويكاد يكون تكراراً حرفياً لأول النص فى اللوح الكبير . وأهم معالم ذلك اللوح صورة لقرص مجنح للشمس بأعلى اللوح « مثل كان له ذراعان بشريتان ويدان تسندان خرطوشاً كبيراً ، واضح أنه لتحتمس الثالث ، ويبدو كأنما يوحى وجود ذراعين لقرص الشمس بطلائع قرص أتون كما صوره أخناتون ، أى قرص الشمس الذى تفيض عنه أشعة تنتهى بأيد بشرية ، وكان هذا الرمز هو الشكل الظاهر للإله الواحد الذى ظن حتى اليوم أنه إنما صور هكذا فى عهد اخناتون ليس غير . على أننا إذا اعتبرنا هذا المنظر تعبيراً عن الفكرة ذاتها فلقد كانت إذن شائعة منذ أربعة أجيال سابقة عما كان حتى اليوم مفهوما .

ومن بين كل ماظهر إلى النور من ألواح فى حفائرنا حول مسرح « أبو الهول » ثلاثة أكبر وأدق مما كان معتاداً إهداؤه من لون أفراد الموظفين وتحمل كل من



(شكل ٣٩) لوحة الأمير «أ»



(شكل ٤٠) لوحة الأمير « ب »

هذه اللوحات منظراً لشاب نبيل، واضح أنه أمير يقدم قربانا إلى«أبو الهول» وإلى تمثال لملك هو امنحتب الثانى فى حالتين ، على أن اسم الأمير فى كل حالة منهما واحد وفى أحد الألواح كان محوطا بخرطوش ، وفى كل واحدة قد كشط بعناية وإن كان الكشط من المهارة بحيث لم تصب علامة مما صاحب ذلك من نصوص حمد الإله أو رمز سحرى ، وبذلك جرى المحو على يد شخص كان يحمل حقداً شخصياً للأمير دون الفرعون أو الإله ، كما لم يكن عن فعل أتباع أتون المتعصبين (شكل ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) .

وفى أحد الألواح (شكل ٤١) كشط اسم الأمير من صلب النص وإن كان بشىء من الغفلة قد أفلت النظر وكتب عليه البقاء فى مكانين أسفل الإطار الخارجى ومنه نعلم أنه كان يدعى « آمن م ابت » وأنه كان يحمل بعضاً من أرفع ألقاب الدولة .

والسؤال الآن : من هم هؤلاء الأمراء الممثلون على هذه الألواح ؟؟ أم شخص واحد ؟؟ أم هم ثلاثة شبان مختلفون لعلهم إخوة ؟؟

على أنهم وقد صوروا بلمة الشباب المجدولة فقد وجب اعتبارهم صبية ، دعنا لكى نحاول حل الغموض لنعالج شواهد الألواح التى نسميها للتسهيل أ ، ب ، ج .

دعنا نأخذ أولا اللوح أ (شكل ٣٩) وسنعرف منها أن أميراً صغيراً بهى الطلعة يقدم قرباناً لكل من « أبو الهول » وتمثال لامنحتب الثانى وأن شخصاً حاقداً قد كشط مايدل على شخص ذلك الأمير وإن كان بذل مزيداً من الحرص حتى لا يصيب أى اسم أو رمز مقدس ، وقد يثبت أن هـذا العدو من غير أتباع أتون من أن اسم آمون — العدو الأسود لدى هؤلاء المتعصبين قد ترك سليما .

ثم دعنا ننظر فى شواهد اللوح الثانى ب (شكل ٤٠) وسنجد مصوراً هنا أميراً صغيراً وثيق الشبه بأمير اللوحة ا وكان كذلك يكرم «أبو الهول» وتمثالا لأمنحتب الثانى . ويحمل هذا الأمير — الذى لم يكن بحكم لمته قد جاوز الصبا — كثيراً من الألقاب الرفيعة الهـامة التى تكاد يقينا فى مثل حالته أن تكون ألقابا شرفيـة .

أما النقوش من فوق رأس ذلك الأمير فتكاد تطابق تلك التي في مثل مكانها باللوح (ا) ولذلك وزنه الكبير في نسبة الأثرين للشخص نفسه ، وقد تعرض هذا اللوح كذلك للتشويه على يد شخص كان هدفه الوحيد تدمير هوية الأمير .

ولم يكن التعصب الديني مسئولا عن هذه الثورة إذ لم يصب اسم ولا رمز مقدس ، وكان اسم الأمير في هـذه اللوحة محوطاً بخرطوش لا يزال محيطه ظاهراً للعيان .

وأما اللوح ج (شكل ٤١) فيبين أميراً يبدو بنفس شبه أصحاب اللوحتين ا ، ب وإن كان اسمه «امن م أبت» أفلت من أعدائه في مكانين عند أسفل الإطار[1] ، وكشط في غير ذلك ، وقد مثل هذا الأمير كذلك وهو يكرم «أبو الهول» وتمثالا لملك ضاع اسمه في كسر بالحجر وإن لم يبد محواً معتدى ، كما مثل هذا الأمير وهو يكرم الإلهة إيزيس .

والآن دعنا ننظر فيما نستطيع أن نستخلص من نتائج من الحقائق الآتية :

١ — إن اللوحات الثلاث متشابهة في الأسلوب والصنعة وكذلك العصر واحد.

٢ — إن اسم الأمير قد بقي لنا في مثل واحد هو امن م ابت .

٣ — إن هذا الشاب كان ابن ملك .

٤ — إن أسماء الأمير المكشوطة في حالة واحدة كانت في خرطوش .

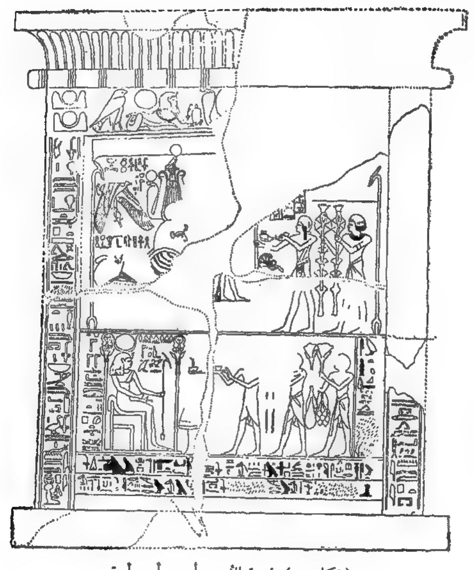
٥ — وفي مثلين مثل الأمراء وهم يقربون لتمثال إمنحتب الثاني و «لأبو الهول» .

٦ — وإن أسماء هؤلاء الأمراء قد محيت بيد عدو شخصي لم يكن يحمل ضغنا على الآلهة أو الملك .

٧ — وإن الأمير على اللوح ج يقرب كذلك لتمثال ملك وإن كان اسمه هذا الأخير قد فقد فيما تبين نتيجة كسر عرضي لا محو عدواني .

---

(١) ربما كان أسفل اللوح مغمورا بالرمال وكان الصناع الذين امروا بكشط الاسم اكسل من ان يزيلوها . ولقد كانت هبة في جو عاصف خليقة بأن تسرع حتى بالأثر الكبير فتغمره بالرمال في وقت قصير جدا .



(شكل ٤١) لوحة الأمير « أمن – أم – أ بت »

فاذا أخذنا هذه الأمور جميعاً بالبحث والتمحيص فان أمراء هذه الألواح فيما يبدو كانوا أولاد أمنحتب الثانى أو لعلهم ولد واحد ، وإن الذى تولى المحو إنما كان تحتمس الرابع أخا أصغر ، وسنرى حين نقبل على فحص متن اللوحة الجرانيتية أن «أبو الهول» يتحدث إلى تحتمس فى رؤيا ويعقد صفقة معه مؤداها أن الأمير إذا قام بازالة الرمال المتراكمة على تمثاله منحه «أبو الهول» تاج مصر .

واضح إذن أن تحتمس لم يكن هو وارث العرش ، فلو قد كان كذلك وعد «أبو الهول» غير ذى موضوع إذا كان خليقاً أن يكون الملك تلقائياً عندوفاة أبيه ، وقد نفترض عندئذ أن كبار الأخوة أو أكبرهم قد اعترض السبيل على مطامعه فتخلص (أو نحاه) تحتمس بطريقة ما ، إما بالموت أو الإبعاد ثم محا أسماءهم حتى تنسى ذكرهم ، بل لعله كذلك قد لفق قصة حلمه كى يبرر عمله وربما أوضح ذلك السرعة التى نفذ بها واجبه .

منذ عهد الأسرة الخامسة كانت عادة الملوك ممن لم يكن لهم حق قانونى مطلق فى العرش أن يخترعوا بعض قصص التدخل الإلهى كى يضفوا على توليهم غير المشروع صفة القانون . وقد استخدمت هذه الخطة من بعد الملكة حتشبسوت وتحتمس الثالث وتحتمس الرابع وحور محب .

وقد نذكر تأييداً لتلك النظرية ما نعرف أن أمنحتب الثانى كان له بضعة أولاد وقال بترى [1] فى تاريخه عن مصر «وربما كان لأمنحتب الثانى خمسة أو سبعة آخرون من البنين وذلك أن فى قبر مربى تحتمس الرابع «حكر نحح» حيث مثل فيه تحتمس الصبى على حجر مربيه ونفرا آخرون أبناء الملك ، كشطت للأسف أسماؤهم كلها كما يبدو من افتقاد كل ذكر لهم ، كأنما كان أخوهم الملك تحتمس قاسياً لذكراهم إن لم يكن لهم أنفسهم» .

على أنى أخشى من هـذه النظرية أنها لا تقدم تحتمس الرابع فى ضوء محمود جداً ، فلو لم يكن فى واقعه سفاحاً بالجملة (ويبدو أن هناك أساساً لافتراضنا أنه كان كذلك) لكان على الأقل أثراً غليظ القلب . ولعله كان مصدر ذلك الأسى الذى هتكت منه أمه الملكة «تايا» فى النقش على تمثالها .

---

(١) راجع : Petrie, «History of Egypt» vol II, p. 165

وهناك حالة مشابهة لمحو الأسماء فى الأسرة التاسعة عشرة . إذ أزيل اسم وصورة لأحد أبناء سيتى الأول ولعله أخ أكبر لرمسيس الثانى من مناظر معارك بالكرنك .

ثم نعود إلى الأمير التعس «امن م أبت » ، وظاهر أنه استمسك بتقاليد أسرته بزيارة «أبو الهول» وإهداء الألواح، وقد نفترض لذلك أنه كان كذلك قانصاً ، ولعله اعتاد مع إخوته الطراد بانتظام فى هـذه المنطقة حيث كان بين جمعهم ذلك الشاب الماكر الغامض الذى قدر له أن يصبح فيما بعد تحتمس الرابع والذى اعتاد الصيد فى وادى الغزلان .

وتحفظ لنا اللوحة الجرانيتية التى أقامها بين مخالب «أبو الهول» قصة المغامرة التى نفترض أنها وقعت له فى إحدى رحلات الصيد تلك ، أما القصة فتجرى حوادثها [1] كما يلى :

« (السنة الأولى) الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم التاسع عشر تحت حكم جلالة حور ، الثور القوى ، مصدر الإشعاع ، محبوب الآلهتين [2] ، الباقى فى الملكية مثل آتوم، حور الذهبى ، القوى السيف ، طارد الأقواس التسعة [3] ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبرو رع » ، ابن رع ، تحتمس الرابع ، المضىء فى التيجان ، حبيب آمون ، معطى الحياة والثبات والرضا مثل رع أبدا .

يعيش الإله الطيب ابن آتوم ، حامى حور أختى ، والصورة الحية لإله الكل العاهل ، المولود لرع وارث خبرى الممتاز ، جميل الوجه كأبيه ، الناشىء مزوداً بصورة حور عليه ، الملك الذى . . . . الحظوة عند تاسوع الإلهة مطهر عين شمس ، مرضى رع ، مجمل منف ، مقرب العدل إلى أتوم الذى يمنحها إياه ، قاطن جنوبى جدارة (بتاح) الصانع أثراً بالقرابين اليومية للإله الذى خلق كل الأشياء ، ومن يبحث عن المنافع لآلهة الجنوب والشمال ، منشىء بيوتهم بالحجر الجيرى ، واهب كل قربانهم ، ابن أتوم من جسده تحتمس الرابع المضىء فى التيجان مثل رع وارث حور على عرشه منخبرو رع معطى الحياة .

---

(١) راجع : Breasted, «Ancient Records», vol II, p. 321.

(٢) الالهتين « نخبت » و « بوتو » الهتى الوجه البحرى والقبلى .

(٣) الأقواس التسعة رمز لأعداء مصر من الأجانب .

«وعندما كان جلالته يافعاً مثل حور الشاب فى خميس[١]، كان جسمه مثل حامى والده «حور» ، وقد بدا كالإله نفسه وكان الجيش مبتهجا بحبهم له ، وقد كان يزاول مظاهر بأسه مثل ابن نوت[٢] وكل الأمراء وكل العظماء .

انظر . . . إنه قد قام بعمل يسره على مرتفعات مقاطعة (منف) ، فكان يرمى صوب هدف من صفائح من نحاس، ويصطاد الأسود وحيوان الصحراء الصغير، منطلقاً فى عربته إذ جياده أسرع من الريح مع اثنين من أتباعه دون أن تعلم نفس واحدة .

ولما حانت الساعة لإتاحة الراحة لأتباعه ، كان ذلك دائماً فى معبد ستيت (معبد حورم أخت) بجانب « سكر » فى روستاو « و « رننوتت » فى ايات تاموت » ... فى الصحراء (أو الجبانة) . و « موت » صاحبه . . . . الشمالية ، سيدة الجدار الجنوبى ، سخمت المشرقة على الجبل المكان الفاخر من أول الزمان قبالة سيد خرعحا[٣] وطريق الإله المقدس إلى الجبانة الغربية فى هليوبوليس .

إن تمثال « خبرى » العظيم جداً يقيم فى هـذا المكان ، العظيم فى إقدامه الذى يستقر عليه ظل رع وعليه تقبل ربوع منف وكل المدن التى عنده رافعين أكف الحمد لوجهه ، حاملين القرابين إلى روحه .

وفى يوم من هذه الأيام حدث ان ابن الملك تحتمس أتى منطلقا فى وقت الظهيرة حيث استراح فى ظل الإله العظيم فغشيه النعاس ساعة كانت الشمس فى اوجها ، فوجـد جلالته ذلك المبجل ، يتكلم بفمه كالأب يكلم ابنه قائلا : انظر إلى يا بنى تحتمس ، إننى أبوك « حورم أخت — خبرى — رع — أتوم » ، لسوف أعطيك مملكتى على الأرض على رأس الأحياء ، وسوف تلبس التـاج الأبيض والتاج الأحمر[٤] على عرش جب الأمير الوراثى[٥]، وستكون الأرض لك فى طولها

(١) البلـدة التى ولد فيها « حور » ابن « ازيس » وهو الـذى تولى بعد أبيه « أوزير » وموقعها الآن كوم الخبيزة الحالى فى شمال الدلتا . (المترجم)

(٢) أى الآله « أوزير » .

(٣) بابليون المصرى وتعرف الآن مصر العتيقة .

(٤) كان التاج الأبيض للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحـرى ، وكان هذان التاجان احيانا يلبسـان معا ، الأبيض داخل الأحمر وعندئذ يسميان التـاج المزدوج .

(٥) كان جب رب الأرض وكان بذلك عضوا فى تاسوع أرباب هليوبوليس وأبا أوزيرس وايزيس ونفتيس وست وحورس الأكبر وكان قد حكم مصر يوما فى أول حكم الأسرة المقدسة من الآلهة ثم أعقبه ابنه أوزيريس .

« وعرضها ، تلك التي عليها تسطع عين رب العالمين ، ويكون لك طعام الأرضين ، وجزية كل الأقطار على مدى الأحقاب الطويلة من السنين ، وإنى مول وجهى إليك وقلبي نحوك ، وستكون لى حافظ شئونى لأنى آلم من كل أعضائى . إن رمال المعبد الذى أنا فيه قد أدركتنى ، فالتفت إلى لتفعل ما أرغب فيه ، إننى أعلم أنك ابنى وحامى . انظر . . . إننى معك وأنا رائدك .

ولما فرغ من خطابه هـذا استيقظ ابن الملك إذ سمع ذلك . . . . فهم كلمات الإله ووضعها فى قلبه . قال تعالوا دعونا نسرع إلى بيتنا فى المدينة إنهم سيحافظون لهذا الإله على القربان الذى نحضر له : ثيران . . . وكل الخضر الغضة ، وسنقدم الحمد إلى وننفر . . . . وخفرع . . . والتمثال الذى عمل « لأتوم حورم أخيت » .

وأهدى تحتمس الرابع كذلك طائفة جيلة من الألواح التى يبدو أنها كانت أصلا مثبتة فى أحد جدران اللبن الساترة التى أقامها حول «أبوالهول» ، ومن طائفة الألواح هذه استخلصنا أحد عشر لوحا من حفائرنا وهى من الحجر الجيرى مستديرة قمتها وتبلغ فى المتوسط نحو ٦٥ × ٤٥ سنتيمتراً ويحمل كل منها منظراً لتحتمس الرابع أحيانا وحده وأحياناً فى صحبة ملكته نفرتارى يقدمان القرابين إلى مختلف الآلهة والآلهات ، وهذه الإلهة كما يأتى :

= رع حور : صاحب سخبو [١] .

= تحوت : سيد خمونو (الاشمونين الحالية) .

= وازيت [٢] : سيدة ب و د ب .

= سكر [٣] : الإله العظيم سيد « شتيت » .

= آمون رع : سيد . . . . . .

= سشات : سيدة الكتابة .

= حتحور [٤] : سيدة الجميز .

---

(١) بلدة مقدسة قرب هليوبوليس .
(٢) الالهة حامية مصر السفلى .
(٣) رب الموتى القديم من منف وقد سوى بأوزيريس .
(٤) عبدت حتحور فى طائفة متعددة من الأشكال لعلها أصلا عبادات محلية .

= حتحور : سيدة اترتى .

= أتوم : رب هليوبوليس .

= بتاح[1] : رب الحق .

= رننوتت[2] : صاحبة « ايات — تاموت » .

وكان السيد « بارز » فى أثناء توجيهه حفائره حول «أبو الهول» قد كشف عن ثلاث لوحات من هـذا النوع عليها صور لتحتمس الرابع وهو يقدم القربان إلى الآلهة : بتاح وإيزيس ولسيدة السماء التى استحال التحقق منها لما فى الحجر من كسر عنى على خصائص لباس رأسها وعلى النقش الذى يدل على اسمها .

ثم لوحتان أخريان من نفس النوع عثرت عليهما بعثة فون « زيجلن » وكانت المعبودات المصورة فيهما حورم أخت ، موت .

ولهذه اللوحات أهمية خاصة لمـا تمدنا به من قائمة بأسماء الآلهة التى كانت تعبد فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم ممـا نحمل من شكوك على تحتمس الرابع فلا مناص من الاعتراف بأنه أكثر الملوك جهداً فى رفع الرمال عن «أبو الهول» على الرغم من أن ذلك ربما رجع إلى حرصه على الظهور بمظهر الملزم نحو الإله لقاء الملك وإصراره على أنه إنما كسب العرش بأمر صريح من «أبو الهول» .

ولقد أقام « امنحتب الثالث » معبد الأقصر مثله قربان شكر لآمون رع ، ولنهمس هنا أملا فى أن يتجاوز الكهان عن أن أمه كانت امرأة أجنبية وليست للدم الشمسى الصريح .

كان امنحتب الثالث (١٤١١ — ١٣٧٥ ق . م .) ابن تحتمس الرابع وخليفته كذلك صياداً عظيما كما كان فخوراً بمهارته فى تلك الرياضة ، وقد أصدر مجموعتين من الجعلان نقشها بجلائل أعمـال صيده إذ يسجل أحـدها صيده من الأسود

(١) الاله الرئيسى فى ثالوث منف .

(٢) انظر كذلك نص لوح تحتمس الرابع الجرانيتى كانت ربة الحصاد ولعلها عبدت هنا لاقناع الاراضى القاحلة بالثمار المحاصيل الوافرة .

فى السنوات العشر الأولى من حكمه ، على حين يصف الآخر طراداً نظمه لقطيع من بقر الوحش . وتجرى ترجمة هذا الجعل الأخير كما يلى [١] :

« (السنة الثانية) تحت حكم جلالة الملك « أمنحتب الثالث » معطى الحياة وزوجة الملك العظيمة « تى » العائشة مثل رع ، أعجوبة حدثت لجلالته . جاء من يقول لجلالته : هناك قطعان من بقر الوحش على النجاد فى إقليم « شتا » فأبحر جلالته هابطا النهر فى السفينة الملكية « خع م ماعت » عند الأصيل مبتدئاً طريقة الطيب بالغاً إقليم « شتا » وقت الإصباح ، وقد ظهر جلالته على جواده [٢] وكان جيشه كله من ورائه وكان القواد والمواطنون من الجيش بأسره ومعهم الأطفال قد أمروا بمراقبة الماشية البرية : انظر لقد أمر جلالته أن تحاط هـذه الماشية بجدار مسور ، ثم أمر جلالته باحصاء كل هـذه الماشية البرية . بيان عنها : سبعون ومائة من بقر الوحش . بيان بما أسره جلالته فى هذا اليوم : ست وخمسون من بقر الوحش . ومكث جلالته أربعة أيام ليعطى جياده نارا ثم ظهر جلالته على جواد مرة أخرى .

« بيان بكل الذى أسر جلالته من بقر الوحش فى الطراد وهى : عشرون من بقر الوحش ـ المجموع ست وسبعون من بقر الوحش » .

ويظن برستد أن هذا الطراد إنما وقع فى بقعة يمكن الوصول إليها فى ليلة واحدة من منف [٣] ، وفى هذه الحالة يكون بسهولة وادى الغزلان أرض الصيد الملكى المعتادة .

أما عن الجعلان التى سجلت صيد الأسود فان النص لا يذكر موقعاً خاصاً ، ولما كان هذا الطراد قد انتشر على مدى عدد من السنين فقد نتتهى إلى أن الأسود كلها لم تصد فى مكان واحد ، غير أنه لا شك فى أن بعضاً من أسود وادى الغزلان كان من العدد المقتول ويجرى نص هذا الجعل كما يأتى [٤] :

---

(١) راجع : Breasted, «Ancient Records» vol II, p. 345

(٢) تلك جملة غريبة لقلة ركوب المصريين ظهور الخيل ترانا نفترض أنه انما يعنى مركبة أو أن امنحتب الثالث قد اتبع عادة الاسيويين من قوم أمة فركب جياده ؟

(٣) راجع : Breasted, «Ancient Records» vol II, p. p. 345-346

(٤) راجع : Breasted, ibid, p. p. 346, 347

« يعيش (وتأتى هنا ألقاب الملك الرسمية) أمنحتب الثالث حاكم طيبة معطى الحياة وزوج الملك العظيمة « تى » العائشة . بيان بالأسود التي أرداها جلالته بسهمه من السنة الأولى حتى السنة العاشرة : أسود مفترسة اثنان ومائتان » .

ولدينا أثر آخر يوحى بأنه زار « أبو الهول» وهو لوح كشفت عنه بعثة « فون زيجلن » نقش عليه خرطوش أمنحتب الثالث [1] ، ويمثل المنظر على هذا اللون الملك صبياً عاريا يقدم زهرة السوسن إلى «أبو الهول» . وكان هناك نقش فوق رأس الملك وتمثال بين مخلبي «أبو الهول» ، ولكن هذا النقش وذلك التمثال محيا فى غير مبالاة ..أما تصوير أمنحتب هنا فى شكل الصبي فيشير إلى تولية الملك وما زال صبيا ، وقد مثلت الملكة « تى » زوج أمنحتب الثالث فى شكل « أبو الهول » المنتصر على جوانب عرشها .

أما بالنسبة لأخناتون بن أمنحتب الثالث وخليفته فلسنا نعلم إن كان قد زار تلك المنطقة، على أن الأرجح أنه زار هليوبوليس ومنف (حيث وجدت آثار تمثله مع شريكته وخلفه فى الملك « سمنخ كارع [2] ، ومما له دلالته أن لدينا صوراً له فى شكل «أبو الهول» (شكل ٢٠) ، كما أن مهشمى الصور من أتباعه فى كثير من الحالات قد استثنوا صور «أبو الهول» حينما كانوا بأمره يدمرون تماثيل الآلهة القديمة . ولذلك فلعله أقبل على هنا للحج وإن كان من المستبعد استمتاعه بأى صيد فلقد كان هذا النوع من اللهو غريبا عن طبعه .

وكان توت عنخ آمون أخو أخناتون وزوج ابنته ، طفلا ابن نحو عشر سنين أو إحدى عشرة سنة حين جاء إلى العرش ، وتدل موميته على أنه لم يكن يجاوز التاسعة عشرة من عمره عند وفاته ، وعلى الرغم من حداثة سنه واضطراب الزمان الذى عاش فيه فقد حمل الملك الشاب تقاليد الملكية وكان رياضيا متحمسا . وقد أمدتنا معداته الجنزية بأدلة وافرة على أنه كان صياداً قديراً ، كما احتوى قبره على الكثرة من الأقواس والأسهم وعصى الرماية وسكاكين الصيد . . . . الخ على حين وجدت على قوارير عطره مناظر للكلاب وهى تجر وحش الصحراء .

---

(١) راجع Holscher, «Das grabdenkmal des Königs chephren», p. 107.

(٢) راجع : Journal of Egyptian archaeology, vol. XIV, p. 8, Fig. 3

وكان طراز نقبته الكتانية يحوى وحدات من مناظر تماثلة يتخللها إناث «لأبو الهول» . ويبين غطاء صندوق خشبي من قبره على أحدجوانبه منظراً مصغراً طلاؤه جميل يظهر توت عنخ آمون وهو يصطاد الأسود ، إذ كان الملك معتلياً مركبته يصحبه كلب قوى كان يهاجم بجرأة الأسود التى أصابتها سهام الملك . وقد رسمت هذه الحيوانات فى واقعية مطلقة وأمانة للطبيعة ببساطة تدعو إلى الإعجاب[1] . أما الجانب الآخر من غطاء هذا الصندوق فيحمل منظراً يمثل الملك توت عنخ آمون وهو يصطاد الوعول والحمر الوحشية والضباع والنعام .... الخ .

فلا نكاد نستغرب إذن أن نجد الملك توت عنخ آمون من بين هؤلاء الحكام الذين زاروا «أبو الهول» للغرضين المتلازمين من الحج والصيد . وفضلا عن ذلك فانه لم يقصر عن إهداء لوح إلى «أبو الهول» ، خرجت كسرها إلى النور فى حفائرنا ولقد تعرض ذلك اللوح والذى يحمل صورة توت عنخ آمون وملكته الشابة «عنخس ن با أمون» وهما يتعبدان «لأبو الهول» ـ لدمار مقصود ، لعله بيدى أحد المتعصبين من الأتونيين حين هاجه عودة الملك إلى الدين القديم . ولقد هشم اللوح كسفا ، ونقر بغلظة وجها الملك والملكة وصورة «أبو الهول» واسم آمون (الذى يتضمنه خرطوش الملكة) . ويبدو فى الواقع أن شخص الملكة كان أشمل تشويها من شخص الملك ، إما أن يكون ذلك مصادفة أم عن سبب معلوم فصعب قوله .

وأثر آخر لتوت عنخ آمون عثر عليه باريز فى بناء من اللبن يقع إلى الجنوب الغربى من معبد الوادى لخفرع حيث وجد بالفحص الدقيق على باب كان قد اغتصبه رمسيس الثانى ، إنه كان يحمل نقشا لتوت عنخ آمون وفيه يشير إلى «أبو الهول» تحت اسم «حورونا» وجائز جداً أن يكون هـذا البناء الذى وجد به هذا الباب وغيره مما يلى مباشرة «أبو الهول» ، سكنا للكهنة حيث يشمل فى نفس الوقت أجنحة من حجرات مناسبة لإيواء الملوك وحاشيتهم حين يصلون إلى هناك فى رحلات صيدهم ، وهى بهذا الاستعداد تكاد تكون النماذج الأولى للأديرة الصحراوية الحديثة التى تقدر مع اتخاذها سكنا للكهان على إيواء المسافرين .

---

(1) راجع : Carter, «The Tomb of Tutankhamon», vol II, pl. III

بل لقد كان هذا البناء الذى نحن بصدده يحوى حوض استحمام جميلا من الحجر الجيرى ، ولا شك أنه قد أتاح للصياد الملكى متعة عظيمة وقد دخل إليه وكله حر من الطراد لينغمر فى الحوض الممتلىء بالماء حتى الحافة ، ثم يتدلك مزيلا الغبار والتعب .

وثمة دليل هام آخر على ما كان من وجود الملك الشاب فى هـذه المنطقة ، فى المروحة الجميلة من الذهب وريش النعام تلك التى وجدت فى مقبرته[1] فعلى إحدى صفحتى المروحة يرى الملك فى عجلته يصطاد النعام وعلى الصفحة الأخرى وهو عائد إلى داره ظافراً بما حزم تحت إبطه من ريش النعام المطلوب على حين يحمل الخدم الطيور المقتولة . وعلى المقبض نقش يقرر أن هذه الواقعة قد حدثت فى صحراء هليوبوليس الشرقية ولعلها كانت زيارة إلى الجيزة تلك التى أوحت إلى توت عنخ آمون أن يمثل نفسه كهيئة «أبو الهول» على أطراف الصندوق الخشبى المصور والذى أشرنا إليه آنفا .

ومات توت عنخ آمون دون عقب ، فخلفه من يدعى «آى» (١٣٥٠ - ١٣٤٧ ق.م) وهو رجل من غير السلالة الملكية ، وكانت زوجته مرضعا للملكة نفرتيتى « ملكة اخناتون » المشهورة . وكان آى قد شغل عدداً من الوظائف دينية وحربية فى عهد أخناتون وتوت عنخ آمون حيث ظهر أنه كان قادراً على تغيير دينه كما يغير ثوباً حين تدعو الحاجة ، فكان أتونيا مخلصا ما بقيت الأتونية فى صعود ثم كان من أول المرتدين إلى الدين القديم حين استقر الأمر للرجعية . فتراه فى السنة الثالثة من حكمه يقدم لوحا لمعبد « ايزيس » سيدة الهرم مسجلا عليها هبة من أرض منحها أحد موظفيه ويجرى النص :

« السنة الثالثة ، الشهر الثالث ، اليوم الأول (وهنا تأتى الألقاب الرسمية للملك) « آى » معطى الحياة » فى هذا اليوم الأول كان (الملك) فى منف ، وأمر جلالته باثبات أرض جائزة للغريب المدعو « تيتا — تا » ولزوجته « نزمت موت » وكانت تمتد فى المنطقة شمالى حقل الحاتيين » فى ممتلكات دار تحتمس الأول ودار تحتمس

(١) راجع : Carter, ibid, vol II, pl. Ix, XII

الرابع — وهى حقل من ١٦٤ أرورا [1] — إلى الجنوب من دار تحتمس الرابع ، ويقع شمالها معبد بتاح ودار تحتمس الأول الذى تحيط به القناة وغربها الصحراء الشرقية الكبرى حيث دار تحتمس الأول المحاط بالقناة . وكان الكاتب الملكى ورئيس أمراء الغلال رعمس ، والكاتب الملكى « مرى رع » والكاتب « ثاى » قد حضروا إلى هنا لهذه المسألة وأمروا كبير الخدم « رع » باثباتها » .

على أن لهذه الإشارة إلى حقل الخاتيين أهميتها ، فنحن نعلم أنه على أثر وفاة أخناتون عمدت نفرتيتى زوجته حرصا على استبقاء قبضتها على العرش — إلى كتابة رسالة عاجلة إلى الملك « الحيتى » تتوسل إليه أن يبعث إليها بأحد بنيه فتتزوجه ثم تجعله يشاركها عرش مصر ، وكان بعد شيء من التريث أن أجيب طلبها وأرسل العريس الموعود ، غير أن هذا التدبير لم يلق رضاء المصريين وإذا بالأمير التعس يستقبل — فيما يظن عند الحدود — من جماعة من المندوبين ، سرعان ما حولوا رحلة زفافه إلى موكب جنزى .

وإذا بالحيتيين يرسلون إلى مصر جيشا ينتقم لقتل الأمير حيث نخروا بأنهم هزموا المصريين فى معركة وإن كان المصريون مع ذلك يزعمون أنهم دمروا الحيتيين . ومن كتاب عثر عليه فى بوغاز كوى التى كانت فى القديم عاصمة المملكة الحيتية — نعلم أن جنديا مصريا ممن أسره الحيتيون كان مصابا بالطاعون وأنه أصاب بالعدوى آسريه ، وسرعان ما انتشر المرض بينهم حتى اضطروا إلى الانسحاب تاركين المصريين سادة الموقف . وربما كان حقل الخاتيين رقعة من الأرض يزرعها أسرى الحيتيين الذين أتى بهم إلى مصر من أسرى حرب هذا الاشتباك .

على أن إهداء الملك « آى » أرضا إلى الرجل « تيتا — تا » إنما يوحى بأنه كان مقيما فى هذه المنطقة وأن « تيتا — تا » هـذا قد استضافه أو أدى له خدمة اقتضت مكافأة سخية ، ولذلك فقد يسمح لنا باعتبار « آى » واحداً من الصيادين الملكيين كما نعتبره حاجا ورعا إلى محاريب الآلهة التى عمل يوما على احتقارها .

وهناك لوح من ذهب كان يؤلف جزءا من زخرف كنانة الملك « آى »

---

(١) الأرورا مقياس مصرى قديم للأرض يساوى على وجه التقريب ٦٤١ر٠ من الفدان المصرى الحديث و ٦٧٦ر٠ من الفدان الانجليزى .

يبين ذلك العاهل وهو يسوق عجلته مصوبا إلى هدف مثبت على قائم ، حيث ربط فى ذلك القائم ، أسيران أجنبيان ، ومع هذا يركع نوبى وآسيوى تحت جياد الملك يتضرعان لرحمته ومن وراء عجلة الملك يجرى كلب صيده وتابع معه مروحة .

ويبدو أن زخرف هذه الكنانة رمزى،فصوز الأسرى إنما تذكرنا بأن «آى» قد كان من قبل رئيس الفرسان على حين يوحى وجود الكلب بأنه كذلك رجل صيد كما قد تكون الكنانة ضرورية له فى الحرب أو فى الطرد[1] .

ويبدو العثور على بعض الخواتم الخزفية التى تحمل اسم « آى » فى معبد إزيس بجوار الهرم الأكبر موحيا بأنه كان معروفا للناس فى المنطقة ، فاذا كانت هذه الخواتم كما يبدو محتملا معاصرة حقا للملوك الذين تحمل أسماءهم كانت دلائل ثمينة لتحديد تاريخ كل أثر توجد فيه . أما بالنسبة للغرض منها فلعلها كانت تذكارا لزيارة ملكية أو كانت توزع على الموظفين والأشراف ، أو كانت تحمل أسماء ملوك مشهورين إذ يصيغها ويبيعها كهنة بعض المعابد ممن لهم علاقة ما بهؤلاء الملوك .

وقد وجدت خواتم مشابهة تحمل اسم حور محب[2] فى نفس هذا المعبد ــ معبد ايزيس ــ فكانت أن ربطت بذلك هذا الملك بمنطقة الجيزة .

ومع ذلك فلم يخرج حتى الآن نقش لحور محب إلى النور ولذلك فلسنا نعرف المناسبة التى وقعت فيها تلك الزيارة ، ولما لم يكن شابا حين أقبل على العرش شككنا فى أن يكون قد استمتع بيوم رياضة طيب آنذاك ، غير أنه ربما كان فى أيامه الأولى ولم يكن إلا ضابطاً رفيع الرتبة ، عضواً فى كثير من حفلات الصيد المرحة فى وادى الغزلان وبخاصة إذا عرفنا أن قيادته العسكرية وهو القائد العظيم للجيش على عهد توت عنخ آمون بمدينة منف .

---

(١) راجع : Van De walle, «Chronique d'Egypte», No. 26, p. 260.

(٢) تولى حور محب (١٣٥٠ ــ ١٣١٥ ق ٠ م) العرش بعد موت آى وكان قائدا للجيش ولم يكن من دم ملكى ، ولكنه كان حاكما قديرا أمينا وقد يسمى مخلص مصر اذ كان هو الذى أعاد النظام من الارتباك والفوضى التى وقعت فيها البـلاد فى عهد اخناتون المارق وأخلاقه الضعفاء .

وكان رمسيس الأول أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة[1] رجلا شيخاً وقت توليه ثم أعقبه بعد حكم قصير جاوز السنة الواحدة قليلا ، ولده سيتى الأول الذى كان عليه أن يفتتح أسرته المالكة بالحج ورحلات المتعة معاً إلى « أبو الهول » .

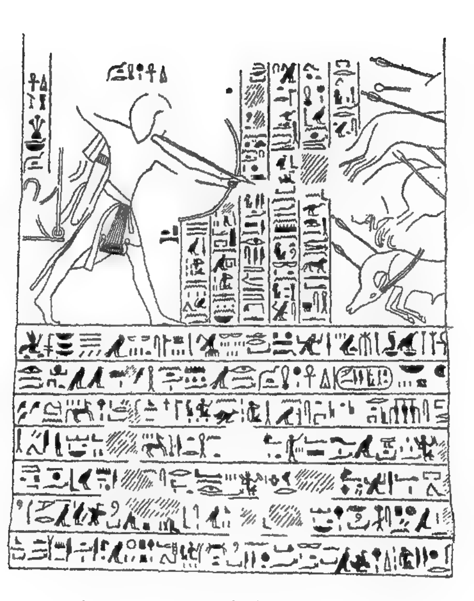
وإذا ما صدرنا فى حكمنا عن الدلائل من عضادات الباب الحجرى المنقوشة التى تحمل اسمه فلقد أضاف سيتى الغرفة الجنوبية الغربية إلى معبد أمنحتب الثانى من اللبن كما قدم لوحا فى هذا المعبد ، غير أن هذا اللوح المنحوت من الحجر الجيرى قد تلف تلفاً يكاد يكون شديداً ، وذلك أنه صنع من جزأين كما تنقص القطعة الصغيرة من الحجر التى كانت تؤلف الحافة اليمنى منها . على حين تقشر سطح ما بقى من اللوحة وبخاصة جزؤها العلوى . أما جزؤها الأوسط فقد مثل عليه الملك سيتى فى منظر صيد غير عادى ، إذ الفرعون على قدميه رغم ما اعتاد الملوك عامة من استعمال عجلاتهم فى الصيد . وربما صور كذلك كى يثبت شجاعته للناس وذلك بظهوره رجلا يجرؤ على مهاجمة الأسد الضارى بغير حماية عجلته أو بوسيلة الهرب السهلة التى تتيحها سرعة خيله وكان مسلحا بقوس وسهام وهو يصوب بدقة على قطيع مختلط من الوعول والأسود أمامه . وتتخذ ـ هذه الحيوانات التى صور منها المزيد على القطعة المفقودة ـ أوضاع الألم وقد نفذت فيها سهامه . ومن وراء الملك رمز كبير للحياة زود بذراعين بشريين تحملان مروحة ذات مقبض وأمام الفرعون سبعة صفوف عمودية تقرأ كما يلى (شكل ٤٢) .

«جلالته يذهب ليضىء مثل « رع » عندما يشرق فى السماء ، لقد لمح الآن أسداً عظيما ضاريا كما يلمح الصقر المقدس هدهداً ، فنظر إلى القوس ، ثم أخذ سهام « مونتو » وقوس « باستت »[2] ، فقتل الأسد فى لحظة ، لأنه «رع» حبيب أبيه « آمون » ولقد وقع ذلك حقا أمام رجال القصر ، فهللوا لرب الأرضين ووصلت أصواتهم إلى السماء » .

---

(١) مثل «خور محب» الذى عينه خليفة له فلقد كان رمسيس الأول قائداً للجيش ولكنه كما يظهر لم يكن يمت بصلة للأسرة المالكة وقد حكم عام ١٣١٥ الى عام ١٣١٤ ق . م ثم خلفه ابنه سيتى الأول .

(٢) ربة بوبسطة ذات راس القطة ويبدو انها اعتبرت هنا ربة للحرب او الصيد وقد سواها الاغريق بربتهم أرتيمس التى كانت كذلك ربة للطراد ونابلة .



(شكل ٤٢) لوحة سيتي الأول — يتصيد في صحراء الجيزة

ويمثل الجزء الأسفل من اللوح نقشا يقرأ كما يلي :

« . . . . . محبي الأرضين ، حبيب السيدتين[1] ، متجدد الميلاد ، قوى الذراع ، هازم الأقواس التسعة ، حور الذهبي ، متجدد الظهور ، قوى الأقواس فى الأرضين جميعاً ، ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ، ابن رع رب التيجان ، سيتى مرنبتاح معطى الحياة أبداً مثل رع ، لقد صنعها (أى اللوح) ، أثراً ليقدمه لأبيه حورم أخت ، صنع . . . خرج ليعلي أماكن دماء الشعب ، الإله الطيب ، القوى المقدام على الخيل فى حربه ، يحارب المئات والألوف . . . وجنوده ، الفاتح بذراعه الصانع فى مقدمة فرسانه . . . . . كل الأراضى الأجنبية . . . القوى الشجاع القلب . . . . وسط الجنود الجميل أمامهم مثل آمون رع حين يشرق فى السماء . . . على رأس الموقعة فى كل بلد أجنبي . . . الثوار . قاهر « يو ـــ نا ـــ مر . . . . . » جنود . الماهر فى أخذ قوسه ، المرغم الآسيويين على التقهقر بقوة أبيه آمون الذى يكتب له النصر » .

ولعل هذا هو الأثر الوحيد لدينا يظهر سيتى فى هيئة رجل صيد أو يشير إلى تخففه من شئون المملكة ، وعلى الرغم من قوله إنه قتل الأسد بالحق الصريح فغير بعيد أنه إنما اصطاد هنا إبقاء على تقاليد الأيام العظيمة والتى كان أحرص على إحيائها من حبه للرياضة ذاتها .

ويشير ما ذكرنا من عضادتى الباب من الحجر الجيرى فى الغرفة الجنوبية الغربية كذلك إلى «أبو الهول» تحت اسم حول . ويبدو أيضا أن سيتى الأول قد أضاف عضادات الباب إلى المدخل الرئيسى إلى معبد أصحب الثانى ولكنها اغتصبت فيما بعد من حفيده مرنبتاح .

وجاء رمسيس الثانى بن سيتى الأول المشهور لزيارة «أبو الهول» أيضا وترك أربعة ألواح تذكارية على الأقل تذكاراً لحضوره هناك ، عثر على اثنين منها فى المعبد الصغير الذى بين مخلبي « أبو الهول » ويحمل أحدها نقشاً يذكر طبيعة الملك الحربية ولكن لم يشر إليه بصفة رجل طراد .

---

(١) الربتان الحاميتان لمصر العليا ومصر السفلى .

وقد يبدو كما ذكر من قبل أن رمسيس الثانى قد قام ببعض إصلاحات على أبو الهول ولعله كان هو الذى أضاف أول طبقة من المبانى إلى الجسم والمخالب، فاذا كان ذلك كذلك حق علينا الإسراع فى تسجيل ذلك لصالح رمسيس ، فلسنا كثيرا نستطيع القول عن رمسيس قولا طيبا حين يصل الأمر إلى شأن من شئون الآثار.

وقد كشف مسيو باريز عن جزء من طنف من الحجر الجيرى يحمل خرطوش رمسيس الثانى وإن لم يكن يقينا أن ذلك جاء من أى من الأبنية القائمة أو من مبنى آخر دمر الآن . . . . وكما قد روى من قبل فان رمسيس لم يتورع عن اغتصاب باب توت عنخ أمون من الحجر الجيرى ، ولدينا حقا كثير من الأدلة على الاغتصاب فى مجموعة الآثار الصغيرة نسبيا حول «أبو الهول» بل إن لوح سيتى الأول الذى ذكر من قبل قد ركبت من صفائح من كساء المعبد الداخلى ، ثم أقيم على كتلة أخرى تحمل نقوشا تنتمى إلى تحتمس الرابع ، على أن هذه الحالة بالنسبة إلى ما نعرفه عن خلق سيتى الأول مع الكثير من الأمثلة التى عرفت عنه من ترميم الآثار القديمة عن ورع منه لتؤدى بنا إلى الشك فان العمل من أعمال البربرية وإنما وقع بغير علمه ، ولقد كان أمرا سهلا بالنسبة لمتعهد خائن أن يقع على أى حجر فى متناول اليد فيحوله لاستعماله الشخصى مكتنزا فى جيبه الفرق بين ما يقتضيه الحجر الجديد من العملة والنقل . فاذا كان الملك فى مجرد زيارة قصيرة يعود بعدها على الأرجح إلى العاصمة قبل أن يكون الأثر الذى أمر قد بدأ بداية طيبة بزمن طويل فان الخدعة تمضى لا يلحظها أحد ، ومع ذلك فلو عاد للتفتيش على العمل المنجز ، فان الأحجار المغصوبة تكون فى مواضعها ولا يمكن تمييزها من المواد الجديدة ، غير أن مثل هذا الاعتذار لا يمكن أن ينطبق على تلك الأشياء المشبوهة كالتماثيل والأبنية المشيدة من قبل كباب توت عنخ آمون من الحجر الجيرى على سبيل المثال ، وأخشى أن يتحتم اعتبار رمسيس الثانى وابنه مرنبتاح مسئولين عن الجزء الأكبر مما لا سبيل إلا إلى تسميته « لصوصية الآثار » .

ثم عودة بنا إلى تلك الآثار التى أقامها رمسيس الثانى أو اغتصبها عند «أبو الهول» وسيرى أنها فى جملتها ذات طابع دينى ولا تحدث عنه ذكرا أنه صاحب رياضة . غير أنه لو كان من الجرأة فى الحياة المدنية بقدر علمنا عنه فى المعارك لكنا على يقين من

أنه ما كان ليتردد فى الاستفادة مما تتيحه منطقة الجيزة من فرص سهلة فى الصيد ، كما أن السطر فيما يسمى قصيدة بنتاءور الذى يصفه بالأسد الضارى فى وادى الغزلان ليدل على أنه كان لا محالة على علم بالوادى وسكانه المتوحشة .

وترك مرنبتاح ثالث عشر أبناء رمسيس الثانى تذكارا لزيارته « أبو الهول » باغتصابه عضادتى المدخل الرئيسى لمعبد أمنحتب الثانى ، مبرهنا بذلك نفسه أنه ابن حق لأبيه .

ولما كان رجلا شيخا حين اعتلائه العرش كان مشكوكا أن يكون قد زاول رياضة مرهقة .

وتعرف من جدران مدينة هابو أن رمسيس الثالث (١١٩٨ – ١٩٦٧ ق . م) كان صياد الأسرة العشرين العظيم ولذلك لم يكن غريبا أن نجده زوار الوادى الغزلان فقد نجد اسمه منقوشا على جزء من عضادة باب من معبد أمنحتب الثانى « غير أننا لسوء الحظ لم نجد نقشا آخر يقدم التفاصيل عن نشاطه هناك غير الحج الدينى » .

وترك رمسيس الرابع وهو كذلك من الأسرة العشرين (١١٦٧–١١٦١ ق . م) أثراً عن وجوده فى منطقة الجيزة وذلك فى هيئة عمود أسطوانى نقش عليه الآتى :

« . . . . . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين ورب القوة ورب القربان وسر رع ستبن آمون (رمسيس الرابع) معطى الحياة[1] » .

ولهذا الأثر أهميته الخاصة لأنه واحد من القليل الذى ينتمى لرمسيس الرابع مما ظهر فى منف .

ويبدو أن رمسيس السادس — من الأسرة العشرين — قد زار أيضا منطقة «أبو الهول» وذلك كما قد نستخلص من كسرة من لوح تحمل اسمه وألقابه عثر عليها قرب « أبو الهول » سنة ١٩٠٣ .

وكان ملوك الأسرة الحادية والعشرين معروفين بورعهم ، فزار باسبخانو (١٠٨٥ ق . م) ثانى ملوك هذه الأسرة منطقة « أبو الهول » أيضا وإن كان ذلك أدعى فيما يبدو لأسباب دينية منها للرياضة ويبدو أنه شرع فى إعادة بناء معبد

(١) راجع : ch. «Zeitschrift Fur Agypische sprache», vol. XIX, p. 116 O.

إزيس الواقع إلى الشرق من الهرم الصغير لبنت خوفو الأميرة (حنوت سن) والذى قدر له باندماجه مع « أبو الهول » أن يصبح مكانا مألوفا للحج والعبادة فى أثناء العصر الصاوى ، ويقول بترى فى كتابه عن تاريخ مصر [1] .

« لقد كان من أسعد الأمور أن أسفرت الحفائر عن منظر الملك وهو يقرب لأوزير وكان الخرطوش رغم عطبه الشديد مقروءا حيث دلت كل علامة هيروغليفية على أنه الملك بتوخاتو (باسبخانو) من الأسرة الحادية والعشرين ، وقد مثل مرتديا تاج الوجه البحرى . وذلك إذن يبين تاريخ المعبد ، كما أن طابع البناء كله يوافق ذلك العصر » .

وقد عثر مريت فى عام ١٨٥٨ م على المعبد واللوحة التى كانت فيه ، وكانت هذه اللوحة حجر عثرة فى علم الآثار مذ ذاك ، وذلك لما سوف ترى وشيكا من أن اللوح يزعم أن المعبد قد عثر عليه خوفو (مخربا بداهة) فأعاد بناءه ، وعندئذ يكون قد بنى على أقل تقدير أوائل الأسرة الثالثة (حوالى ٢٩٨٠ق.م) . ولكن لدينا فى الواقع من البراهين النظرية والعملية ما يدحض ذلك الخبر الذى يبدو واضحاً بأن الكهان صنعوه فى زمن متأخر وذلك ليضفوا على معبدهم شهرة من عراقة عظيمة .

أولا : إنه كان قد أهدى إلى إزيس سيدة الهرم ولكن خوفو لما كان أول من أقام هرما فى هذه المنطقة كان من الصعب إدراك السبب الذى تحمل من أجله الإلهة هذا اللقب ؟ ؟ وفضلا عن ذلك فان عبادة إزيس لم تكن معروفة إلا قليلا فى عهد الأسرة الرابعة حين كان الملوك وأسرهم أتباعا لعبادة الشمس ، وغير محتمل أن يكون لها معبد فى هذا المكان على الإطلاق .

ثانياً : إن ما كان من اغتصاب معبد الأميرة « حنوت سن » الجنزى وبعض المصاطب من قبور الأسرة الرابعة لبنائه ليدل على أن المعبد أحدث من الدولة القديمة .

ومن المحتمل أن يكون هـذا المعبد قد أقيم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة حين جعل إغراء « أبو الهول » ووادى الغزال مجتمعين من هذه المنطقة مكانا محبوبا .

---

(١) راجع : Petrie, «The pyramids and Temple of Gizа», p. 156.

أما لقب إزيس سيدة الهرم فلعله يرجع إلى خلط الجزء الأول من اسم الأميرة « حنوت سن » (وهى التى يؤلف معبدها الجزى — كما ينبغى أن نتذكر — نواة المعبد) بكلمة حنوت بمعنى سيدة فكانت النتيجة أن المصريين المتأخرين سووا الأميرة بالإلهة إزيس .

أما إن هـذا المعبد كان موجوداً فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فقد يثبت من وجود خواتم من الخزف المطلى تحمل أسماء أمنحتب الثالث وتوت عنخ آمون وآى وحور محب[1] .

أما هذه الخواتم ، كما قال الدكتور ريزنر الذى كشف عن هذا المعبد عام ١٩٢٦ ، فكان كهان المعبد يبيعونها إلى الحجاج .

وكذلك فإن لوح الأمير « امنمأبت » من حفائرنا (شكل ٤١) تصوره مقربا إلى إزيس وهى جالسة على عرش فى محراب ذى عمد تيجانها فى شكل السوسن . ولما كانت لعمد هذا المعبد تيجان مشابهة فقد يكون أن المنظر على اللوح قد قصد به تمثيل هذا المحراب .

ثم لم نعد نسمع من بعد عهد رمسيس الثانى عن معبد إزيس حتى عهد الملك باسبخانو الذى قرر فيما يظهر إصلاحه وتوسيعه . وتابع العمل أحـد أخلافه « امنمأ بت » الذى تابع البناء تجاه الشرق من المعبد الجزى الأصيل للأسرة الرابعة . وعلى حجر من أحد الجدران مثل هـذا الملك يقدم قربانا للإلهة إزيس ويبدو أن له ميولا دينية . إذ كان أحـد الملوك الذين التزموا باعادة تكفين وحماية مومياوات كبار كهان آمون الذين عثر عليهم فى خبيئة الدير البحرى الثانية فى طيبة الغربية .

وفى خلال العهد الصاوى (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م) أنجز عمل كثير فى معبد إزيس كما قد يتوقع ، إذ كان فى هـذا المعبد أن خبرت نهضة عظيمة للتقاليد القديمة كأنما كان الملوك ينشدون باستعادة المظاهر الخارجية للدولة القديمة استعادة القوة والازدهار اللتين صاحبتاها .

---

(١) كانت توجد خواتم كذلك باسم سيتى الأول ورمسيس الثانى من عهـد الأسرة التاسعة عشرة .

كذلك كان الميل عظيما إلى أسلوب الفن فى الدولة القديمة ، حتى عمد الفنانون إلى زيارة الجبانات القديمة كى يدرسوا زخرف المقابر من مصادرها الأصيلة ، ثم كان أن عادت هذه الجبانات مرة أخرى إلى تفضيل الناس بوصفها أماكن لدفن الطبقة الفضلى فاذا بنا نجد كثيراً من آبار الدفن العظيمة التى اختص بها هذا العصر المتأخر فى جبانة الجيزة ، ولدينا ما يسمى « قبر كامبيال » إلى الشمال من طريق خفرع الصاعد وهو مثل طيب لهذا النوع من الدفن .

ومما يدهش حقاً أن آبار الدفن الصاوية قد وجدت فى بعض غرفات معبد إيزيس وذلك شيء شاذ فى مصر يذكر بالعادة المسيحية من حيث دفن المشاهير من الموتى فى الكاتدرائيات والكنائس ، وكان المعبد يؤمئذ ممتداً إلى الشرق عبر شارع بين ثلاثة أهرامات صغيرة فى الغرب وصف من المصاطب متين البناء فى الشرق ، حيث كانت خمس غرف من المعبد قائمة فى قلب هذه المصاطب على حين كان طرف البهو الشرقى للمعبد قائماً مباشرة على سقف مصطبة أخرى ، هذا إلى أن الأحجار التى بنى بها المعبد قد نهبت كلها من مبان فى المنطقة حيث قطعت أحجاماً صغيرة كانت من خصائص العصر ، وعلى جدار إحدى الغرف نقش أنيق يظهر فيه كاهن راكع يتعبد بين يدى الآلهة إيزيس والطفل حور وقد صور هذا المنظر باتقان حيث ظهر بوضوح تأثير أساليب الدولة القديمة .

وتحوى جدران هذا المبنى كثيراً من توقيعات الزائرين ، مسجلة أسماء الزوار ـ ومهنهم وكان أكثرهم فيما يبدو كهاناً من المعابد المجاورة . وهذه المخربشات شيقة لما تدلنا عليه فى ذلك الوقت من قيام نهضة عظيمة فى عبادة ملوك الأسرة الرابعة ـ خوفو ـ ددفرع ـ خفرع ـ منكاورع ـ وفضلا عن ذلك فهى تعرض ما يظهر أنه كان أقدم ما لدينا من أمثلة من ألقاب كاهن « أبو الهول » وهو « حم نتر حورم أخت » .

وتحتوى مقاصير أخرى على بقايا من نقوش جميلة لا يزال بعضها محتفظاً بآثار ألوانه الأصيلة البراقة .

ومما عثر عليه فى أثناء تنظيف المعبد تماثيل صغيرة من الحجر الجيرى لأبو الهول وكذلك تماثيل كثيرة يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة وهذه ـ وفق نظرية

الدكتور « ريزنر » ـ كانت قد أخذت من المقابر المنهوبة لتزين المعبد ، وربما كانت كاللوح نفسه موضوعة لتضفى على المعبد الإحساس بالعراقة العظيمة .

على أن أهم ما عثر عليه على الإطلاق ذلك اللوح الذى كشف عنه مريت وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة ولا يزال موضوعا خطأ بين آثار الدولة القديمة . وقد أطلق عليه أسماء مختلفة منها لوح بنت خوفو ، ولوح الإحصاء ، وربما كان الاسم الأخير أصحها وإن كان أقل شاعرية فى جرسه وذلك لأنه يحمل قائمة بصور الآلهة الذين قيل إن خوفو قد وجدهم هناك عندما أقبل لإصلاح المعبد . أما اللوح وهو من الحجر الجيرى الجميل فيبلغ ٧٠ × ٤٢ سنتيمتراً وعليه النقش التالى [1] .

« يعيش « حور مزر » ملك الوجه القبلى والبحرى ، خوفو معطى الحياة لقد جعل لأمة « ايزيس الأم المقدسة سيدة الجبال الغربية [2] قراراً على لوح ، وادى اليها قرابين جديدة مقدسة ، وأنشأ معبداً من الحجر ، مجدداً ما كان قد وجد ، أى تماثيل الآلهة هذه التى فى مكانها .

يعيش « حور مزر » ملك الوجه القبلى والبحرى ، خوفو ، معطى الحيـاة لقد عثر على بيت إيزيس سيدة الهرم بجوار تجويف «أبو الهول» على الجانب الشمالى الغربى من بيت أزوريس « رب رستاو » ، ثم بنى هرمه بجانب معبد هذه الإلهة ، كما شيد هرما لابنة الملك « حنوت سن » بجوار هذا المعبد .

إن مكان « حورنا ـــ حور ـــ م ـــ أخت » على الجانب الجنوبى من بيت إيزيس سيدة الهرم وشمال أوزوريس « رب رستاو » .

لقد أحضرت رسوم صورة « حورم أخت » كى يؤتى للمراجعة بما قيل فى طبيعة التمثال الماثل .

فرمم التمثـال المغطى كله بالطلاء : حارس الأجواء الذى يوجه الرياح بلحظه وأمر بنحت الناقص من الجزء الخلفى من قلنسوة النمس من الحجر المذهب ، ويبلغ طوله حوالى سبع أذرع (٣٫٧٠ مترا) .

(١) نشر النص والترجمة فى : «Rec-Trav.», vol. XXX, pp. 2-10

(٢) الجبانة .

« لقد جاء ليقوم بجولة يرى فيها الصاعقة التى تقوم مكان الجيزة ، التى هكذا سميت من أجل جميزة ضخمة ، أصيبت غصونها حين هبط رب السموات على موقع «حورم أخت» وكذلك على هذه الصورة متبعاً الكشط وفق الذى ذكر من الوضع المكتوب . . . . . لجميع ذبائح الحيوانات فى رستاو ، إنها مائدة للأوانى المليئة بهذه الحيوانات التى تؤكل باستثناء اتخاذها ـــ قرب هؤلاء الآلهة السبعة ، طالبين . . . . (لقد أعطى الإله) الفكرة التى فى قلبه بوضع قرار مكتوب على جنب « أبو الهول» هذا فى إحدى ساعات الليل [1] .

إن تمثال هذا الإله ـ لكونه مقطوعاً فى الصخر وسيبقى ـ إلى الأبد ، متطلعاً وجهه إلى الشرق » .

أما الجزء الرئيسى من اللوح فيحتله منظر التماثيل والرموز المقدسة التى قيل إن خوفو وجدها ومع كل منها شرح بالمادة التى صنعت منها وارتفاعها وبالطبع اسم الإله الذى تمثله ولقبه .

تلك إذن محتويات اللوح الذى أحدث كثيراً من الجدل فى عالم الآثار ، وأدى بكثير من طلاب التاريخ إلى الخطأ بالنسبة لتاريخ «أبو الهول » .

ولو استطعنا تصديق نقوشها لكان علينا الاعتراف لخوفو بالفضل فى إصلاح «أبو الهول » وذلك كما هو واضح بعد أن أتلفته الصاعقة ، وربما كان فى هذه القصة فى الواقع ذرة من الصدق وذلك أن ذيل قلنسوة النمس التى يرتديها «أبو الهول » لاشك مفقود ، وهو ليس بالجزء الذى يمكن بحكم شكله وموضعه بتره إلا بضربة مباشرة من جسم ثقيل تدفعه قوة مرعبة ، ونرى على ظهر «أبو الهول» فى الواقع علامة تدل على هذا الكسر وعلى آثار الملاط القديم الذى أصلح به ، ويبلغ هذا الندب نحو أربعة أمتار بما يتفق وما سجل على اللوح من مقياس ، أما كسر الثلاثين سنتيمتراً الزائدة فلعله وقع بسهولة عند التهشيم الأخير لذيل قلنسوة النمس .

ومن المحتمل إذن أن يكون « أبو الهول » قد أصابه البرق وإن لم يكن أدنى دليل يبين أن هذا الحادث قد وقع فى عهد خوفو .

---

(١) كما فى لوح تحتمس الرابع حيث كان الاله يبلغ اوامره فى صورة حلم .

على أن اللوح بأسره من حيث شكله وأسلوب النقش فيه وزخرفة ومحاكات الكتابة فيه للمخربشات التى فى المصلى الصغير بالمعبد ، إنما تشير جميعا إلى أنه من عمل الأسرة السادسة والعشرين . وأدمغ البراهين ضد تأريخها من الدولة القديمة ما أطلق من الاسمين «حورنا» و «حورم أخت» على «أبو الهول» ، فإنهما كما رأينا من قبل لم يظهرا قبل الأسرة الثامنة عشرة ، وكذلك ألقاب بعض الإلهة التى لم تستعمل فى هذا العصر المتقدم .

ويقرر مسبرو فى رأيه[1] أن لوح الإحصاء ليس وثيقة أصيلة أهداها خوفو بل نسخة متأخرة أو لعله تزييف اصطنع بعد موت خوفو بزمن طويل لمساندة ادعاء كاذب ابتدعه الكهنة المحليون . وكان معبد إزيس قد أعيد بناؤه حيث وجد فى عهد الأسرة الحادية والعشرين على يد الملك التانيسى « باسبخانو » ولا بد أن تكون اللوحة قد نقشت أو رممت فى عهد هـذا الملك أو فى عهد أحد الفراعنة الأثيوبيين . أما إذا كانت نسخة لأثر بال فلعلها احتفظت بتنسيق الأصل . وجائز جداً ، كما يقول مسبرو ، أن يكون هذا اللوح نسخة من وثيقة أقدم ، وقد كان معروفاً وجود مثل هـذه النسخ ، ومع ذلك فلو كان ذلك كذلك فلا سبيل إلى إرجاعها إلى العهد الذى تزعم ، أى إلى عهد خوفو وذلك لما رأينا من أسباب .

أما أهم جزء فى نقوش هذا اللوح فهو ما روى عن الصاعقة ، ويبدو أنه يتسم بالصدق وقد يهمنا أن نعرف فى عهد أى ملك وقعت هذه الظاهرة فعلا ، كذلك فان الحديث عن جميزة أصابها البرق هام أيضاً ، وذلك لوجود جميزة مشابهة معمرة ما تزال مورقة ، إلى الجنوب قليلا من «أبو الهول» ، وهذا الشجر يعيش عادة دهراً طويلا كما يقال إن النوع الحالى أقدم من شجرة العذراء الشهيرة بالمطرية وقدر لها نحو ألفى سنة ولذلك فليس يبعد أن تكون الشجرة التى فى الجيزة من نسل الشجرة التى ذكرت فى النقش وكذلك فقد تكون هذه الفصيلة من الشجر هى التى أعطت الإلهة « حتحور » لقب سيدة الجميزة ، وهو الذى فى ظله انتشرت عبادتها فى هذه المنطقة وفى غيرها .

(١) راجع : Maspero, «A Guide to Cairo Museum», (1910), p. 65

ولسنا نعرف لسوء الحظ أسماء ملوك العصر الصاوى الذين رمموا المعبد وإن بدا مفتاحان نقدمهما : أحدهما جزء من تمثال جرانيتى للملك بساتيك الثانى (٥٩٣ ق . م) عثر عليه فى الجيزة وهو الآن فى متحف برلين وقد نقش عليه : بساتيك (الثانى) عاش أبدياً « محبوب سكر — أوزير رب روستاو » .

ويبدو إن ذلك إنما يصله بأماكن العبادة المترابطة فى جبانة الجيزة . أما المفتاح الآخر فتمثال لأبو الهول من الحجر الجيرى نقش عليه اسم « واح - اب - رع » (حفرت) الذى جاء ذكره فى الكتاب المقدس أو الملك «إبريس» كما ذكره هيردوت (٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م) وقد عثر عليه فى حفائرنا بالقرب من أبو الهول العظيم . وكان « واح — اب — رع » كما ذكر هيردوت قاسياً محباً للانتقام مكروهاً بين رعيته الذين انتهى بهم الأمر إلى القيام بثورة مظفرة عليـه ، وقد عامل قائد هذه الثورة « آماسيس » الملك « واح — اب — رع » بشرف وحكم الملكان البلاد معاً مدة من الزمن[1] .

وفى العصر الفارسى (٥٢٥ — ٣٣٢ ق . م) لم نعد نسمع عن « أبو الهول » إلا قليلا ، بل لقد سكت ذلك الثرثار العجوز هيردوت عن ذلك الموضوع ولم يكن محتملا يومئذ أن يكون مطموراً بالرمال تماماً فى أيامه إذ كان لا يزال محتفظاً بكهيته ، ولكن الظاهر أنه لم يعد فى نظر التراجمة الذين صحبوا هيردوت ذات أهمية كبيرة ، إذ واضح أنه لم ير هذا الأثر .

ومما يؤسف له أن أبا التاريخ قد سكت عن هذا الموضوع فلقد كان شيقاً أن نعرف رأيه فى ذلك الأثر الفريد وما كان عساه أن يروى من قصة أو ملحه أو غير ذلك عنه .

وكانت عبادة إزيس سيدة الأهرام كما كانت شعائر ملوك الأسرة الرابعة متصلة فى ذلك الزمان وذلك كما يمكن إثباته من لوح عثر عليه بالسرابيوم بمنف ، وهى مؤرخة بالسنة الرابعة من حكم « دارا » ملك الفرس ، أهداها رجل يسمى

---

(١) راجع Herodotus, Book II, par. 163

« بسماتيك ـ منخ » كان يشغل وظائف كاهن «أوزيرس ـ أبيس»[1] الإله العظيم ، وإيزيس سيد الهرم وكان خوفو ، ددفرع ، خفرع ، وكاهن حورم أخت ؛ وكان ابنه يشغل كذلك وظائف مشابهة[2] . وقد كان فى الوقت الذى نقش فيه هذا اللوح نهضة عظيمة لعبادة العجل أبيس فى منف ، وربما قدس هذا العجل كذلك فى منطقة الجيزة فى العهد الصاوى وما بعده على أقل تقدير وذلك مما يستخلص من ظهور صورته بين الآلهة الأخرى على لوح الإحصاء وقد عثرنا كذلك على تمثال صغير من البرونز للعجل أبيس فى بقعة قريبة جداً من أبو الهول .

ويبدو أن ألقاب الكاهن « بسماتيك منخ » قد كتبت بنفس الطريقة التى كتب بها الخربشات فى معبد إيزيس ، وكان يتولى وظائف كاهن المعبودات إيزيس ، وحورم أخت وأوزير وأهرام الملوك — كما هو ظاهر — فرد واحد فى المعتاد ويدل هذا على أن هذه الشعائر المختلفة قد اندمجت فى ما تكاد تسميه « اتحاد الجيزة » .

وفى نهاية العصر الصاوى ومن بعده فى عهـد البطالمة أوشكت أماكن العبادة هذه أن تكون « معارض » كما هى اليوم ، وأخشى أن يكون الكهنة قد صاروا فى اعتبار الناس أقرب إلى التراجمة بالمعنى الدنيوى منهم إلى الهداة بالمعنى الروحى .

وسجل وجـود « نخت ـ حور ـ حب » أول ملوك الأسرة الثلاثين (حوالى ٣٣٢ ق. م) بالجيزة على إناء صغير من القاشانى عثر عليه المسيو باريز ، ثم لم يخرج إلى النور نقش آخر لهـذا الملك هناك ولكنه عرف بأنه كان قد أنشأ عـدداً من الآثار الهـامة فى منف وهليوبوليس ولعله فى إحدى زياراته لهاتين المدينتين قد انتهز الفرصة لأداء الحج التقليدى إلى «أبو الهول» .

وفى العصر الإغريقى الرومانى أصبح أبو الهول وما جاوره من الآثار مركزاً سياحياً حقيقياً ، شبيهاً جداً بما هو عليه اليوم إلا من مسحة من الشعور الدينى كانت دافعاً إلى أداء الزيارة .

---

(١) تسوية أوزيريس بالعجل المقدس ابيس كما عبد فى منف .

(٢) راجع : chassinat, «Rec. Trav». vol XXII, p. 178.

ولقد أصبحت هـذه الآثار قديمة حقاً بحيث تعتبر آثاراً قديمة ، والواقع إن أمداً بعيداً من السنين قد صار يفصل عصر بناة الأهرام عن العصر الإغريقي الروماني بأكثر مما يفصل بين العصر الإغريقي الروماني وعصرنا الحالي .

وتحت الحكم الروماني كان أبو الهول يتمتع بشهرة واسعة ، فزاره بعض أباطرة الرومان الذين توجهوا بزيارتهم من ناحية عن حب الاستطلاع ومن ناحية أخرى عن رغبة فى الظهور أمام المصريين بمظهر المحافظ على التقاليد الفرعونية وذلك لأغراض سياسية بطبيعة الحال .

أما أباطرة الرومان الذين مثلوا على الآثار بالأوضاع التقليدية ، مرتدين اللباس الفرعونى التقليدى ، حاملين الألقاب التقليدية ، فكان عليهم أداء الإجلال إلى «أبو الهول» بالأسلوب التقليدى .

وكان سيتموس سفروس (١٩٣ — ٢١١ ميلادية) من بين زوار المنطقة البارزين وقيل إنه أقام مذبحاً على السلم الذى كان أمام « أبو الهول » .

وقد ترك كثير من زوار هذا العصر ملوكا وغير ملوك سجلات عن وجودهم عند « أبو الهول » فى شكل آثار وألواح أو خربشات كما أهدوا تماثيل منذورة كثيرة عادت الأسود فيها تارة أخرى إلى الظهور مع ظهور تماثيل « أبو الهول» والصقور كذلك . على أن من الخير لنقوش هؤلاء الزوار المتأخرين التى تؤلف صورة بليغة للعصر الذى كتبت فيه — أن تترك لتحوى قصتها بنفسها . وقد وجد النقش الآتى على قطعة من الحجر كشف عنها باريز فى أثناء حفائره عند «أبو الهول» وهو سجل بسيط لأسرة بسيطة جاء فيه .

« قربان « أراجايوس » وزوجه وأطفالها » وهى تذكر كما نرى اليوم من رحلات النزهة البيتية للأسرة عند « أبو الهول » فى يوم من أيام العطلة العامة .

ونقش آخر لم يتم من نفس المصدر يقول : « تعبد دسكوروس قاطع الأحجار وأولاده و . . . . . . » ولم تحفر بقية النقش أبداً على الرغم من مهنة صاحبه .

على أن بعض الزوار قد وقعوا نقوشهم إما على «أبوالهول» نفسه أو على حجر منفصل يوضع إلى جواره . وتمتاز هذه النقوش غالباً بطابع فيه مزيد من الطموح

بالنسبة لما أوردنا من قبل ، فكانت تتخذ أحيانا شكل القصائد القصيرة التى يحاول فيها أصحابها التعبير عن إعجابهم ، غير أن أكثر ما نجا منها لسوء حظنا قد وصل إلينا مهشما ، ولدينا قصيدة من هذا النوع حفظت سليمة بعض الشيء ، نقشت على أحد المخالب الأمامية من الكف الأيسر لأبو الهول وهى الآن فى باريس ، ونشره لترون [1] .

ولدينا النصف الأخير بأسره من إحدى هـذه القصائد ، وصل إلينا بطريقة غريبة جداً ، فقد كان جزء منها فى متحف فينا منذ أكثر من مائة عام ، ونشر للمرة الأخرى عام ١٨٢٩ ولم يكن أحد يدرى من أين أتى إلا أنه اشترى فى مصر حين كان « كالجليا » يقوم بحفائره هنالك بالقرب من «أبو الهول» . ثم كان منذ سنوات إن وجد باريز قطعة أخرى منقوشة من الحجر الجيرى بالقرب من « أبو الهول » ، واكتشف أحد عظام المختصين النمسويين أنها مكملة للقطعة التى فى فينا ، أما القصيدة فهامة جداً فانها تصور أمام أعيننا رؤى من الأعياد والمآدب المرحة التى كانت تقام عند «أبو الهول» والتى كانت تستمر أحيانا طوال الليل وما أشبه هذا بيومنا ، إذ تغرى ليلة قمراء فريقاً من المتنزهين بمنطقة «أبو الهول» وإذا بسكون الصحراء يتمزق تارة أخرى بأصوات الضحك والغناء حيث يهيم العشاق من الشباب يداً فى يد حول الأهرام . وفيما يلى ترجمة الجزء الذى نجا من هذه القصيدة :

. . . . وقد هلكوا أيضا

تلك جـدران طيبة التى أقامتها الملهمات

ولـكن الجـدار الذى لى لا يخشى الحـرب

فانهـا لا تعرف تخريـب العـدو ولا النحيب

بل تنعم دائما بالأعياد والمآدب

وجوقات الشباب الذى يتجمع من كل مكان

فنستمتع بالناى ، لا بأبواق الحروب

---

(١) راجع : Letronne, «Greek and Latin Jnscriptions.

« وإنما الدم الذي يروي الأرض لمن الأضاحي من الثيران
لا من المطعون من حلوق الرجال
إن زينتنا من ملابس العيد لا من دروع القتال
ولا تقبض أيدينا على السـيوف
وإنما على كأس الأخوة في المأدبة
وفي طوال الليل حين تحترق الأضاحي
إذ تنشد الأهازيج لحرماخيس ورؤوسنا مزينة بالأكاليل » .

وإن تلك القطعة بما فيها خاصة من روعة أخاذة في البيتين الأخيرين لهي إحدى الدرر المتلألئة التي تشع كالنجوم في ظلام الماضي بل وتملؤنا أسى على ما ضاع منا من هذه الكنوز إلى الأبد .

وكان أبو الهول والسور المحيط به كذلك في اعتبار الناس من الأماكن ذات الشرف المخصوص حيث كانت الألواح تنصب أحياناً حتى يراها ويقرؤها أكبر عدد ممكن من النـاس ولم يكن ضروريا أن تحمل تلك الألواح نقوشاً تنتمي إلى « أبو الهول » فلقد أمدتنا الحفائر الحديثة بطائفة من أمثلة هذا النوع من الآثار ، وهناك الآن لوح بمتحف القاهرة يحمل قراراً لسكان بوصير وهي قرية كانت بالقرب من أهرام الجيزة (وهي ليست بوصير القديمة التي تقع بالقرب من منف) . وكانت في ذلك الوقت تؤلف جزءاً من مقاطعة « لتوبوليس »[1] ، ويعبر هذا المنشور عن شكر أهالي قرية بوصير نحو بومبيوس سابينوس الذي كان يومئذ حاكم المقاطعة (حوالي ٢٢ — ٢٣ ميلادية) ، وقد شكره أهل القرية على طريقته السليمة التي أقام بها العدل والعناية التي بذلهـا لصيانة الترع وسخائه نحو العمال . كما ذكر أن اللوحة يجب أن تنصب في أبرز مكان في القرية أي على مقربة من «أبو الهول» وهنا وجدها باريز، على أن الواقع من أمر النص باقامتها في أبرز مكان في القرية . . . وما عززه من العثور عليها على مقربة من «أبو الهول» ليبدو موحيا بأن « بوصير » وقرية نزلة السمان الحالية إنما هما مكان واحد .

والظاهر أن أهل بوصير كانوا مغرمين باصدار القرارات . فلدينا مثل آخر صادر عن بوصير في تاريخ متأخر عن السابق إذ أبرم زمن الأمبراطور نيرون

(١) اوسيم الحاليه

(٥٤ — ٦٨ ميلادية) ، وكان كاللوح الذى ذكر آنفاً قد وجد قريبا من «أبو الهول» وإن سبقه بمائة عام وقد نشره «كالجليا» عام ١٩١٧ وتجرى الترجمة كما يلى:

«لحسن الحظ لما كان الأمبراطور نيرون كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس العبقرى العالمى الطيب ، فضلا عما أضفى من النعم على مصر قد أبدى عناية خاصة بمصالحها بارسال تيبريوس بابيلوس إلينا حاكما ، ذلك الذى بفضل مكرماته وأعمال إحسانه قد فاض بكل شىء طيب ، فان مصر بما رأت من هبات النيل المتزايدة كل عام لتنعم بأكثر مما نعمت من قبل بفيضان الرب الوافر (أى النيل) . فلقد تبين حسناً لسكان قرية بوصير فى مقاطعة لتوبوليس القاطنين قرب الأهرام ولكتبة القرية والمحليين منهم أن يقترعوا ويهدوا عموداً من حجر . . . . . . وأن تحفظ صورته الإلهية . . . . عمود . . . . بحروف مقدسة تذكر إلى الأبد . . . . . لمجيئه إلى مقاطعتنا ، ولعبادته الشمس «حرماخس» ، المشرف والمخلص ، ولسروره بفخامة و . . . . للأهرام .

أما باقى النقش فمبهم وإن بدا أنه يذكر بعض ما أمر به بابلوس من أعمال تتصل بأبو الهول إذ صدمته كثرة الرمال التى زحفت على الأثر .

ويقول النقش كذلك صراحة إن على اللوح أن ينصب قرب الإله العظيم «هليوس — حرماخس» .

وقرار ثالث وجده كذلك «كالجليا» يخلد ذكرى ترميم الحائط المحيط بأبو الهول وهو مؤرخ بعام ١٦٦ الميلاد وتجرى الترجمة كما يلى :

«إن صورتك الهائلة من عمل الإلهة الخالدين .
كى تبقى على المستوى للأراضى الحافلة بالحصيد
لقد وضعوك وسط فجوتك
كالجزيرة الصخرية التى ردت عنها الرمال
وقد أقاموك جاراً للأهرام كى تراك
ولست كأبو الهول طيبة الذى ذبحه أوديب

ولكن كالخادم المقدس « ليتو[1] » الربانية
الذى يحرس أوزير الطيب المأسوف عليه
الهادى المقدس لأرض مصر » .

أما الباقى فمن التهشم بحيث لا يترجم ولكنه مذيل باسم المؤلف وهو « أريان » .

وبسقوط سلطان الرومان فى مصر ، هوى «أبو الهول» فى غياهب الإهمال والنسيان أما السافى أبداً من الرمال التى لم تعد يكبحها أوامر الملوك فقد طفقت تغرقه شيئاً فشيئاً ، إلا على الرأس فوق سطح الأرض الذى أصبح فريسة للعوامل الجوية والتعصب الدينى ، ومع ذلك ومع الإهمال والإعراض الذى كان فيه ، فلقد ظل أبو الهول على مزاولة تأثيره القوى فى عقول الذين ينظرون إليه ، ولقد خفظ لنا الكثير من التكهنات عن أصله وطبيعته ، فى كتابات المؤرخين العرب ، على حين صار اسمه الأصيل تعبيراً شائعاً يرادف اللغز فى كل لغات العالم المتمدين تقريباً .

والآن لقد عادت الرمال فانقشعت تارة أخرى وإذا «بأبو الهول» الذى احتفظ بسره حتى عن عظام الفاتحين من الأسرة الثامنة عشرة ، يستنطق بأمر العلم ، فانا نحن المحدثين لفى موقف فريد يعلمنا عن « أبو الهول » أكثر مما يعرفه حتى ذلك العبقرى الذى صوره ، ألسنا نراه كما كان وكما أصبح عليه ؟ .

على أن هناك من يسمون بأصحاب الأرواح الشاعرية الذين يندبون الكشف عن «أبو الهول» مدعين أنه كان أكثر خيالا وأشد بهجة عندما كان دفيناً فى الرمال ، ويبدو لى أن هؤلاء قوم نرى لهم الجهل نعيما ، فليس أسهل لفهم الماضى من كون الأثر برمته واضحاً أمامنا ، وأن نرى الشواهد الثابتة فى أيدينا ، ومن المحقق أن فى حقائق التاريخ من الخيال ما هو أكثر مما فى أطلال تغمرها الرمال .

دع الشاعر يزور «أبو الهول» الآن ودعه يدرس تاريخه ، ومن المحقق أن خياله سوف يبعث فى الحال روعة تروعه حجاج الملوك وجلالها ، ولسوف يسمع الخبب

(١) ليتو ام الاله ابولو عند اليونان . والخرافة الخاصة بهذه الالهة تنحصر فى انها كانت تخرج من الظلام الى النور ومن النور الى الظلام ومن هنا جاءت عبارة : خادم مقدس للالهة ليتو اى خادم لاله الشمس .

من حوافر خيلهم وهى تنطلق عبر الصحراء من وراء الطريدة الهاربة ، وسوف يسعده ظفرهم ، ويثنى عليهم صراعهم وتنافسهم ، ولسوف يشهد حفلاتهم الدينية ، ويستمع إلى صلوات الحجاج الذين أقبلوا يدعون الإله أن يهب لهم رغباتهم البشرية . وهنـاك سوف ينصت إلى صدى الأغانى التى كان المحتفلون المكللون ينشدون طول ليل لا ينتهى وذلك فى تلك العقيدة الوليدة التى تقول فى مثلها البالى « الحقيقة أغرب من الخيال » .

ثم دعنا نضيف فضلاعن ذلك أن هؤلاء الشعراء الذين أرادوا رؤية «أبو الهول» دائماً دفيناً حتى عنقه فى الرمال ، إنما يقيمون رغبتهم ضد إرادة الإله نفسه !!!! . أم يسأل أبو الهول تحتمس الرابع أن يخلصه من الرمال التى تغمره ؟؟ فماذا علينا إذن نحن الأثريين المساكين أن نفعل ؟؟ ترانا نرضى «أبو الهول» أم نرضى الشعراء ؟؟ وإنى لأظن أن الأفضل أن نسلك أنفسنا إلى جانب الإله والعلم ونترك الشعراء فى أحلامهم وأحزانهم .

قائمة باسماء الملوك الذين كانت لهم صلة « بابو الهول »
وتاريخ حكمهم بالتقريب

تحتمس الأول	الأسرة الثامنة عشرة	١٥٥٧–١٥٠١ ق.م
تحتمس الثالث	الأسرة الثامنة عشرة	١٥٠١–١٤٤٧ ق.م
أمنحتب الثـــانى	الأسرة الثامنة عشرة	١٤٤٨–١٤٢٠ ق.م
تحتمس الرابع	الأسرة الثامنة عشرة	١٤٢٠–١٤١١ ق.م
توت عنخ آمون	الأسرة الثامنة عشرة	١٣٣٨–١٣٤٧ ق.م
آى	الأسرة الثامنة عشرة	١٣٥٠–١٣٤٧ ق.م
حـــور محب	الأسرة الثامنة عشرة	١٣٥٠–١٣١٥ ق.م
ســيتى الأول	الأسرة التاسعة عشرة	١٣١٣–١٢٩٢ ق.م
رمسيس الثـــانى	الأسرة التاسعة عشرة	١٢٩٢–١٢٢٥ ق.م
مرنبتـــاح	الأسرة التاسعة عشرة	١٢٢٥–١٢١٥ ق.م
رمسيس الثـــالث	الأسرة العشرون	١١٩٨–١١٦٧ ق.م
رمسيس الرابع	الأسرة العشرون	١١٦٧–١١٦١ ق.م
رمسيس الســـادس	الأسرة العشرون	١١٥٧– ؟ ق.م
باسنبحنو (بسوسنس الثانى)	الأسرة الواحدة والعشرون	١٠٨٥–١٠٦٧ ق.م
واح ايب رع	الأسرة السادسة والعشرون	٥٨٨ –٥٦٩ ق.م
نخت حور– حتب (نخاو)	الأسرة الثـــلاثون	حوالى عام ٣٣٢ ق.م
سبتمس ســـفرى	العصر الرومـــانى	١٩٣ – ٢١١ ميلادية

(مطبعة جامعة القاهرة ١٢٣٤/١٩٦٧/٢٠٠٠)



مطبعة جامعة القاهرة

